
تاريخ الكويت
بقلم
المؤرخ الكويتي الاول
عبد العزيز الرشيد
كويت

اهداءات ٢٠٠١

أ.د أحمد أبو زيد

أنثروبولوجى

تاريخ الكويت



صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح

عبد العزيز الرشيد



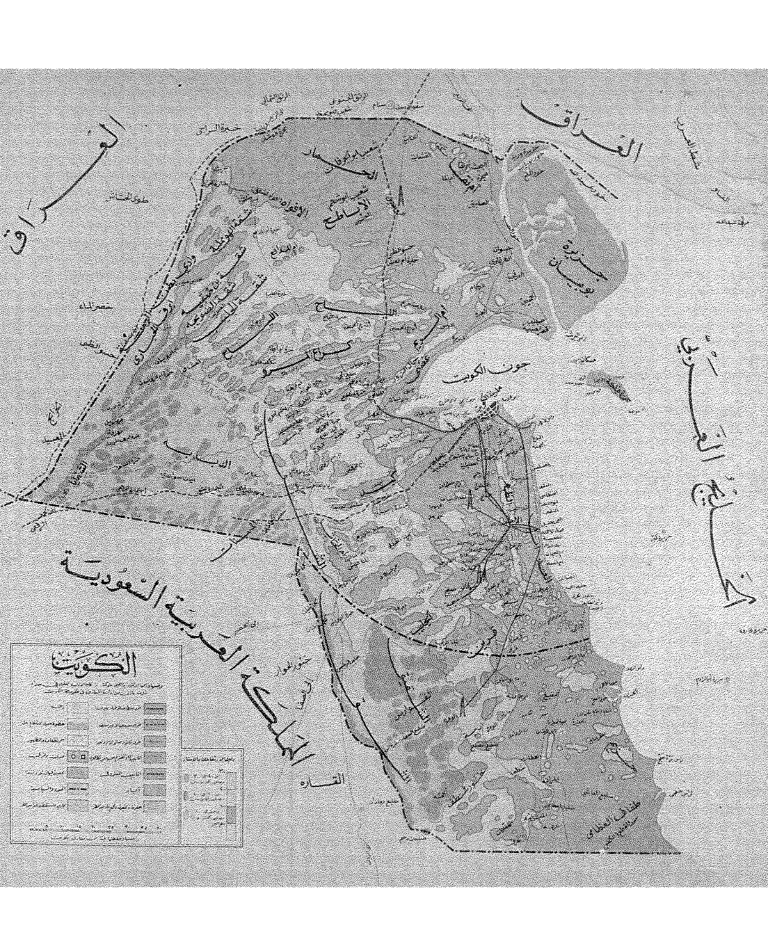
وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه

يعقوب عبد العزيز الرشيد

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت



المؤلف



العراق
العراق
الخليج العربي
جزيرة بوبيان
جون الكويت
المملكة العربية السعودية
الكويت

الأهداء

إلى سمو الشيخ الجليل
رائد نهضة الكويت وراعيها الأمين
الشيخ عبد الله السالم الصباح
مع الولاء والإخلاص

يعقوب عبد العزيز الرشيد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

رحم الله مؤرخ الكويت الأول الشيخ عبدالعزيز الرشيد ، فقد كان متفوقاً من المتفوقين ، يتحلى بصفات حميدة اهمها انه ذو همة بعيدة ، وطموح كبير ، يدلك على ذلك كثرة اسفاره الى كثير من البلاد النائية في زمن كانت فيه وسائل النقل بطيئة اشد البطء بالنسبة الى ما وصلنا اليه فيوقتنا الحاضر في وسائل نقلنا من سرعة وراحة لاتكاد تكلف المسافر الا قليلاً من العناء ، فقد سافر المرحوم الى العراق ومصر والحجاز والبحرين وجاوه ولميكن قصده من وراء اسفاره طلباً للتجارة او أي كسب مادي آخر ، وانما كان همه الوحيد اكتساب العلم والثقافة والجهاد في سبيل نشرهما بين الناس ، ومن صفاته رحمه الله انه كان قوي الشخصية حلو المعاشرة ، يدلنا على ذلك انه نال كثيراً من المناصب في كثير من البلاد التي سافر اليها ومكث فيها بعض الوقت ولكنه كان مغرماً بالتنقل من بلد الى بلد لأنه كان من الذين يرون في اكتساب الثقافة والعلم متعة لاتعادلها متعة ، لقد رغب اهل المدينة المنورة في في ان يجعلوه قاضياً عندهم ولكن وجود منافس من اهل المدينة حال بينهم وبين ما كانوا يشتهون غير انهم استطاعوا ان يجعلوه مدرساً في الحرم النبوي

الشريف ولكنه لم يمكث في المدينة الا عاماً أو بعض عام .

كان رحمه الله صادق اللهجة صريحاً في آرائه التي يعتنقها ، لايستطيع ان يسكت على الذين يخالفونه في آرائه ، وقد لقي بطبيعة الحال انكار كثير من الناس وتعنتهم ضده وتشهيرهم عليه ، كان يرى حرمة مطالعة الكتب العصرية وقراءة الصحف والمجلات فأعلن هذه الآراء ودعا الناس الى اعتناقها كما دعاهم الى الابتعاد عن تعلُّم اللغات الأجنبية ، فلما اتسع افق تفكيره تبين له انه كان غير مصيب فيما دعا اليه واذا به يعلن ذلك للناس ويدعوهم الى متابعة الحركة الفكرية وتعلُّم اللغات بل لم يكتفِ بذلك وانما اصطنع هذه الوسيلة فأنشأ مجلة الكويت المعروفة ، ولقد استطاع ان يجتذب اليها كبار الكتاب في ذلك الحين ، كان قوي الجنان لايهمه مايقف في طريقه من عقبات . فان انشاء الصحف في ذلك الحين من اشق الأشياء ولا سيما لمثل عبد العزيز الرشيد الذي لايملكاي ثروة مادية. غير ان حرصه وولعه في خدمة العلم والأدب كانا يدفعانه الى تذليل كل عقبة تقف امامه ، ويبدو لي انه كان ذا شخصية جذابة تستطيع ان تكتسب احترام كل من يصل اليه ، بدليل مانراه من تقدير مواطنيه وغير مواطنيه بالرغم من مخالفته لآرائهم واعلانه عن هذا الخلاف ، فقد عين مديراً لمدرسة المباركية سنة ١٣٣٦ هـ . ١٩١٧ م . وزاول التعليم فيها زهاء سنتين ، وبعد ان ترك العمل في هذه المدرسة انشأ بعض المعلمين مدرسة جديدة عرفت باسم (المدرسة العامرية) ولكنه لم يعلم فيها لأنه انصرف الى التجارة حتى رأى المرحوم الشيخ احمد الجابر ، ولي عهد الامارة اذ ذاك ان يتخذ له واعظاً في مجلسه العام فأسند الوظيفة له .

ولقد طلب للذهاب للتدريس في البحرين ، إلا ان سمو الأمير وبعض وجوه البلد لم يدعوه يذهب حرصاً على وعظه وارشاده ، وحينما تولى المرحوم سمو الشيخ احمد الجابر الامارة والف المجلس الاداري ليكون عوناً للأمير في ادارة شؤون البلاد كان المرحوم عبدالعزيز الرشيد احد اعضائه ،وسعى سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢١ م) في تأسيس النادي الأدبي سنة ١٣٤٢ هـ . (١٩٢٣ م) والقى

فيه اول محاضرة وكان موضوعها (الخطابة) وخلاصة القول انه كان حريصاً اشد الحرص في نشر الثقافة والعلم مها كلفـه ذلك من جهد وعناء وكان يرى ان على العالم ان يشترك مع سائر المواطنين في الدفاع عن الوطن ، فقد مضى الى الجهراء سنة ١٣٣٩ هـ . (١٩٢٠ م) واشترك مع المحاربين المدافعين عن الكويت اشتراكاً فعلياً ، ولقد عـاد الى الكويت وهو جريح . من هـذا يتضح لك ان استاذنا الشيخ لم يحصر جهاده في القول وانما كان يجاهد حيث ما وجد الجهاد ، وفي اعتقادي ان كثيراً من اثاره قد ضاعت كما ضاع كثير من معالم سيرته لأنه انفق الشطر الأخير من عمره في اندنوسيا فنحن لانعرف من آثاره الا (تحذير المسلمين) (محاولات اصلاحية) (الدلائل البينـات في حكم تعليم اللغات) وله مؤلفات مخطوطة وهي :

« تحقيق الطلب في رد تحفة العرب » « النصـائح الكافية فيمن يتولى معاوية » رداً على كتاب ابن عقيل الحضرمي .

« الهيئة والاسلام » وقد نشر بضع مقالات في جرائد بغداد ومجلاتهـا ، ومجلة الهلال، وجريدة الشورى المصرية ولم يبق لنا منهذه الآثار الا اسماؤها، اما الذي بقي بين ايدينا فهو كتاب « تاريخ الكويت » الذي نريد ان نقدمه للقراء في هـذه الطبعة الجديدة ، راجين ان تكون طبعته طبعة لائقة بهذا الكتاب .

ولقد أفضت في ترجمة المؤلف افاضة متعمدة وانا اقصد من ذلك ان اصور المستوى الفكري والثقافي الذي كانت عليه بيئتنـا في ذلك الحين ، فيتصور القارىء ان الناس كانوا يتساءلون في مابينهمعن جواز تعلـم اللغات الأجنبية ومطالعة الصحف والمجلات ، ويبدو لي ان هذا التساؤل كان قوياً بشكلحاد حتى ان المؤلف اشغل ذهنه هذا الموضوع فألف رسالة يوضح فيها ان مطالعة الصحف والمجلات وتعلـم اللغات الأجنبية من الامور التي لاتخالف الدين ، من هذا يتضح ان مقاييسناوموازيننا لفهم التاريخ غير موجودة في ذلك الوقت، فنحن نفهم من التـاريـخ او نريد من المؤرخ على الأصح ان لايكتفي بسرد

الحوادث والوقائع وانما نريد منه ان يصور لنا الحـالة الاجتماعية والاقتصادية كما نريد منه ان يبين لنا الحالة السياسية والثقافية ، اما بيئتنا فانهـا كانت تكتفي من المؤرخ بسرد الوقائع والحوادث ، وربما لاتهتم بذكر تواريخها ،اللهم الا الحوادث المهمة ، فالذين يأخذون على المؤلف اغفاله تواريـخ بعض الحوادث واطالته فيما يجب ان يختصر فيه واختصـاره فيما يجب ان يطيل فيه ، هؤلاء الناس عليهم ان يتصوروا مـا لقيه المؤلف من مصاعب وعقبات عندما أراد أن يؤلف كتاب تاريخ الكويت . فنحن نعلم ان هـذا الكتاب الذي يأخذ النقاد عليه بعض المـآخذ قد احتجز مدة طويـلة لأن بعض مـا فيه لم يرضِ بعض الناس . ومهما يكن من امر فان هذا المؤلف كان ولا يزال مرجعاً هاماً لايستطيـع أي مؤلف لتاريـخ الكويت إلا ان يرجع اليه فاذا ماوضح ذلك عرفنا اي خدمة جليلة قدمها المؤلف للكويت بصورة خاصة وللوطن العربي بصورة عـامة ، ولقد ابتهج الادباء لدى ظهور هذا الكتـاب ، فكتبوا المقالات الطوال في مدحه والثناء عليه ، وليس من شك ان هذا يدل على ان لهذا الكتاب قيمة علمية جليلة .

عبدالرزاق البصير

تصدير

هناك حاجة دائمة لمعرفة التاريخ . فعلى كل امة أن تعرف تاريخها مهما كان قريب الزمن أو بعيده . وبهذه المعرفة تجعل الأمة من ماضيها واعظا يجنبها الزلل ، وحافزاً يدفعها الى المضي في الطريق الذي بدأته لتبلغ الغاية التي تشدها اليها . وربما كانت الحاجة أمسّ الى معرفة التاريخ عندما يشعر الشعب بشيء من الوعي يدفعه الى تنمية حضارته على أساس من تقاليده وتراثه وهذا هو ما حملني على اعادةطبع هذا الكتاب لمؤلفهالمرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد الذي هو والدي ، بل لعل هذا السر الذي دعا بعض المواطنين ان يشيروا علي ملحين باعادة الطبع بعد ا . نفدت الطبعة الأولى .

ومما لاشك فيه ان كتب التاريخ التي تعنى بسرد الاحداث وتاريخ المجتمعات انما تحقق الغاية فيها اذا توخى كاتبها فيما يتوخى الشمول ، والدقة ، والصراحة ،وانا اعتقد ان هذا الكتاب قد أوفى على الغايةفيالنواحي الثلاث ، وحقق للقارىء مايريد منها جميعاً : أما الشمول ففي هذا التفصيلالذي امتاز به هذا الكتاب حيث تناول تاريخ الكويت من لدن نشأتها حتى الفترةالاولى من تاريخ سمو الأمير الراحل الشيخ احمد الجابر الصباح ، وأما الدقة فتظهر بوضوح في تصوير الحياة الماضية تصويراً جعلنا نحسها ونعيش في جوها ،ونلتقي برجالها وهم يكافحون في مضمار الحياة باذلين ما يستطيعون من جهد ليتغلبوا على طبيعة الكويت الشاقة ، وليلونواظروفها من حولهم تلويناً يسبغ عليها المتعة والجمال . فرأيناهم من أجل هذا كله أهلطموح يركبون البحر باسطولهم الضخم حاملين التجارة في الخليج العربي والمحيط الهندي وغيرهما . حتى

بلغ بعض تجارها فرنسا في ذلك العصر ، ورأيناهم أهل جلد وصبر يغوصون في طبقات البحار بحثاً عن نفائسها مستهينين بما يلاقون من صعاب ومشقات حتى اذا ما تهيأت لهم الفرصة للدفاع عن وطنهم تجلى صبرهم وجلدهم ومخاطرتهم في اللقاء العارم والكفاح المرير .

واما الصراحة فقد كانت منهاجه في كل مايكتب ، وهي صراحة تطالع القارىء في كل صفحة من صفحات الكتاب ، فتوقفه على الغرض الذي استهدفه المؤلف ، انه الحرص على تصوير الواقع والأمانة العلمية في تسجيل الاحداث ، وربما دعته هذه لأمانة لى الالمام بالجزئيات او الاستطراد في ذكر الحوادث ليلقي بهذا كله ضوءاً على ما يريد بيانه وايضاحه .

على ان الكتاب لم يقف في فصوله عند حد الأحداث وتاريخ الحكام وإنما تجاوزهما الى النهضتين العلمية والأدبية فسجل لرجالهما مـا بلغوه من فضل ، وما قاموا به من جهود في سبيل بلادهم ، فجاء الكتاب بسبب هذه الإحاطة وافياً ، يجد فيه القارىء ما يريد من امتاع العقل والحس والعاطفة في وقت معاً ، وانا حين أقدم هذا الكتاب إلى القراء في طبعته الثانية آمل ان يلقى منهم قبولاً وان يحقق في ثوبه الجديد ما يبتغون على انني حرصت أشد الحرص على بقائه في صورته التي ألف عليها حتى لا يذهب التغيير بقيمته التاريخية ، وقنعت من تحسينه وتهذيبه بتبويبه واخراج الجزئين في جزء واحد ، وبتجويد الطبع ، وبالاشارة العابرة في الهامش الى بعض الحقـائق او التعليقـات التي لا بد منها للمقارنة .

وانا أرجو بعد هذا ان تتحقق به الفائدة والله الموفق .

يعقوب عبدالعزيز الرشيد

التاريخ يشكر الأمير أحمد الجابر الصباح

لا أدل على الميل الى العمل النافع والتقدير له من بذل المساعدات المادية والأدبية في سبيله واذا كانت هذه الحقيقة من البديهيات التي لاتحتاج الى برهان



سمو امير الكويت المعظم الشيخ احمد بن جابر آل الصباح
حاكم الكويت السابق

فلنا أن نغتبط بسمو اميرنا المحبوب الذي تعطف على هـــذا التاريخ بتسهيل

الاطلاع لنا على ما في ديوان حكومته من الرسميات ، ثم بتفضله على (كاتب هذه السطور) بمكافأة مالية كبرى لأتعابه في جمعه وسهره في تأليفه. لنا ان نغتبط بسموه فان ألفين وخمسمائة روبية يبذلها [1] لأحد افراد رعيته تقديراً لقيامه بمشروع ادبي ليبشر بمستقبل حسن للوطن وأهله .

ستنزل أيها المولى بهذا العمل الجليل سويداء قلوب الأحرار والمفكرين ، وسيشكرك منهم القريب والبعيد .

اما أنا فباسم العلم أثني عليك ، وباسم الأدب أرفع ذكرك على هامة الإجلال ، ولم لا ...وقد شئت أن تشملني بنعمتك مقيماً وظاعنا ،فجزاك الله الجزاء الاوفى عني وعن التاريخ .

(١) قد تكرم الشيخ احمد الجابر الصباح بتقديم هذه الاعانة سنة ١٩٢٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد ، فلم ازل راغباً في تدوين ما علق باذهان اخواني الكويتيين من اخبار وطني العزيز وحوادثه وما طرأ عليه من التقلبات والتطورات منذ



المرحوم احمد الفهد الخالد

تأسيسه الى يومنا هذا ، علماً مني ان جمع شتات ذلك أعظم خدمة يقوم بها الوطني لوطنه وانفس هدية يقدمها لأبناء جلدته ، غير أني كنت اقدم قدماً وأؤخر

اخرى لأن المشروع خطير والمسلك وعر لايقطـــع الا بمشقة كبيرة وتضحية بوقت ليس بالقليل ، مشروع مهم يحتاج الى خلو بال وراحة قلب وتجرد عن العوائق ، واني وقد اناخ علي الدهر وأزعجني بنوبه وامضني حين رماني بقوم يأخذون على الحق إذا به نطقت ويطيرون فرحاً بالخطأ إذا به وقعت ،رماني بما لا أحب الافاضة فيه هنا ، اني من جراء ذلك كله اكاد انزع المشروع من القلب وأرميه في زوايا الاهمال ، افعل ذلك لأن الاقدام عليه والحـــالة هذه مظنة الخطأ ، وفي ذلك فضيحة للكاتب وعار ، غير ان التشجيع الذي كنت أسمعه من بعض الاخوان الأفاضل [1] الغيورين والتـأسف الشديد منهم لعدم القيام بهذا الغرض وتعليقهم الأمل فيّ لقضاء ذلك الواجب ، سهل علي أخيراً اقتحام هذا المضيق والخوض في ذلك العباب فاقدمت عليه بعد استخارة الله فيه ، أقدمت عليه غير معتمد الا على أفواه النقلة وأخبار الرواة وعلى نبذمن الرسميات لاغير ، ولا اذكر في الغـــالب من الحوادث الا ما هو شائع عند الكثيرين وقد اعتمد على رواية فرد اذا كانت معقولة وليس ثمـة مايخالفها ، والقضية الواحدة التي يتفق على اصلهاجملة من الرواة، ولكن يختلفون في تفاصيلها فاما اذكر الروايات كلها او اختار منها ما اراه في نظري اصح . وقد يكون للحادثة الواحدة وجوه متعددة ولم تبلغني إلا من وجه واحد ربمـا كان سواه أولى بالترجيح ،وسأورد ما أظنه ضعيفاً بصيغة التعريض مثل يحكى ويروى وقيل وحكي وروي ، وسأفيض في امور لايهم اهل الكويت امرها كالغوص واحواله لأهميته في نظر الأجنبي،كما اني سأفيض فيما لايهم إلا الكويتيين وحدهم نظراً لانه يدور حديثه في مجالسهم وأنديتهم ، وقد لايسلم المحدث به من الخطأ، فإلى هذه التنبيهات ألفت نظر القارىء في كل مـا يقف عليه في هذا السفر ليتأنى قبل الجري في ميدان الانتقاد على أني لا أدعي العصمة فيما كتبت ولا الكمال فـيما جمعت ، ولكن حسبي أني أول من رمى حجراً في ذلك الأساس وأول من سلك هذا الطريق المخيف ، وحسبي أني سهلت به على من يأتي بعدي كثيراً من الصعوبات التي تنتاب المؤرخ في بحثه وتنقيبه .

---

(١) ومن أجلهم وأفضلهم الحر الغيور والمحسن الكريم احمد الفهد الخالد الخضير

تبويب التاريخ

يقسم هذا التاريخ الى قسمين : (الاول) وهو الذي أقدمه الآن بين يدي القارىء ويبحث عن حكام الكويت الغـــابرين والحاضرين وعن حوادثهم وحروبهم وعلاقاتهم بالدول والحكام ، ويبحث في حالة الكويت الاقتصادية والاجتماعية والطبيعية والسياسية وما فيها من قرى وآثار ، ومع ماحوت من مدارس ومساجد ، ويبحث في حركتها العلمية ونهضتها الأدبية .

أما (الثاني) وهو ما سأقوم بأعبائه فيما بعد فيبحث عمن فيها من علماء وأدباء وشعراء مع طرف من أخبارهم وأشعارهم ، وعن بيوتها المعروفةومن له في تاريخها أثر يذكر ، وعمن زارها من العلماء والادباء والكتاب والأعيان، كل ذلك سنبحث عنه إن شاء الله بعدل وانصاف ، راجـين ان يكون مجال الصراحة أمامنا واسعاً لنشر ما نعرفه من الحقائق عن مسقط رأسنا ليكون عبرة لأبنائنا الحاضرين والآتين ونؤمل ألا تـكم أفواهنا عن النطق بالحق أو تقيد أقلامنا عن الجري في ميدان الحرية فإننا في وقت شعر فيه كل فرد أن الحرية هي من اسمى ما يتطلبه العقل البشري .

اقول هذا وأنا على يقين أن من القراء من سيلاحظ على اشياء فيما كتبت ولكني اجيبه بقول الشاعر :

في فمي ماء وهل ينـ   طق من في فيه ماء ؟

التاريخ والرسميات

أخطأت في ظـني ان ماجمعته من حوادث الكويت واخبارها فيه غنى للباحث وأنه ليس في حاجة الا إلى عرضه على بعض من لهم المام بتلك الحوادث لأمحص واياهم حقائقها واستنير بآرائهم فيما قد يخفى علي فيه وجه الصواب ، اخطأت في ذلك إذ علمت اخيراً أن هناك أمراً لايستغني عنه التاريخ مهما بلغ من الجودة والاتقان ومهما تسنى من التحقيق والبحث بل قد يكون لاقيمة له تذكر بدونها ذلك هو تحلية جيده بعقود من الرسميات التي منهـــا تضبط الحوادث ضبطاً تاماً ، ومنها تنار الطرقات المدلهمة أمــام المؤرخ .علمت ذلك فبقيت حينئذ حائراً لا ادري كيفية الوصول الى تحقيق تلك الأمنية ،واخذت افكر فيما يسهلها علي حتى تمثل أمامي أمل عظيم بسمو أميرنا المحبوب دفعني الى استعطافه بكتاب تشرف بالتقديم اليه ، وهذا نصه :

مولاي الامير الجليل صاحب العز والسعادة الشيخ احمد الجابر الصباح
حاكم الكويت المفخم ادام الله عزه وتوفيقه

غير خاف على سيادتكم ان ضبط تاريخ الوطن
وحفظ وقائع وحوادث حكامه وأخبارهم من
الواجبات المهمة على أبنائه ومن أعظم ماينبغي
لهم أن يقدموه على ما سواه ، وبمــا أني أيها
الامير الخطير لم أر من قــام بهذا الواجب فقد

أخذت على نفسي القيام به وتحمل المشقات في سبيله حتى وفقت الى شيء كثير تنـاولت فيه جميع المسائل اللازمة . غير أني ياحضرة الامير في حاجة كبرى الى معاضدتكم بالأخبار الرسمية المحفوظة الآن في ديوان جلالتكم الموقرة مماوقع بـين أسلافكم الكرام وبين الدول والحكام .

فعسى ان تكون مجيباً يامولاي لما لايعود عليكم وعلينا إلا بالفائدة والنفع فان ماينشر من تلك الأخبار اذا تناولها الكتاب بالنقد والتصحيح يرى من خلال آرائهم وابحاثهم مـــا قد يجهله الكثيرون منا .

زار الاستاذ الريحاني عظمة سلطان نجد فقدم له شيئاً من الرسميات التي سينشرها [1] عن قريب في كتاب (تاريخ نجد الحديث) وأنت تعـلم يا سمو الامير ان عظمته لم يقدم له ماقدم إلا لعلمه بالفائدة الـتي يجنيها من وراء النشر ، فعسى ان تكون لك بهقدوة حسنة ، سيما وفي نشر ذلك خدمة لسعادتكم ونشر لأياديـكم على العلم والأدب .

هذا نص ما قدمت اليه :

أما حضرته فقد ابدى اهتماماً بما طلبت وسروراً بهذا المشروع الجديد ، وقال لي انه مستعد لان يقدم لي ما أريد ، وأظهر شديد أسفهلاهمالالوطنيين

(١) حدث ذلك قبل نشركتاب تاريخ نجد الحديث .

هذا الواجب المهم وقال : « انه من العار علينا أن يسألنا اجنبي عن تاريخ بلدنا وعن اخبار من أسسها من آبائنا الاقدمين فيكون جوابنا السكوت » . صرح بهذا التصريح المنعش المنشط فعلمت حينذاك ما انطوت عليه نفسه من الميل الى هذا المشروع وانجابت عني ما قاله غياهب قد أحاطت بي ، وتيقنت ان قرب تناول المنى سيكون على يديه الكريمتين .

ثم أتبعت الكتاب بابيات الى سعادته لا لاستحثه فان لديه من الرغبة ما يكفي عن كل حث واستنهاض ، ولكن لأعلمه بحرصي الشديد على السرعة والانجاز ، فقلت شعراً :

أيا أحمد الأفعال يا من حياته	سماء بها بدر المفاخر سارا
ويا من له خلق صفا مثل ماصفت	لآلىء منها الليل عاد نهارا
يناديك تاريخ الكويت بلهفة	لتبني لــه بين الأنام منارا
يناديك كي تحيي رفات عظامه	وتمنحـــه من راحتيك يسارا
فأنت الذي دون البرية قادر	على أن تقيل اليوم منه عثارا

بعد هذا أصدر أمره العالي في البحث والتنقيب الى صاحب الهمة العالية والثبات المدهش الكريم المفضال ملا صالح بن محمد الملا رئيس الكتـــاب في أيامه وفي جل أيام جده الشيـخ مبارك وأيام أبيه الشيـخ جـــابر كلها وعمه الشيـخ سالم،فقام هذا الفاضل بالمهمة التي أسندها اليه الأمير خير قيام يشكره عليه العلم والادب والفضل وذووه .

الجزء الأول



متى تأسست الكويت ؟

هناك اقوال متضاربة في السنة التي سست فيهــا الكويت أو قل السنة التي هبط ارضها آل الصبــاح وآل خليفة ، وليس من تلك الاقوال مايقطع بصحته او تطمئن اليه النفس أو يزيل كل مايخالجها من ارتياب ، فمدحت باشا يقول : ونسل هؤلاء العرب (اي الصباح) من الحجاز وكانوا قبل خمسمائــة سنة قد حضروا الى هذه البقعة هم وجمـــاعة من مطير ، قال هذا في أيام (عبدالله الصباح الثاني) سنة ١٢٨٧ ويصرح الشيخ مبارك في احدى رسائله لبعض ولاة البصرة أنها تأسست سنة ١٠٢٢ ويقول البعض بـل كلمة « طفى الماء » هو تاريخها ، اي سنة ١٠٨٣ وآخرون يقولون تأسست سنة ١١٠٠

اما العلامة المحقق الشيخ ابراهيم بن شيخ محمـــد الخليفة شيخ الادباء في البحرين فيرى أن تأسيسهاسنة ١١٢٥ وكل هذه الاقوال حدس وتخمين واقربها الى الصواب واولاها بالترجيـح القولان الاخيران وبمعرفتنا عدد الحـكام الذين تولوا عليها من آل الصباح يزول عنا كثير من الغموض وتكون بيدنا حجة قوية في رفض بقية الاقوال سيما اذا علمنا ان صباحاً الاول هو اولهم وانـــه توفي حوالي سنة ١١٩٠ ولكننا مع هذا لانجزم بان ما رجحناه قضية لاتحتمل المناقشة ولا النقض ، نعم الذي يصح لنا الجزم به أنهــا كانت موجودة قبل سنة ١١٣٥ – اعتماداً على ما قاله الشيخ ابراهيم بن عيسى النجدي في اجازته لاستاذنا الجليل الشيخ عبدالله الخلف الدحيـــان فقد ذكر في سلسلة مشائخه

الشيخ محمد بن فيروز جد ابن فيروز المشهور وقال انه توفي في الكويت سنة ١١٣٥ .

معنى كلمة الكويت ؟

الكويت تصغير كوت ، والكوت كلمة مشهورة متعارفة في العراق ونجد وما جاورهما من البلاد العربية وبعض بلاد العجم ، وقد شاع استعمالها على الألسنة حتى صرفوها تصريف الكلمات العربية الاصلية فصغروها وجمعوها فقالوا كويت واكوات وبالمصغر سميت البلدة التي على ضفاف (الخليج العربي) وهي تطلق عندهم على البيت المربع المبني كالحصن والقلعة وغيرها مما يبنى لحاجة وتبنى حوله بيوت صغيرة حقيرة بالنسبة اليه ، ويكون هذا البيت فرضة للسفن والبواخر ترسو عنده لتتزود منه بما ينقصها من الفحم والزاد وما أشبه ذلك من حاجات السفر ولا تطلق الا على مايبنى قريباً من الماء سواء كان من البحر أو النهر أو البحيرة أو المستنقع وقد يطلق الكوت على النهر الصغير ويسمى به بعض القرى توسعا ا.هـ [١]

لم سميت بالكويت ؟
ومن الذي أسسها ؟

سميت بذلك الاسم نسبة الى حصن صغير كان موجودا فيها ، قيل بناه محمد لصكة بن عريعر زعيم بني خالد وقد أقام فيه أحدعبيده واتخذه مستودعا للزاد والذخيرة وما يحتاج إليه ، فإذا أراد الغزو شمالا أو المرعى قريبا من ذلك الحصن تزود بما يريد وأنه وهبه لآل الصباح ومن كان معهم عندما نزلوا تلك الأرض ، وقيل أسسه آل الصباح أنفسهم بعد هبة ابن عريعر لهم ما حوله من الارض ، ويقال إن موضعه كان في النفود الصغير الذي أسس في أعلاه (المستشفى الامريكاني الآن) .

---

(١) من مقالة للاديب الفاضل والكاتب القدير السيد محمد الهاشمي صاحب مجلة اليقين :

كانت الكويت قبل نزول آل الصباح فيها أرضا فقيرة لا يسكنها إلا لفيفه من العشائر التابعة لابن عريعر ، وأول من شاد فيها البيوت الحجرية هم آل الصباح الذين اتخذوها لهم مقرا ، فالكويت حينئذ لم يحكمها أجنبي عن القوم الذين أسسوها ولم ينفرد بالامر والنهي فيها أحد سواهم على تكاثر الأعداء الذين أحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم .

نسب آل الصباح

ينتمي آل الصباح وآل خليفة وآل سعود الى قبيلة عنزة المعروفة وهي من أكبر قبائل العرب واشهرها الى يومنا هذا ، وتنقسم كغيرها الى أفخاذ عديدة ، ومن تلك الأفخاذ (جُمَيْلة) بالتصغير ، وتنقسم جميلة الى عدة فروع منها الشملان ، وتنقسم الشملان الى عشائر منها آل الصباح .

وطن آل الصباح الاصلي
وسبب هجرتهم منه

اختُلف في وطنهم الاصلي الذي كانوا فيه زمن صباح الاول جدهم الاكبر فقيل كانوا في نجران ، وقيل بل تحدروا من خيبر ، والصحيح انهم كانوا في الهدار من مقاطعة الافلاج في نجد .

أما سبب هجرتهم منه فلا نعلم عنه شيئاً ، وغير بعيد أن يكون سببها إهانات فوجئوا بها من أناس ادنياء ، او ذلة ضربت عليهم لم يطيقوا دفعها لأن العربي الصميم ذا أنفة ينفر من الذلة ولا يتحمل الضيم ولا يخنع له .

ولا يقيم على ضيم يراد بـه ... الا الاذلان عير الحي والوتد ؟

ولنا على صدق هذه النظرية دليل شاهده الكل منا وهو هجرة الدواسر من البحرين وسكناهم الدمام ، وقبلهم أهل الجبيل أيضا الذين هجروا قطر لاضطهاد حكامها لهم .

ومن المحتمل أن يكون السبب الوحيد هو كبر نفوسهم وطموحهم الى

الاستقلال بالحكم فالنفوس اذا كبرت زعزعت أصحابها من مقرهم وطوحت بهم في المهاوي أملا في العلا .

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

سيما إذا عرفوا من انفسهم الكفاءة والاقتدار فهناك يحاولون مـا يريدون الى ان يعذروا ، حين عجزهم عن بلوغ أمانيهم .

والخلاصة انهم هجروا وطنهم العزيز فما زالوا يعلو بهم جبـل ويهبط بهم واد ديدنهم الحـل والترحال من بـلد إلى أخرى حتى القوا عصـا التسيار في الكويت .

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينـا بالإياب المسافر

فشيدوا تلك البلدة التي حسدهم عليهـا القريب والبعيد ، أسسوا تلك المدينة الصغيرة التي هي الدرة في تاج الخليج (العربي) بل الجوهرة الثمينة التي ستنير ما حواليها بنوره ، وستأخذ بأيدي غيرها إلى المجد ، بعد أن يأخذ أهلها والمسيطرون عليها بيدها الى ربوع الفخر [1] .

---

(١) بعد كتابة هذه الأسطر تفضل علينا الاستاذ المحقق الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة ببيان السبب في ارتحال آل الصباح واخوانهم آل خليفة من موطنهم الاصلي وسأثبت ما قاله هذا المفضال هنا اعترافا بغيرته وبفضله ، قال :

« اما سبب ارتحال الصباح والخليفة من الهدار فقد كان نتيجة لنزاع حصل بينهم وبين بني عم لهم من بطن (جميلة) من عنزة وأخيرا تغلبوا على خصومهم وأخرجوهم من البلد فلجأ الخصوم الى قبيلة الدواسر في الوادي وهناك اجتمعت بطون الدواسر وركز كل بطن رمحا ، وخيروا الجميليين في الرمح الذي يريدون الالتجاء تحت ظله وحمايته فاختاروا رمح آل حسن وزحفوا معهم على الهـدار على ان البلد لم تخل من مناصر لهم علاوة على مساعدة الدواسر فتم لهم التغلب عليها وأخرجوا منافسيهم المتغلبين من آل الصباح واخوانهم » اهـ .

البلاد التي مر عليها
آل الصباح قبل الكويت

مروا بقطر فأناخوا فيها ركائبهم واستوطنوها تحت ظل حكامها إذ ذاك آل مسلم ولكن أحدهم قتل رجلا من أهلها سمع منه سخرية به واستهزاء فحل عليهم غضب حكامها الذين أوجسوا منهم خيفة وخشوا استفحال أمرهم فأمروهم بمغادرة البلاد والنزوح عنها . وقد لبى آل الصباح واخوانهم الطلب وأودعوا اموالهم والعزيز لديهم سفنا شراعية ثم ساروا بهـا ضاربين عرض البحر وطوله .

اما آل مسلم فجهزوا بعد ذلك خلفهم سفنا أخرى وساروا يقتفون أثرهم ، ولا نعلم ما الذي دفعهم الى إفلاتهم أولا ومطاردتهم اخيرا ، ومهما يكن فإنهم أدركوهم في رأس تنورة وعندما أبصرهم آل الصباح مقبلين وعلموا بما يريدون نزلوا الى البر واستعدوا للقتال وجرى بين الفريقين قتال شديد كان النصر فيه حليف آل الصباح ولم يؤثر هـذا النصر في عزمهم وزهدهم في سكن قطر ، فساروا ، قيل ميممين (قيسا) من بلاد فارس ، وقيل بل ذهبوا الى المخراق ولكن لم يطب لهم المقام فتحولوا الى الصبية وهي أرض واقعة شمال الكويت الشرقي وتبعد عنها نحو ستة عشر ميلا وكان حظهم فيها حظهم في سواها فهجروها ونزلوا الكويت كما تقدم .

ويقال في سبب تحولهم عن المخراق ان الحكومة العثمانية طردتهم منه لما كانوا يقومون به من السلب والنهب وقطع الطريق في هاتيك الجهات .

أما تركهم الصبية فيقال هو من الحكومة ايضاً ويقال بل ان قبيلة الظفير همت بمهاجمتهم وفي طريقها اليهم قبضت على رجل منهم ولم تفلته الا بعد أن

أخذت عليه العهد والميثاق ألا يخبرهم وما كاد يفلت حتى سار اليهم وهنـاك شرع يخاطب أحد زعمائهم المسمى (دولة) بقوله :

عمر الغليون يا دولة　　　ترى دنيـاك معلولة

اني حلفت بالله ما اقوله

ففهم الزعيم واخوانه إشارة الرجل وعلموا منها بمـا يراد بهم ففروا من ارض الصبية ولم يقفوا الا في ارض الكويت التي هي في حمايـة ابن عريعر اذ ذاك .

موقع الكويت الطبيعي

الكويت واقعة على (جون) من الخليج (العربي) تمتد على ساحله شرقاً وغرباً وهي قائمة على آكام قليلة الارتفاع وفي بطون أودية لها منظر بديع سيما من جهة البحر ، طيبة التربة عذبة المناخ هواؤها صحي لطيف وجوها معتدل صيفاً وشتاء ، وقلما تخلو ليالي صيفها من نسيم عليل يكسب الجسم نشاطاً والقلب سروراً ويسمى (الغربي) وفي الشمال الغربي منها جبل يسمى (اغضى) يمتد شرقاً وغرباً على الساحل الشمالي للجون تبلغ مسافته من الصبية إلى الجهراء نحو ثمانية وعشرين ميلا ويسمى سفحه مما يلي البحر (البطانة) وفي رأسه الغربي وسفحه الجنوبي على ساحل البحر توجد (كاظمة) المشهورة .

ويبلغ طول نفس المدينة من رأس السورين نحو ثلاثة اميال ونصف وأما عرضها فيبلغ في بعض الجهات نحو ميلين .

حدود الكويت

يحدها غرباً ملتقى وادي العوجا بالباطن الممتد على خط مستقيم الى حيث يلتقي عرضاً بالخط التاسع والعشرين وجنوباً القليعة وشرقاً (الخليج العربي).

احياء الكويت القديمة

في الكويت احيـــاء عديدة اكبرها (حي القبلة) والشرق والمرقاب

والوسط ، ومن الأحيـــاء الصغيرة (حي العوازم) والرشايدة والمطران واحياء أخرى غيرها .

حي الوسط :

هو مطابق لاسمه واقـــع وسط المدينة بين الشرق والقبلة فيــه بيت الإمارة وقصور آ ل الصبــاح بأسرهم ، ودائرة القمرق (الجمرك) ودائرة المراكب البخارية ، وفيه السوق بأقسامه والصفاة[1] ، وبيت الشيخ الفاضل يوسف بن عيسى الجنــاعي واخوانه ، وبيت آ ل عبد الرزاق وآ ل بودي ، وهناك ايضاً بيت الفاضل ملا صالح رئيس الكتاب ، وبيت الحاج جبر والحاج شاهين الغانم وهما من آ ل زايد ، وبيت الشيخ احمد الفارس وبيت العداسنة قضاة الكويت ، والعالم التقي المرحوم الشيخ محمد الفارس ، وبيت آ ل زين وآ ل عبد الجليل وآ ل معرفي وبيتهم من اكبر بيوتات الشيعة في الكويت ، وفيه المدرسة المباركية والمكتبة الاهلية والنادي الادبي .

حي القبلة :

هو القسم الغربي من البلد وسمي (بحي القبلة) لان قبلة الكويتيين غرباً وجل القاطنين فيه من الاسر التي هاجرت من نجد او من البادية والكثير من اهل هذا الحي لهم ايادٍ بيضاء على الحركة العلمية والادبية في الكويت مثل آ ل خالد الكرام وآ ل النقيب الفخام وآ ل بدر النجبــاء ، واستاذنا الجليل الشيخ عبدالله الخلف ، والمحسن الكريم محمد الثنيـــان وغيرهم من الافراد والعائلات ، وفي هذا الحي من البيوت المعروفة ايضاً بيت الحــاج حمد الصقر

---

(١) الصفاة هي ارض واسعة اتخذت مناخاً للعربان الذين يفدون الى الكويت لعرض سلعهـم وبضائعهم في سوقها من ابل وغنم وصوف ودهن وجلود وقد يكثر فيها الزحام احياناً حتى ليتعسر التخلص للبصير ، فما بالنـا بالاعمى ، والى هذا المعنى يشير شاعر الكويت الشيخ صقر بن سـالم الشبيب بقوله :

ما في الصفـاة لذي عمى ... مثـل امور تحمـد ،
كم مرة قـد ضمني ... فيهـا زحام أنكد
كادت به عن جثتي ... نفسي العزيزة تفقد

الغانم وهو من اكبر المثريين .له تجارةواسعة في الهند واليمن والعراق ،وبيت آل الحميضي وهم من المثريين ايضاً وقد اتخذهم آل الصباح أمناء لهم ، وفيه المدرسة الاحمدية ، وفي اقصاه المستشفى الامريكاني ، وسنأتي بكلمة صالحةفيما بعد عمن له اثر من اهل هذا الحي في الحركة العلمية والادبية في الكويت .

حي الشرق :

هو القسم الشرقي من البلد يضم اخلاطاً من الفارسيين وبعض الاسر التي هاجرت مع آل الصباح مثل آل الرومي ، وهناك ايضاً بيت آل نصف [1] وهم من (الجلاهمة) وبيت صقر الغانم الذي سمل مبارك الصباح عينيه وهو من آل زايد . وفيه طائفة من الاعاجم السنيين والشيعيين وثلة من اليهود ، وفيه قصر السيد هاشم النقيب ، ودائرة معتمد الحكومة البريطانية، ومركز « التلغراف والبوسطة » ، وفيه طبيب على نفقة الحكومة الانكليزية ، وبيت هلال المطيري اكبر ثري في الكويت ، وبيت شملان بن على بن سيف وابراهيم ابن مضف ، وهؤلاء الثلاثة هم الذين هـــاجروا من الكويت ايام مبارك الصباح كما سيأتي في ترجمته ، وهناك بيت شاعر الكويت وبيت الاديب الحر عيسى القطامي صاحب دليل المحتار في علم البحار ، واكثر اشتغال اهل هذا الحي باللؤلؤ صيدا وتجارة بل جل تجار اللؤلؤ منهم ، والقليـــل منهم الذي يتعاطون الاتجار بغيره .

---

(١) من هذا البيت اديبان فاضلان الشاعر المجدد عبداللطيف بن ابراهيم آل نصف وهو شاب حر ذكي له من العمر عشرون سنة نؤمل ان يكون له مستقبل زاهرفيالشعروالنثروسنورد نبذأمنشعره الطلق ، اما الثاني فنصف آل نصف وهو من الشبــان الاذكياء الغيورين .

مساجد الكويت

في الكويت الآن نحو خمسين مسجداً ، منها نحو اثني عشر تقام فيها صلاة الجمعة وأما أقدم هذه المساجد فلا يعرف على وجه التحديد ولكنه واحد من ثلاثة : مسجد آل خليفة ومسجد ابن بحر ومسجد العدساني ، وكل هذه المساجد للسنة اما الشيعة فليس لهم إلا ثلاثة مساجد .

مسجد مبارك :

هو مسجد في حي (الجناعات) ومبارك الذي يضاف اليه قيل هو مبارك من آل فاضل وقيل من آل خليفة حكام البحرين وأمامه ارض واسعة تسمى (براحة مبارك) يطل عليها حمام للعجم هناك ، وفي هذا المسجد بئر يعتقد العامة ان ماءها يشفي من الامراض إذا استحم به الانسان ولا ريب في انه اعتقاد باطل .

مسجد آل خليفة :

وهو واقع على شاطىء البحر وينسب الى آل خليفة حكام البحرين وقد كان صغيراً فزاده مبارك الصباح زيادة كبيرة في زمن السلطان عبد الحميد وسماه (الحميدي) نسبة اليه ، وتقام فيه الجمعة .

مسجد ملا صالح :

اسمه الكريم المفضال ملا صالح بن محمد الملا رئيس الكتاب سنة ١٣٣٨

وقد أنفق على بنائه نحو ثلاثة وعشرين ألف روبيـــة وأوقف عليه اوقافاً عديدة من بيوت وحوانيت ، وهو من المساجد التاريخية في الكويت حيث وضع الشيخ سالم الصباح أول حجر في اساسه الشمالي ، وقد شيده في حي (الصالحية) وهو حي متوسط بين القبلة والمرقاب ينسب الى ذلك المحسن .

مسجد آل يعقوب :

هو في الحي القبلي اسسه (يعقوب) زعيم عائلة آل يعقوب المعروفـــة في الكويت اما أخيراً فحقه ان يسمى (بمسجد آل خالد) حيث قام بتعميره واصلاحه زعيمهم الاكبر الحاج المكرم حمد الخالد الخضير سنة ١٣٤٢ وبذل في ذلك ما لا يقل عن اربعة عشر الف روبية نعم يجب ان ينسب اليهم لانه بذلك الاصلاح حاز قسطاً وافراً من البهاء والجمــال وتغير عن شكله الاول تغيراً عظيماً ، ولله در الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي حيث يقول في هذا البيت الكريم بمناسبة اصلاح هذا المسجد :

لو قيل من هم في الكويت اولى المكارم والمحامد
الطيبون المحسنون على المدارس والمساجـــد
الراحمون الثابتون على المبادىء والمقـــاصد
لأجبتهم هذي الخلال تجمعت في آل خـــالد

وقلت أنا من قصيدة قدمتها الى الحاج المكرم حمد في ابان اصلاحه لهذا المسجد ايضاً :

هذي المدارس ناطقات بالذي ... يخزي لمن هو للحقيقة ينكر
اما المساجد فهي تشكر فضلكم ... شكر الرياض لوابـل لا يفتر
لا غرو ان شهد الجماد بفضلكم ... ان الجماد بكل فضل يشعر

مسجد العدساني :

كان في ابتداء امره صغيراً وقد شيده الذي نسب اليه ، ووسعه اخـيراً

محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم وزاده زيادة كبيرة ووقف عليه اوقافاً ، وهو الآن من اكبر مساجد الكويت وتقام فيــه الجمعة ، والعدساني الذي ينسب اليه هو احد قضاة الكويت السابقين .

مسجد السوق :

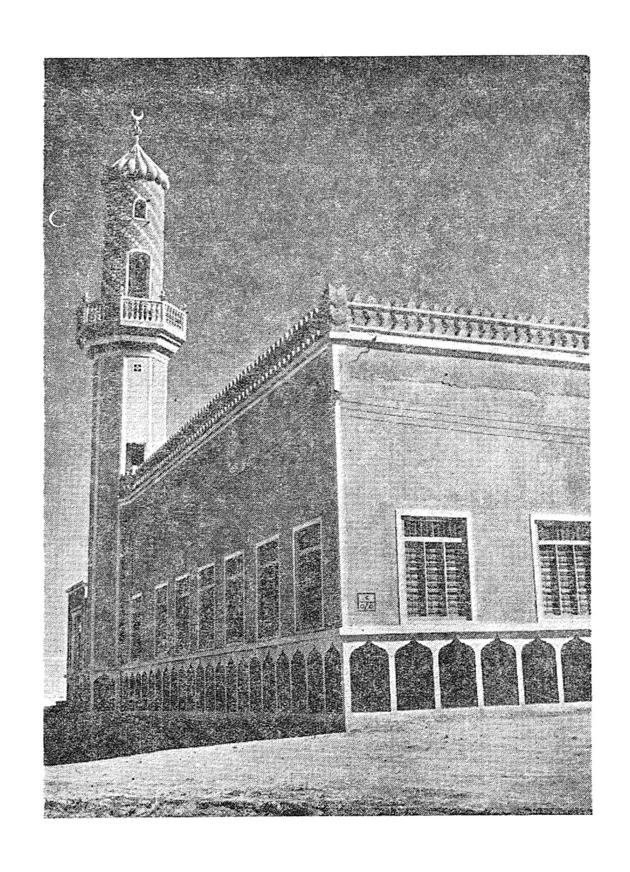
سمي بذلك لانه متوسط في السوق ، وكان في ابتـــداء تأسيسه صغيراً ولكن يوسف البدر زاده زيادة مهمة من ثلث (ابن دليم) وقد اوصى يوسف الصقر احدهم على شراء اخشاب من « المليبار » لتعميره فاشترى من احد التجار هناك ما يلزمه وعندما علم التاجر بانها لاصلاح مسجد امتنع عن اخذ الثمن وتبرع بها ، وكان الشروع في زيادته سنة ١٢٥٣ والى جانبــه مدرسة يعلم فيها القرآن الكريم وقد قام العلامة المرحوم الشيخ محمد بن فارس معتنياً بالتعليم فيها .

مسجد هلال :

هو مسجد في حي العوازم اسسه (عزران الدماج) ثم انتدب لتوسيعه هلال المطيري اكبر ثري في الكويت ، وقد صرف عليه اموالاً طائلة بحيث يعد الآن من افخر واضخم مساجد الكويت ، اوقف عليه حوانيت وبيوتاً عديدة ، وتقام فيه الجمعة بعد ان لم تكن ، وقد قال فيه وفي مؤسسه احدهم:

مسجد اسس على التقوى المبين	لجلال الله رب العـــالمين
مسجد قـــد اسست اساسه	من هلال الخير بدر الآمنين
نطق السعد لدى تاريخـــه	اسس البيت على التقوى المبين

ان هلالاً قد احسن كل الاحسان في اصلاح هذا المسجد وزيادته فان الحي الذي هو فيه في حاجة كبرى اليه ولكن يؤسفنا جد الاسف ان لا يكون لمدارس الكويت ومعارفها نصيب من ثروة هلال الطائلة التي ينظر اليهـــا الكويتيون بعين الاهتمام ؛ وهو يعلم ان الانفاق في سبيل العلوم والمعارف من الإنفاق في سبيل الله الذي يفوق الانفاق حتى في تأسيس المساجد ومعـاهد



مسجد بوابة الجهرة

أسس هذا المسجد دائرة الاوقاف العامة

بتاريخ ١٣٧٤/١١/١٧ الموافق ١٩٥٥/٦/٢٧ م . وقد بلغت تكاليفه ـ/١٠٣٣٢١ روبية

العبادة اذ لا تفيد العبادة صاحبها مع الجهل ، وان لنـا في هلال املا كبيراً بأن تصادف كلمتنا هذه الصادرة عن اخلاص محلا من القبول في نفسه لنقـلد جيده بعقد المدح والثناء في القسم الثاني من التاريخ .

مسجد سرحان :

ينسب هذا المسجد الى امامه الشيخ سرحان وهو عالم مالكي كان يدرس فيه الفقه وهو في حي الوسط .

مسجد آل نصف :

متوسط من الحي الشرقي ، اول من اسسه رجل من آل بطي وهـم من



المرحوم الحاج ناصر البدر

العائلات المعروفة في الكويت سابقاً ، وقد جهل تاريخ ابتداء تأسيسه ونهض راشد آل نصف اخيراً لتوسيعه وتعميره سنة ١٢٨٤ فكانت تقام فيه الجمعة

بعد ذلك ، ومدح احدهم راشداً آل نصف على احسانه بقصيدة قال فيها مشيراً الى التاريخ :

ان رمت تاريخاً لذي التعمير قل ذا بيت مال الجود والإيجاد

وآل نصف الذين ينسب اليهم المسجد الآن هم فرع من (الجلاهمة) الذين يقال انهم هاجروا مع آل الصباح .

مسجد آل بدر :

اسسه الحاج ناصر البدر في الحي القبلي من ثلث والده يوسف البدر المشهور سنة ١٣١٥ وهو من المساجد التي تقام فيها الجمعة ، واول من عين فيه اماماً وخطيباً استاذنا الفاضل الشيخ عبدالله الخلف الدحيان وقد زيد هذا المسجد حوالي سنة ١٣٢٨ بامر من الشيخ مبارك الصباح[1].

---

(١) اما الآن فيوجد في الكويت ٦٩ مسجداً جلها حديث البناء وهي تتبع لدائرة خاصة من دوائر الحكومة هي دائرة الاوقاف . كما وضع لهذه الدائرة مخطط لبناء ،من قبل دائرة الاشغال العامة، ليكون مقراً لها . ومن مشاريع هذه الدائرةالمقبلة تشييد جامع فخم يسع الآلاف من المصلين في الاعياد والاحتفالات الدينية . انشاء مكتبة عامة تحوي اهم المصادر العربية والدينية ، مما يساعد المواطنين في الحصول على المعلومات المطلوبة .

وتعتمد هذه الدائرة على الايرادات التي تأتيها من أجور العقارات التي تملكها ومن بعض الايرادات الطارئة .

قرى الكويت

من قرى الكويت الجهراء وفيلكا والدمنة والفنطاس والفحيحيل وابو حليفة والشعيبة .

الجهراء :

واقعة غرب الكويت وتبعد عنها تسعة عشر ميلا فيها من البيوت نحو مائة وسبعين بيتاً وتقدر نفوسها بنحو الف نسمة ، وفيها مسجد تقام فيه الجمعة وامير من قبل حاكم الكويت ، وفيها عدة آبار وبساتين ونخل تسقى من تلك الآبار ، وفيها قصران احدهما للشيخ مبارك وهو القصر الاحمر ، واما الثاني فلسعادة خلف باشا النقيب . وفيها حدثت الواقعة المشهورة بين الشيخ سالم الصباح وفيصل الدويش وقد احاطها سالم بعد تلك الحادثة بسور منيع في ١٧ ربيع اول سنة ١٣٣٩ وفي هذه القرية والواقعة المشهورة يقول شاعر الكويت :

يؤلم قلبي ذكرك الجهرة التي … بها مات من صحبي الكرام كثير
بها مات من لم يقض حق اخائهم … اذا ما سلا عنهم وعاش ضرير
فكانوا له عكاز صدق يعينه … اذا كثرت مما يخاف وعور

فيلكا :

هي جزيرة شرقي الكويت الشمالي تبعد عنها نحو خمسة عشر ميلا ، جل

اهلها من الهولة من فارس فيها امير من قبل حاكم الكويت ، ماؤها عذب زلال حتى الآبار التي على شاطىء البحر ولا يزيد عمق البئر عن ذراع واحد ، فيها من البيوت نحو مائتين ، ومن النفوس نحو الف ومائتين ، وفيها اربعة مساجد تقام في احدها الجمعة ، وآثار قرى دارسة منتشرة في طولها وعرضها منها الصباحية (ولها مقبرة واسعة) ومنها الدشت والقرين وسعيدة .

وفي فيلكا مزارع وبساتين ويشتغل اهلها بصيد السمك وبالزراعة وبالغوص ، وينبت فيها الجزر وشيء من الخضر ، وفيها مزارة قد فتن العامة بها فكانوا يذبحون لها وينظرون ويبتهلون اليها في قضاء الحاجات وابراء العاهات ويستغيثون بها في رد الغائب ومنح الاولاد الى افعال واعتقادات لا يقرها عقل ولا نقل . والمعروف من تلك المزارات خمسة : الخضر وسعد وسعيد والبدوي وابن غريب ، ولكن هذه الاعتقادات قد اخذت في التناقص والاضمحلال . وقد انجبت تلك القرية العلامة الشيخ عثمان بن سند العالم المشهور المالكي النجدي المتوفي في بغداد سنة ١٢٤٢ وقد دفن بجوار الشيخ معروف الكرخي .

الدمنة :

تبعد عن المدينة نحو خمسة اميال وتقع جنوبيها على ساحل البحر بين الرأس والشعب ، وكانت في ابتداء تأسيس الكويت محلا لصيادي السمك ولم تزل هكذا حتى شرعت من وقت قريب طائفة من العوازم في بنائها ، وقد بلغت بيوتها الى هذا اليوم نحو اربعين بيتاً ، وفيها من النفوس نحو ثلاثمائة نفس ، يعتمد اهلها على الزراعة والاشتغال بالصيد واستخراج اللؤلؤ ، وفيها مسجد اسسه محمد المدعج وقد مضت له مدة طويلة لم تقم فيه الجمعة وكنت اول من صلاها فيه إماماً وما زالت تقام فيه حتى اليوم وقد ضاق بالمصلين اخيراً فهب لتوسيعه وزيادته حضرة الامير الجليل الشيخ احمد الجابر الصباح حاكم الكويت سنة ١٣٤٣ .

وفي سنة ١٣٤٢ اسس الاستاذ الفاضل مصلح الكويت الشيخ يوسف

بن عيسى فيها مدرسة لتعليم الاطفـال القراءة والكتابة وكان المحرك الاكبر لتأسيسها الاستاذ العلامة المحدث الشيخ محمـد الشنقيطي في زيارته الكويت تلك السنة .

الفنطاس :

تبعد عن الكويت نحو سبعة عشر ميلا جنوباً وتقدر نفوسهـــا بنحو ثلاثمائة نسمة وفيها مسجد تقام فيه الجمعة وعدة بساتين .

بو حليفة :

وهي على مسافـــة عشرين ميلا من الكويت وهي تقع جنوب الكويت وجنوب الفنطاس ايضاً ، ويقرب عدد نفوسها من عدد نفوس الفنطاس .

الفحيحيل :

وهي على مسافة خمسة وعشرين ميلا من الكويت جنوباً وتزيد نفوسهـا على ستمائة نسمة .

الشعيبة :

وهي اقصى قرية في الجنوب وعلى بعد ثلاثين ميلا من الكويت . وجميع هذه القرى مطلة على الساحل الغربي من (الخليـج العربي[١]) .

---

(١) أما تقسيم الكويت الحديث فهو كما يأتي :

المدن : ١ ــ مدينه السالمية ٢ ــ مدينة الأحمدي ٣ ــ مدينة حولي . ٤ ــ مدينةالكويت.

القرى : ١ ــ الفنطاس ٢ ــ الفحيحيل ٣ ــ الجهرا ٤ ــ ابرق خيطان.
٥ ــ الفروانية ٦ ــ المقوع ٧ ــ جليب الشيوخ ٨ ــ العقيلية ٩ ــ مدينة العمال.
١٠ ــ عشيرج :

والتوزيـع السكني في الأحياء هو كما يأتي :

الضواحي : ١ ــ الدسمة ٢ ــ الشامية ٣ ــ الشويـخ ٤ ــ الصليبخات.
٥ ــ الايحات وكيفان ٦ ــ الفيحاء ٧ ــ القادسية ٨ ــ الدعية ٩ ــ الشعب .

بعض أماكن الكويت المشهورة

في غربي الكويت موضع يسمى (اعشيرج) تقطع منه الصخور التي يبني الكويتيون بها بيوتهم وهو شبه جزيرة في الجون وفيه اكواخ وحضور لطائفة من العوازم وقد شيد سلمان الرشدان فيه بركة أنفق عليها نحو تسعمائة روبية لحفظ ماء السيل هناك فعاد بفائدة كبيرة على الساكنين فيه جزاه الله على عمله ذلك خيرا ، وهناك ايضاً (الشويخ) وهو ملجأ للسفن من عواصف البحر ، وفي الشرق (بنيد القار) وهو أيضاً ملجأ للسفن من الزوابع وفي جنوبها (الدسمة) [1] وهي من موارد الكويت سابقاً وفيهــــا سدرتان وقد كانت في الايام الحالية مبرزاً للقوافل التي تزمع الرحيل الى الرياض والاحساء، وهناك ايضاً في الجنوب (البدع) و (النجفة) وهمـــا من متنزهات الكويتيين أيام الربيع .

الشعب [2] هو اسم لوادي يفضي الى البحر فيه أثل ونخل وسدر قليل يبعد عن المدينة نحو ثلاثة أميال جنوباً وكان من المتنزهات ايضاً سيما لآل خالد وقد رأى الشيخ سالم اخيراً ان يتخذه متنزهاً خاصاً له فبنى فيه قصراً على شاطىء البحر أقام فيه إحدى نسائه وكان يمضي فيه جل أوقاته

---

(١) يقصد المؤلف من ذلك وجود ماء عذب في هذا المكان .

(٢) بكسر الشين . وهو سيل الماء بين الجبلين .

لطلاقة هوائه وعذوبة مائه وجمال منظره فقد احاطت به كثبان الرمل التي يحاكي لمعانها ذهب الاصيل ويشرف المرء من اعلاها على منبسط فسيح من الارض واسع الاطراف لا ترى فيه عوجا ولا أمتا ، وقد أقام سالم فيه سداً



الشيخ سالم المبارك الصباح

من الرمل ليحفظ ماء السيل الغزير الذي ينحدر من أعلا الوادي فيبتلعه البحر وبذلك حفظ الماء وعاد السد بفائدة كبيرة ولو أقامه من الحجارة لكانت فائدته اعظم . توفي سالم فحل محله فيه نجله الاكبر سمو الامير الجليل الشيخ عبد الله السالم الصباح وقد بذل همة في اصلاحه حتى فاق ما كان عليه أيام أبيه وحتى امتزج جماله الصناعي بجماله الطبيعي .

شعب آل خالد : وهناك شعب آخر اسمه آل خالد الكرام حديثاً سنة ١٣٣٤ جنوب الشعب المتقدم يأوون اليه للنزهة ايام الصيف والربيع وقـــد بنوا فيه قصراً وغرسوا اثلا كثيراً ، ويبعد عن المدينة نحو ثلاثة اميال ونصف .

الرأس : هو لسان من الارض السهلة ممتد في البحر واقع في الجهة الجنوبية

من البلد ويبعد عنها نحو ستة أميال بين الدمنة والبدع ، فيه منارة بنتها الحكومة الانجليزية وجعلت في اعلاها مصباحاً ليهتدي به المسافرون ليلاً وفيه عدة اكواخ ومزارع صغيرة لبعض الخضروات وقد اتخذه الكويتيون ايضاً متنزهاً لهم ، وفي جنوبيه (البدع والنجفة) وفي هذه الاماكن يقول شاعر الكويت الشيخ صقر :

سقى الدسمة الغراء منهمر القطر ... ومد بها اطنابه مذهب الزهر
وعادت اخاها الشعب كل غمامة ... الى ان يعود الشعب اندى من البحر
لا زال يسقى البدع منهمر الحيا ... وصافح راس الارض بالانامل العشر
مواضع فيهـــا للسرور مواضع ... فلم الف فيها ساعة غير مستر

السرة [1] : هي اسم جبل مرتفع في ارض واسعة جنوب البلد الغربي في اعلاه قصر [2] بناه الشيخ مبارك الصباح وسماه (مشرفا) واتخذه مأوى له إذا ما أراد النزهة هناك وقد حمى آل الصباح الارض التي احاطت به لإبلهم وخيلهم وفيها مــاء عذب كان الكويتيون سابقاً يستقون منه وتبعد السرة عن المدينة بنحو سبعة اميال .

المعدنيات وملح والصبيحية : المعدنيات موضع يبيت فيه الحجاج قبل وصولهم الى الكويت فيقابلهم هناك اهلوهم واقاربهم ويخرجون لهم بعشاء تلك الليلة من البلد التي تبعد عنها نحو تسعة أميال .

وأما الصبيحة فهي مورد من الموارد الجنوبية وكثيراً ما يقطنهـا العربان ايام الصيف وسميت بذلك نسبـة لآل الصباح . وملح هو اسم الارض التي وقعت فيها الحادثة المعروفة بملح بين ابن السعود والعجمان كما سيأتي .

---

(١) السرة بضم السين . معناه منفذ الغذاء الى الجنين او تجويف البطن . وقد سميت قريتنـا هذه بالسره . لانها تشبه سرة الجنين بعد قطعها .

(٢) جدد هذا القصر الشيخ عبدالله المبارك نجل الشيخ مبارك الصباح الذي قام ببنائه سابقاً .

جزر الكويت :

في الكويت عدة جزر منهـــا : وربة ، بوبيان ، مسكان ، فيلكا ، عوهة ، كبر ، قارورة ، ام المرادم ، الجزيرة الكبيرة وتسمى ام النمـل ، والجزيرة الصغيرة وتسمى جزيرة الشيوخ .

وربة : اما وربة فهي عدة جزائر والكبيرة منها طولها سبعة اميـــال وعرضها اربعة ،وتقع في الشمال الشرقي من الكويت .

بوبيان : تقع شمال الكويت طولها شمالاً وجنوباً نحو اربعـة وعشرين ميلا وعرضها نحو ثلاثة عشر ميلا فيها حضور لصيد السمك يسمى راسهـا الجنوبي الغربي (راس البرشة) ويفصل بينها وبين الفـاوخور عبدالله وفي الجهة الشمالية من بوبيـــان شبه انهار دارسة وخوران خور الملح وخور آخر كبير .

مسكان : تبعـد عن الكويت نحو خمسة عشر ميلا فيهـــا مصباح للمسافرين ليلا تبعد عن البوية التي في خور البصرة نحو اثنين وثلاثين ميـلا وطولها ميل الا ربع وعرضها أقل من نصف ميل وتقع فيلكا جنوباً عنهـا والمسافة بينهما ميلان .

فيلكا : تبعد عن الكويت نحو خمسة عشر ميلا وطولها نحو ثمانية اميال وعرضها نحو ثلاثة اميال ، وقد تقدم الكلام عنها .

عوهة : تقع جنوب فيلكا الشرقي والمسافة بينها نحو اثني عشر ميـــلا ونصف ميل ،وطولها غرباً وشرقاً نصف ميل وعرضها ثلث ميل.

كُبَّر : جنوبي فيلكا وتبعد عنها نحو تسعة عشر ميلا ونصف،ومساحتها مثل عوهة .

ام المرادم : هي جنوب كبر ومساحتها مثلها ايضاً .

قاروره : هي في الجنوب الشرقي من كبر وهي جزيرة صغيرة تبعد عن

الكويت بنحو اربعة وخمسين ميلا .

الجزيرة الكبيرة : هي غرب الكويت فيها حضور للعوازم لصيد السمك واكواخ يأوون اليها .

الجزيرة الصغيرة : هي غرب الكويت فيها حضور واكواخ [illegible] اتخذها بعض الكويتيين منتجعاً لهم في ليالي الصيف يروحون [illegible] انفسهم بالتعرض لهوائها الطلق وجوها الصافي يبيتون هناك ثم يرجعون في الصباح ، وقد كثرت مداعبة فضلائنا لها بالمديح والذم شعراً [illegible] في قسم الادب .

آثار الكويت :

ليس في نفس الكويت آية آثار لانها حديثة العهد (كما علمت) ولكن بجوارها [illegible] آثار [illegible] قديمة [illegible] وقبور [illegible] التي [illegible] بعض [illegible] العقول انها قبور اناس صالحين .

اما العارفون فيرونها من آثار البرتغاليين الذين ملكوا بعض بلاد الخليج العربي ، اذ لا يبعد ان يمتد ملكهم الى تلك الجزيرة وبعضهم يرى انها من آثار الفرس الاقدمين .

ويرجح بعض الباحثين ان الجزيرة الكبيرة كانت مسكونة من بعيد ويؤيد ذلك ما يوجد فيها من آثار ، فقد عثروا هناك على صنم منحوت عليه كتابة غير عربية ، ولكن من عثر عليه حطمه بفأسه ولم يبق عليه جهلا منه بفائدة الآثار المادية والادبية وقد أسف الكولونيل (ناكس) قنصل انجلترا في الكويت [illegible]

(١) اكتشفت البعثة [illegible] في الجزيرة [illegible] آثار [illegible] ٢٥٠٠ ق.م [illegible] وهذه الآثار تختلف عن آثار الهند وآثار ما بين النهرين مما يشير الى ان حضارة خاصة قد نشأت في هذه المنطقة. كما ظهرت آثار يونانية تعود لزمن حملة الاسكندر ذي القرنين حيث كان من بين التماثيل تمثال لرأس الاسكندر [illegible].

عندما اخبر بما جرى اسفاً عظيماً وقال للمرحوم المكرم فهد الخالد الخضير الذي ابلغه الخبر (لو كان الاثر موجوداً لبذلت فيه دراهم طائلة) .

وعثر فيها آخر على جرار مختومة فيها تراب احمر ظنه لا يخلو من اجزاء نافعة ، وقد قال الكولونيل (ناكس) ايضاً عندما افضى اليه بالامر (ان تلك الجزيرة كانت مأهولة بالسكان من سنين عديدة وان اهلها كانوا يأتون بهذا التراب من مكان سحيق لانهم يعتقدون فيه اعتقاداً خاصاً) .

وشوهد في جنوب الكويت قرب (الشعيبة) قبور عليها آثار القدم لا تشبه القبور المعروفة اليوم في تلك الانحاء لا قبور الحضر ولا البادية من المسلمين .

ووجد في (الجهراء) آجر قديم تحت الثرى وقيل وجد قبور نصبت فيها الاموات طولا وكذا وجد هناك ايضاً في الجزيرة الصغيرة قطع من الخزف والآجر ، وهذا كله يدلنا دلالة واضحة على سكنى هاتيك الاماكن قبل تأسيس الكويت .

موارد الكويت :

كان الكويتيون اول ما نزلوا الكويت يشربون من آبار هي وسط المدينة وقد تحولوا عنها عندما أحاطت بها البيوت الى آبار اخرى تسمى (بالشامية) في جنوب البلد الغربي ، ثم هجروها بعد ان تغير ماؤها بقلة الامطار وكثرة الوارد الى (العديلية) و (النقرة) وهما موضعان متقاربان في الجهة الجنوبية وقد تركوهما ايضاً لاستحالة مائها وحفروا آباراً فياعلى الوادي الذي في اسفله (الشعب) فكان ماؤها عذباً زلالا وقد حصلت لاكتشافه رنة في الكويت حتى سموه لحلاوته (حوليا) واطلقوا هذا الاسم ايضاً على كل ما أعجبهم وكل شيء يستحسنونه وافرط بعضهم ففضله على جميع المياه بقوله :

ماء الحولي مثله ما دارا   من حسنه قد تيه الافكارا

ولكن بعضهم عارضه فقال :

يا مادحاً ماء الحولي مسرفاً   هلا مدحت الشط والانهارا

غير ان هذا الماء قد نكب ايضاً بتغيره وباستحالته الى مـاء اجاج افقده الاهمية الاولى فاخذوا يجلبون الماء من شط البصرة في السفن الشراعية وبذلك زالت عنهم بعض الأخطار التي كانوا يحاذرون منها ،ولكنهم اخيراً شعروا بخطر آخر لايقل عما كان يساورهم اولاً ، ذلك هو سكون الرياح اواشتدادها الذي قد يمنع السفن من السير أياماً عديدة فيقعون من جرائه في مشكلةعظيمة قد تقضي عليهم بسيف العطش والظمأ ،فاتقاء لذلك الخطر المداهم اتخذ الاغنياء بركاً لخزن الماء وقت الحاجة ومنهم من اتخذها للاتجار بالماء في مثل تلك الايام التي تتقلص فيها الشفاه من العطش ، تلك الأيام السود التي تبلغ القربة فيهـا اضعاف قيمتها وقت الرخاء ،تلك الايام السود التي ترى النساء والاطفال فيها يتهافتون على السفن تهافت الفراش على السراج وهناك المنظر المحزن الذي يفتت الاكباد ويذيب الصخور ، هناك المشهد الذي لايكون الغلب فيه إلا للقوي العزيز اما الضعيف الذليل فمهان محتقر وقد وصف تلك الحالة صاحبنا الاديب الفاضل خالد بن محمد الفرج الكويتي في قصيدة له ترد في حينها .

نعم هذه هي الحالة في الكويت ولكن القوم بعد ان قلبتهم الشدائد ظهراً لبطن وبعد ان ضاقت بهم الحيل هبوا يبحثون عن طريق يقلل آلامهم ويهوّن عليهم الأخطار . وأخيراً علموا ان ذلك لا يتم إلا بحفر الآبار الارتوازية في ربوعهم وادخالها لمصادمة نوائب الدهر وهي فكرة جميلة جداً حبذا لو تحققت وسارعوا في انجاز المشروع فان الكويت اذ ذاك عدا اتقائها لخطر الظمأ ستكون من الجنان ذات المزارع النضرة والبساتين الملتفة الاشجار وسيكون لها مستقبل زاهر، سيما وأرضها صالحة للزراعة لا يعوزها إلا الماء والأيدي العاملة .

تجارة الكويت

حالة الكويت الاقتصادية

التجارة هي الركن الاعظم لتقدم البلاد والسبب الاقوى لارتقائها . ومن هنا كان لها المقام الاسمى في العالم المتمدن والقدح المعلى بين جماعاته وأفراده لأن بحر المال لا يزخر إلا بها والمال هو اساس العمران وأصل الحياة. اذاً فمن الضروري أن آتي هنا بنبذة يسيرة عن تجارة الكويت منذ نشأتها الى يومنا هذا تكميلا للبحث وتتميماً للفائدة .

لاريب ان آل الصباح واخوانهم قد اخذوا باسباب التجارة منذ استوطنوا الكويت واتخذوها لان التجارة ضرورية لايمكن الاستغناء عنها ولأن الكويت ايضاً قاحلة لازرع فيها يغنيها عما سواها ولا صنائع تقوم بمايحتاجون اليه وأول بلد اتخذوها لهم مصدراً في حاجاتهم الضرورية والكمالية هي البصرة فكانوا يستصدرون منها الرز والقمح والشعير والتمر والخضر والفواكه والالبسة والاواني وما هو من هذا القبيل، كما اتخذوا بغداد سوقاً لتجارة اللؤلؤ ولم تكن سفنهم اذ ذاك لتتجاوز البلاد التي على ضفاف الخليج العربي نظراً لصغرها وقد ظلت التجارة لهذا مدة من الزمن وهي ضعيفة العرى ضيقة العطن سيما ولم يهاجر الى البلد من المثرين من يستطيع انشاء السفن الكبيرة او تسييرها الى الاقطار الشاسعة كالهند واليمن وسواها .

مرت التجارة على ايام صباح الاول كلها وهي في دور طفولتها اما بعد ان

قبض ابنه عبدالله زمام الحكم فانها تحسنت نوعاً ما وكان لها شأن غير الاول وذلك يرجع لاسباب عديدة .

احدها : كثرة المهاجرين اليها من المثرين والوجهاء سيما والد الشيخ احمد الرزق فقد كانت الكويت قبل هجرته اليها كما قال العلامة الشيخ عثمان بن سند في كتابه (سبائك العسجد) الذي الفه في ترجمة ابنه الشيخ احمد قال :

« هذا وحيث اشرنا الى بلده المصغرة وضما المكبرة بطلعته عظماً ورفعاً فنقول هي (الكويت)(بضم الكاف واسكان الياء بلا خلاف)على ساحل بحر العدان(بفتح العين) . في ضبط ذي الاتقان . لم تعمر قبل ورود ابيه العظيم الشأن الا ببرهة من الزمان . سكنها بنو عتبة ولهم في عنزه ابن اسد نسبه والذي يظهر انهم متباينو النسب لم تجمعهم شجرة أم وأب . ولكن تقاربوا فنسب بعضهم لبعض . وما قارب الشيء يعطي حكمه على الفرض . والمقدم عليهم حين ورد ابيه اليهم (عبدالله الصباح) . وفقه الله للصلاح . وكان لما قدم ابو المشار اليه . يفوض ابرام الامور ونقضها اليه . حتى انهم قبل وصوله شرذمة قليلة . ذوو مسكنة وذلة . وحين جعلوه لآرائهم قبلة . وفوض خواصهم الأمر اليه كله . شد أزرهم وسد ثغرهم . ورأب صدعهم . ونصب جمعهم فسما فرع الثروة في تلك البلاد . وطغى بحر المكارم وزاد . واقبل العز بعجزه وبجره . واطلع المجد في سمائها وجه قمره . وذلك ايام صغره فتصدر ابيه في اموره . ارهاصاً لظهوره . اهـ . »

اما نجله الاكبر الشيخ احمد الرزق الذي اشتهر صيته في الآفاق وتغنت بفضله الركبان ومدحه لكرمه الحاتمي كثير من الشعراء فقد كانت له تجارة واسعة زهت بها الكويت ولبست حلة قشيبة وكان حظها منه اعظم من حظ ابيه وقدره فيها اجل واكبر ولله در الشيخ عثمان بن سند حيث يقول في هذا المحسن الكريم في كتابه المتقدم .

« وقد ابرزته قدرة القادر من الرحم الطيب الطاهر . منتمياً لازكى

العناصر في بلدة مصغرة فكبرها حتى تبوأها وتديرها . ولعمري انـه أجل قدراً من ان يتخذها داراً .

شرفتها أوصافـــه الغر لما أن تسامى في دوحها وتعالى
وتعـالت على البلاد ولمـــا ان قلاها كانت بعيني (تفالا) [1]

وقال في موضع آخر ولقد اتجر في اللآلىء بثلاثة دنانير . اقترضهامن الوالي فبلغت في زمان قصير ثلثماية على التحرير كما رأى ذلك افضل مجالسيه والطف مسامريه . ا هـ .

الثاني : انشاء السفن الكبيرة التي تصل الى البلاد النائية والمرجح ان الشيخ احمد الرزق هو اول من استخدمها وقد عثر احد الافاضل له على كتاب بعث به الى احد ولاة بغداد ينبئه فيه بوصول اخشاب اوصاه عليها من المليبار في احدى سفنه التي كانت تسافر الى تلك الجهات وينكرفيه ممالأة الكويتيين لآل السعود في غزوهم العراق ويقول إن ما اشيـع عنهم هو من الأراجيف لأن الكويتيين يقتفون آثار حكامهم وحكامهم متعلقون بالحكومة العثمانية ومحبون لها

الثالث : كون الكويت اذ ذاك من المصادر التجارية لبعض البلاد كالشام ونجد والاحساء وارتياد اهل الكويت السفر اليها ايضاً للاتجار ولكنهـا مع هذا كله فقد مرت على حكم عبدالله وجابر وصباح وعبدالله الثاني ومحمد، والتغيير الذي طرأ طفيف لايذكر نسبة لما حصل في ايام من بعدهم من الحكام كمبارك وسالم فانها في تلك الايام تغيرت تغييراً عظيمـاً واتسعت اتساعـاً مدهشاً واليك الأسباب :

احدها : سهر مبارك على حفظ التجارة من السلب والنهب وميله الشديد الى شد عضدها بما له من قوة ومال وجاه وانزاله العقـاب الصارم بمن يعتدي عليها وعلى أهلها ولمبارك من الاخبار والحكايات في هذا المعنى ما سنلم بطرف منه في ترجمته ان شاء الله .

---

(١) كذا « تفالا » اي زبد بمعنى لاشيء .

الثاني : كثرة السكان والمهاجرين الى الكويت من نجد وفارس والعراق والاحساء لما كان يبديه مبارك من النشاط في اصلاح طرق التجارة وتسهيل اسبابها .

الثالث : كثرة السفن الكبيرة التي يتسنى لها الوصول الى البعيد من كثرة الاقطار كثرة لانسبة بينها والماضي .

الرابع : وهو من اظهر الاسباب، المعاهدة التي وقعت بين مبارك وانجلترة واتفاقه مع احدى الشركات التجارية لترسو بواخرها في ميناء الكويت للركاب والبضائع حتى اصبح التاجر بامكانه التردد على الهند في كل شهر بلا مشقة ولا عناء بعد ان كان ليس في استطاعته ذلك الا مرة او مرتين في السنة مع مايلاقيه من الصعوبات والاخطار ولا ريب ان قرب المواصلات بين الاقطار يديم دولاب الحركة التجارية ويفيض الارباح الطائلة على اهلها .

وكانت الاموال التي تحمل في المراكب البخارية من الهند قبل الاتفاق تنزل في المحمرة ومنها تشحن في سفن شراعية الى الكويت. وقد بقيت الحال كذلك مدة طويلة .

الخامس: وجود اللؤلؤ وكثرة المشتغلين به من اهل الكويت صيداوتجارة، حتى نجم من جراء تعاطيه تجار تعد ثرواتهم بالملايين من الروبيات بعد ان كانت بالالوف .

السادس: الحرب العامة فان التجارة في ايامها قطعت شوطاً بعيداً لم تقطعه في سواها وانهالت فيها الارباح والفوائد على المتاجرين بما ليس في حساب، سيما والكويت اذ ذاك كانت من البلاد التي تصل سلعها الى بعض الاقطار التي ضرب عليها الحصر البحري كالشام والحجاز والعراق ، بل ذهبت الى ابعد من هذا مدى، ذهبت الى الاستانة وتخللت اسواقها وقد بقيت الحال كذلك حتى آخر ايام مبارك وايام جابر كلها وجل ايام سالم وفي نهاية ايام الاخير حصل لها ذلك الانقلاب الفجائي وما زال يتفاقم الى يومنا هذا وهو يرجع الى ثلاثة امور .

احدها : الحصار الذي ضربت فيه الكويت اثناء الحرب كما سيأتي تفصيله في ترجمة سالم .

الثاني : نزول الاسعار بعد الهدنة فقد سبب ذلك النزول الفاحش خسائر فادحة ونقصاناً عظيماً على التجار ولم يقتصر على مـا ادخلوه في خزائنهم من الارباح بل جر بعض رؤوس الاموال بسلاسله .

الثالث : وقوع ازمة تجارية في الكويت اصبحت منها على شفا جرف من الافلاس ووصلت الى غاية كادت تذهب بالعين منها والاثر ازمة عظيمة جداً فبعد ان كنت ترى الاسواق غاصة والحوانيت مملوءة وبعـد ان كنت ترى القوافل الواحدة تلو الاخرى آتية ذاهبة بعد هذا كله اصبحت في حالـــة يرثى لها من البؤس والشقاء حالة اذا استشعرها الحكيم علم ان البلد صائرة الى الخراب ومشرفة على الفناء ان لم يتدارك امرها ففي كل يوم للافلاس فيها مناد وللفقر المدقع داعٍ وأسباب ذلك كله مشكلة بين الكويت ونجد لم يهتد الى حلها بما يكفل مصلحة الجميع.ولعلك تسألني مـا هي تلك المشكلة التي نزل جندها على رأس التجارة هناك فهشمه واعدمها النفس والحركة اني سأجيبك عنها بمداد من الاسس .

المشكلة التجارية
بين الكويت ونجد

كانت الكويت هي البلدة الوحيدة التي يستدر اخواننـــا النجديون من ضرعها الحافل الخيرات والفوائد ، هي التي من اجلهـا ظهر في نجد تجار مثرون ضربوا من الغنى بسهم وافر ، هي البلدة التي يفد اليهـا الفقير المجهول منهم وهو خالي الوفاض ،صفر الكفين ،ثم لا ترجع القافلة التي اصطحبها إلا وهو واحد من تجارها المعدودين ببضائعه المتنوعة وسلعه الثمينة لانه في تلك اللحظة القصيرة التي أقامها هناك احكم رابطة التعارف بين كثير من اهلهـا فكان له منهم اخوان وأصحاب هذا يقرضه مالا ليجني ثمرته وذلك يقدم اليه

ببضائع يتاجر بها ولا يزال هذا دأبه بين نجد والكويت حتى يعد من التجار الماليين في مدة وجيزة .

مضى دهر طويل والحال كذلك والمصالح متبادلة بين القطرين والكل مغتبط بصاحبه. ولكن في اخريات الايام أصيبوا بعين حطمت سدود الاتصال بينهم .رأى عظمة سلطان نجد ان يكف رعاياه عن الاتجار مع اهل الكويت ويصرفهم الى بلاده كالقطيف والاحساء والجبيل فاصدر امره البات بالمنع وان من يخالفه يعرض نفسه لخطر هائل .جرى ما سمعت ولكن على غير رغبة من رعيته . وبالطبع لا يكون وهم يرون الكويت امهم الرحيمة وحياتهم المنعشة وثروتهم الواسعة ولقد فوجئوا من جراء ما حصل بمصائب لا تقل عما اصيب به الكويتيون وحاولوا مراراً من عظمة السلطان ان يمن عليهم بما يخفف عنهم الويلات فلم يجبهم الى ما يريدون .

ماذا يريد بن سعود

من منع رعيته عن الاتجار مع الكويت ؟

يريد ان لا يجني ثمرتهم غيره ولا ان تمتلىء خزائن سواه منهم وخزائنه فارغة . وقد صمم على ان لا يتنازل الا اذا قبل الكويتيون احد ثلاثة امور: امـــا ان يجروا له راتباً سنوياً يسد به حاجته او يسمحوا باقامة موظف في سوق الكويت لقبض الرسومات من رعاياه او يقيموا هم بانفسهم من يقبض تلك الرسوم ثم يرسلونها اليه .

اما وجهاء البلد فرأى جلهم اجابته الى احد هذه الامور وعارض القليل منهم . وقال المعارض يؤسفنا جداً ان لا نرى مسوغاً لما رمى به عظمته الكويت . فهو مع كونه من العقوق ليس بيد صاحبه حجة وجيهة تبرر ما أتى فالتجارة حرة ومنذ وجدت في سائر الاقطار والأزمان وبين جميع الامم والقبائل ،سيما من لم يسر بينهم سم العداء زيادة عليه فالكويت لم تصب بمثل تلك المصيبة السوداء حتى ممن أغصها بالريق ومنهم اسلاف عظمته في

نجد مع انها لم تحسن اليهم كما أحسنت اليه ولم تشملهم بعطفها كما شملته وذويه ولا ريب ان معاملة كهذه تذيق المروءة الحمام وترمي المعروف بنكبة لا تندمل منها جروحه وتجتث الفضيلة من أساسها. ثم لو كان ما وقع هو في آخر أيام مبارك او في ايام سالم التي ناصبه فيها العداء لكان هناك عصا يتوكأ عليها عظمته وان كانت نخرة . اما وهو لم يقع إلا في ايام هذا الامير الجليل الحبيب المسالم الذي ستعلم من ترجمته قوة الصلة بينهما فاللوم على عظمته شديد جداً .

واذا كان غرض عظمته كما يقول المصلحة التي يجنيهـــا من رعاياه ففي استطاعته الجمع بين الامرين اذا ما اقام رجالاً على المياه التي لا يمكن للخارج من الكويت الى نجد المرور على غيرها . ولكن الذي يتراءى لنا انه لم يقم بتمثيل هذا الدور إلا لتنفيذ اغراض كانت تجول في خاطره نحو الكويت على انا نرى الرضوخ لتسليم الراتب السنوي له يعد من التدخل في شؤون الكويت الداخلية وهذا يقضي على ما لها من استقلال وهو أمر لا يقبله عاقل ملك الامر بيده وقد يهون كل هذا ونعذر عظمته ببعض العذر لو كان ما كان في مصلحة رعيته ولرعيته من ورائه منافع وفوائد اما وهو لم يندفع اليه إلا لمصلحته الشخصية غير ناظر الى ما يجر من البلاء عليهم ولا الى ما يصابون به من البوار فهناك المجال الواسع في تأنيبه لان رعيته هم السلاح الذي به يقاتل والحصون التي بها يلتجىء والنبال الصائبة التي يرمي بها صدور اعدائه بل هم كل شيء ولا بقاء له إلا ببقائهم ولا ثروة ينالهـا إلا بثروتهم فاذا ما نكبوا بالفقر وضربوا بالافلاس جروه في معيتهم الى الهوة السحيقة التي هم اليها سائرون . هذا ما يقوله الفريق المعارض وهو كما ترى من القوة بحيث يصعب الجواب المقنع عن جميعه .ولكني مع هذا كله اضم صوتي الى الفريق الآخر ، ذلك لان الكويت لا خوف عليها من عظمة السلطان ومطامعه ما دامت على معاهدة مع انكلتره التي لا يمكنها ولها فيها شيء من المصالح والامال بغض النظر عمن يحاول ابتلاعها مهما كان جنسه ومهما كانت المنافع

التي تجنيها من ورائه نظراً لاهميتها الجغرافية والسياسية في الخليج .

أما النفرة من الراتب السنوي لتلك الاعذار فليس بشيء لان الضرورات لها احكام ولان الوقت ايضاً يخولهم الاشتراط عليه في ابتداء الامر ما شاؤوا بما لا يستطيع التفلت منه . واذا ما اراد ذلك هدت ارادته بتلك المعاول والفؤوس على ان الفريق المعارض مع هذا لم يتخذ احتياطاً لدرء الخطر المحيط بالفقراء ولا بالتجارة فيكون لتصلبه وتشدقه مبرر .

صنائع الكويت

في الكويت من الصنائع : النجارة والحياكة والحدادة والصياغة والبناء وهذه وان كانت هي امهات الصنائع في العالم المتمدن غير ان الكويتيين لم يستخدموها إلا في الضروريات كالابواب والشبابيك والسفن الشراعية واكبر سفينة صنعت هنـــاك تسع ستة آلاف من التمر ، أي ما يقارب خمسمائة (طن) وصياغة أنواع كثيرة من حلي النساء .

وعمل السكاكين والمطارق وآلات الهدم وغيرها وبعض الأواني البيتية وأباريق القهوة والمراجل الكبيرة والصغيرة .

حاصلات الكويت
وصادراتها

الكويت كما قلنا آنفا ليست بذات زراعة ولا صناعة . ومن هنا فليس لهـــا من الحاصلات والصادرات ما يستحق الذكر الا اللؤلؤ والدهن والصوف وجلد البهم والثعلب والبقر وفرو الغنم والطماط [1] واهمها اللؤلؤ بل لولاه لما كانت الكويت كويتاً ولما اصبحت ذات قيمة ولهذا فاني ساتحدث الى القراء بفصول طويلة عن هذا الجوهر الثمين وعن كيفية العمل في استخراجـــه علماً مني بتشوقهم اليه .

اهمية اللؤلؤ في الكويت

للؤلؤ في الكويت اهمية عظمى يشعر بها كل فرد من اهلهـا صغير وكبير

وفقير وذو مال ، ولداهمية في كل مايتعاطونه من الاسباب .

فاذا ما كسد سوقه تصاب بضنك من العيش وضيق ويصاب اهلها بما يدع الحليم من جرائه حيران .

انظر الى الكويت في عام كساد اللؤلؤ وقد نكبت بكساد تجـارة ذلك الجوهر الثمين تجدها مع ما اصابها من العوامل التي اسلفناها كالسفينة المتضعضعة التي تتقاذفها الامواج ولا تدري متى تلبي نداء الغرق انظر الى اهلها على اختلاف طبقاتهم فالفقير يئن ويشتكي ويتضور جوعاً والغني يدعو بالويل والافلاس ليغلق ابواب الامل والرجاء به امام المحتاجين الى فتات خـبزه المضطرين الى ما تسقطه سفرته من الطعام والعظام .

اقسام المشتغلين باللؤلؤ : الجم الغفير من اهل الكويت يشتغلون باللؤلؤ وهم يقسمون الى قسمين المباشرون لاستخراجه من البحر والمساعدون لهم على ذلك ويسمون (غواويص) جمع (غواص) والمتـــاجرون به يسمون (بالطواويش) جمع (طواش) وهؤلاء يقسمون الى قسمين من يشتري اللؤلؤ من (الغواويص) لبيعه في البحر وهم صغارهم ومن يشتريه منهم ومن سواهم ليعرضه في احد اسواق اللؤلؤ امـا في الكويت او في البحرين او بمبي وهم الكبار منهم .

اسماء السفن التي تسافر الى الغوص : لتلك السفن اسماء مختلفة وهي (شوعي) (سنبوك) (بقيل) (بجالبوت) (بوم) ومنها كبيرة تسع لمتين او سبعين شخصاً وصغيرة لا تسع الا خمسة او ستة وقد بلغت في بعض الاعوام سيما في زمن مبارك الصباح نحو ثمانمائة سفينة [illegible]

وقت استخراج اللؤلؤ : لا يسافر الغواصون لاستخراجه الا إذا دفئ البحر لانهم لا يطيقون مزاولة العمل مع شدة البرد .

والوقت الذي يستغرقونه هناك نحو اربعة أشهر تقريباً غير انهم في اثناء العمل يذهبون الى البلاد القريبة منهم كالبحرين والقطيف ودارين للاستراحة

من التعب ولاخذ ما يحتاجون اليه من طعام وشراب وغيره او لاصلاح السفن فيمكثون ثمة يومين او ثلاثة فيكون ذلك في الشهر مرتين او ثلاثاً ويسمون اقامتهم تلك (جدافاً) .

صعوبة العمل

ليس عمل استخراج اللؤلؤ سهلا يطيقه كل من حاول ،بل هو من الصعوبة بمكان عظيم غير انه يخف احياناً ويشتد اخرى ،فاذا كان البحر دافئاً فعملهم يستمر النهار كله الا القليل لينفضوا عنهم التعب او ليؤدوا الصلاة وان كان فيه قليل من البرد فعملهم يكون اقل واستراحتهم اكثر، وبعبارة اخرى يكون عملهم متعاقباً فقوم يغوصون وآخرون يستريحون فاذا كلّ الاولون نزل الآخرون وهكذا اما اذا قطعوا ثمرة الارض التي ارسوا فيها فانهم يتحولون الى غيرها وفي اثناء تحولهم يتركون العمل ايضاً .

زعيم الغواصين

ولهم زعيم لا يرجعون الى وطنهم إلا باشارةمنه . فاذا انتهت المدة المعينة لهم من قبل حاكم البلد اخذوا ينتظرون الاشارة من زعيمهم وما هي تلك الاشارة ؟ هي مدفع يثور من سفينة بالفضاء فاذا ما سمعوا دويه تركوا عملهم وشرعوا بأهبة السفر فنشروا أجنحة سفنهم آمِين ديارهم . لا يلوي احد على احد وقافلين الى اهليهم ولهذا يسمون رجوعهم ذلك (قفالا) فاذا ما شاهدوا الكويت ولاحت لهم قصورها اطلقوا المدافع شكراً لله على وصولهم سالمين وبذلك ينتهي (الغوص الكبير) ومنهم من إذا استقر عند اهله أياماً رجع مرة اخرى يسمي هذا السفر (ردّه) والمسافرون (رداده) ولم ينطقوا بمفرد وعلى مقتضى لغتهم يكون (رادا) .

وظائف اهل السفينة

لكل طائفة من الغواصين الذين تضمهم السفينة وظيفة تقوم بها والمهم تتميز به عن غيرها فالغاصة يغوصون لاستخراج اللؤلؤ ويسمون (الغاصة) الجمع

(غيص) والقائمون على رؤوسهم لخدمتهم في ذلك العمل يسمون (سيوبا) جمع (سيب) ومنهم من تكون وظيفته كوظيفة (السيب) الا أن عمله اقل كلفة وأسهل ويسمى الواحد رضيفاً والجمع (رضفاء) ومنهم من يبحث عن اللؤلؤ في البحار الذي يلقي على ظهر السفينة بعد اخذ ما فيه رجاء أن يجد فيه شيئاً غفلوا عنه ويسمى الواحد (تبابا) والجمع (تبابه) وما يجده يكون جزاء لبعض الخدمة التي يقوم بها في السفينة اما الناظر على الجميع والمدبر لامر السفينة في حلها وترحالها والمباشر لهدايتها في ظلمات البحر فيسمى (النوخذا) وهو الرئيس .

الخدمة في السفينة : يقوم بخدمة السفينة (السيوب) و (الرضفاء) و (التبابه) اما الغاصه فلا يباشرون من الخدمة شيئاً بـــل زيادة عليه فالسيوب والرضفاء هم الذين يقومون بخدمتهم ايضاً ومن هنا كانت وظيفة الغيص اشرف من وظيفة السيب واخوانه لا عند الكويتيين وحسب بل عند جميع اهل الخليج العربي ويبلغنا ان بعض نساء تلك البلاد لا يحتجبن إلا عن الغاصة دون السيوب لانهن يعتبر الاولين كالسادة والآخرين كالخدم على ان الخدمة التي يقوم بها السيوب شاقة جداً سيما اذا ارادوا الانتقال من مكان الى آخر وكان الهواء ساكناً فانهم يضطرون حينئذ الى اجراء السفينة بقوة سواعدهم بالمجاذيف التي اعدوها لهذا الوقت فاذا ما كان المنتجع بعيداً فلا تسل عن المشقة التي تصيبهم والتعب الذي ينتابهم .

ما يستعد به الغواص لنزول البحر : هناك اشياء كثيرة يستعدون بها لتسهيل الوصول الى قعر البحر فمنهـــا حجر ثقيل من الرصاص او غيره له عروة من حبل ومنها عظم نحت طرفه وبقيت له قاعدة تمسكه عن الانفصال يسمى (فطاما) وحبلان طويلان احدهما يسمى (ايدى) والثاني (زيبلا) وشيء يشبه الزمبيل له عروة واسعة يسمى (ديينا) ولباس اسود وفيما يأتينا ذكر وظائفها جميعها .

الاعمال التي يتوصلون بها الى قعر البحر : لهم ثلاث طرق يستعملونها

لتوصلهم الى قعر البحر تسمى (الحجاري) و (الايدي) و (والرواسي).

الحجاري : اما الحجاري فيضع الغيص رجله في عروة الحجارة ويقبض على انفه بالفطام لئلا يدخل فيه الماء ويعلق عروة الديين في رقبتـه ويقبض الحبل الذي ربط بعروة الحجارة بيده والطرف الآخر بيد السيب فاذا مـا أراد النزول افلت يديه مما كان متعلقاً به فتجره الحجارة بقوتها فاذا اصابت رجله الارض اخرجها من عروة الحجارة وافلت الحبل من يده وطفق يسبح في الارض باحثاً عن ضالته فتارة يعتمد على الارض اذا خشي ان ترفعه قوة الماء وتارة يمشي وهو في اثناء ذلك كل مـــا وجد شيئاً من (المحار) وضعه في المستودع (الديين) ولا يزال هذا دأبه الى ان يحس بانقطاع نفسه فهناك يضرب الارض برجله ويصعد ومنهم من يصل الى سطح الماء وفيه بقية نفس ومنهم وهو القليل النادر من يوشك على الانقطـــاع قبل ذلك فتخور قواه وتضعف عزيمته ويعرض لخطر عظيم سيما اذا لم يشعر به احد من اخوانه .

عمل السيب : اما السيب فانه اذا احس بوصول صاحبـــه إلى الارض وافلاته الحجر والحبل سحب اليه الحجارة ثم علقها في المجداف ليتعلق بهـــا صاحبه بعد خروجه للاستراحة فاذا صعد واعطي السيب مـــا وجد من (المحار) بقي قليلا ثم رجع الى عمله مرة اخرى وهكذا والظـاهر انهم لم يسموا هذا العمل بالحجاري الا للحجارة التي يعتمد عليها (الغيص) في نزوله.

الايدي : واما الايدي فالعمل فيه كسابقه الا انه أشق منـه وأصعب ويزيد عليه وجود حبل ثان ، فاذا مـــا اراد النزول قبض على الحبلين معاً وبوصوله قعر البحر يفلت حبل الحجارة ويمسك الحبل الثاني ويعمل كعملـه الذي وصفنا الا انه اذا احس بانقطاع نفسه حرك الحبـل الذي بيده تنبيهاً للسيب فان أحس السيب بحركته وبادر يجره اليه جاز العتبة وان تغافل او لم يحس به فالخطر الذي يحيط به عظيم جداً فبذلك الحبل حينئذ حياتـه ومماته . أما اشتقاقه فالظاهر انه من اليد لقبض (الغيص) على الحبل بيده الى ان ينتهي عمله .

الرواسي : واما الرواسي فصاحبه لايعتمد فيه على شيء غـــير نفسه ولا يكون الا في بحر غير عميق فـاذا اراد العمل جعل رأسه اسفل ورجليه اعلى ثم اعتمد بقوة يديه ورجليه الى ان يصل الارض ويعمل هنـاك كما يعمل فيما مضى . والظاهر ان اشتقاقه ايضاً من الرأس .

الاجرة التي يأخذها صاحب السفينة : ان اعطى الشخص سفينته لقوم واعطاهم مع ذلك ما يطلبون من النقود فيكون له هنا خمس حاصلهم . وان لم يعطهم الا ما سمحت به نفسه فهذا يكون له ايضاً خمس حاصلهم الا انه يؤخذ منه لكل (غيص) ما يقابل خمس سهمه او ربعه على مقتضى الشرط ويعطى له وحده. اما السيب فلا يناله منه شيئاً وان اعطاهم لقوم مشتركين في العمل ولم يعطهم شيئاً اصلاً فهنا يكون له نصف الحاصل لاغير .

توزيع الحاصل على العمال : يؤخذ من الحاصل قبل كل شيء اجرة صاحب السفينة ثم قيمة ما استهلكوه من طعام وشراب وغيره ثم يوزع الباقي على العمال (فالنواخذا) له سهم كامل (والغيص) كذلك امـــا السيب فيعطى ثلثي (الغيص) (والرضيف) نصفه والتباب له مـا وجده في المحار من اللؤلؤ ، وهناك شخصان آخران لكل منهما كسهم (السيب) احدهما المباشر للطبخ والثاني (النهام) وهو المطرب لأهل السفينة بما ينشده لهم من الاشعار النبطية عندما يباشرون خدمة السفينة ولحاكم البلد سهم كامل كما للغيص .

اهوال البحر : يحكي الغواصون اموراً غريبة مهيلة عما يشاهدونه في قاع البحر فمن كهوف عظيمة الى اودية غزيرة ومن غابات مظلمة إلى قيعان موحشة ومن جبال عالية الى كثبان مرتفعة حتى لقد ترسو السفينة وقعر البحر قريب منها فاذا ما مالت يمنة او يسرة بعد عنها قاع البحر وهناك من الاهوال اشياء يتناقلونها هي حديث خرافة وبعضهم يعتقد حقيقتهـا . ذلك زعمهم مشاهدة رجال ونساء من الجان بين صخور البحر وكهوفه . وقد روى لنا احد الغواصين حكاية وقعت له بنفسه في ذلك الوقت فقال : كنت مع اصحابي يوماً في مغاص اللؤلؤ فنزل احدهم الى البحر، ولم تكد تطأ رجله الارض حتى صعد الينا مرعوباً

واخبرنا بانه شاهد امرأة من الجان جالسة وعليها عباءة سوداء واتى لزيادة التأكيد بشيء من اوصاف العباءة لصاحبه فرأى احد اخوانه ان ينزل ليتحقق الخبر فجرى له مثل ماجرى لصاحبه ثم نزل الثالث والرابع ، وهكذا حتى تكامل جميع من كان في السفينة وكلهم اتفقوا على صدق ما قاله الاول . قال محدثنا فلما رأيت الكل اضربوا عن العمل لتلك الحادثة رأيت ان اكشف الحقيقة بنفسي ولكنني عندما نزلت وجدت الامر كما قالوا فدهشت واصابني من الرعب ما كاد يضطرني الى الخروج غير ان نفسي ابت علي ان يتحدث الناس عني باني جبنت فصممت على حل المبهم ولو كان فيه القضاء علي فأقدمت عليها ولويت بيدي على عنقها وانا مغمض العينين فما شعرت الا والدم يجري من يدي فعلمت حينئذ اني اصبت صخرة سوداء تلبست بعباءة. ولا تسل عن فرحي عندما عرفت الحقيقة قال : ولكني أردت مداعبة اصحابي فلبست العباءة وخرجت عليهم فرموا انفسهم في البحر وتركوا السفينة وما فيها اذ اعتقدوا ان المرأة قضت علي وجاءت لتقضي عليهم ايضاً ولم يتراجعوا الا بعد سماعهم صوتي .

فبهذه الحكاية تنجلي الغمة وينحل الاشكال فالمخبرون بما قصصنا عليك أتوا من عدم تثبتهم لان ما شاهدوه هناك انما هو ملابس رجال ونساء سقطت من السفن التي تمخر في البحر فلبست تلك الصخور .

هوام البحر ومؤذياته : في البحر هوام كثيرة واسماك مؤذية فمنها (الجرجور) و (اللخمة) و (الدجاجة) و (الرماي) و (الدول) أما الرماي فله شوك غليظ ومن الغريب انه اذا اصاب احداً بشوكه فحك المضروب الموضع بشعر رأسه سكن الالم وأما الدجاجة فما هي الا سمكة لها شوك مسموم سميت بذلك لان صوتها يشبه صوت الدجاجة . واذا شوهدت سابحة في البحر ناشرة جناحيها يخالها الرائي كالدجاجة البرية وليست هي دجاجة حقيقية كما يتبادر الى ذهن البعض واما الدول فهو ابيض لايعرف رأسه من ذنبه كأنه قطعة شحم غير انه أصفى منه وهو لين جداً الا انه يحرق

بلسعه فكأنه المعني بقول الشاعر :

لا يغرنك لين من فتى ان للحيـــة لينا يعتزل

ما يستعمله الغواصون من الحيل للتخلص من تلك الهوام : يستعمل الغواصون لذلك حيلاً عديدة فمنهم من اذا ابصر (الجرجور) التصق بالارض فان لم يره وذهب خرج مسرعاً وإلا بقي في مكانه الى ان يبتعد عنه فان خشي انقطاع نفسه قبل ابتعاده خرج مضطراً واخذ معه عدة احجار فاذا ما تبعه رمى له حجراً ليشغله به حيث يظنه فريسة وهكذا الى ان ينجو منه ان قدر له ذلك ومنهم من يثير تراب الارض ليختفي فيه ومنهم من اذا نجا صاح صياحاً عالياً ليعلم من في البحر من اصحابه بوجود ما يخشى منه وهم قد علموا ان ذلك لا يكون إلا لوجود خطر .

اسماء الجهات التي يغوصون فيها : لتلك الجهات التي يغوصون فيها من البحر أسماء مختلفة ولها حدود تتميز بها عما سواها تعرف بعلامات برية من جبل أو غيره او بمقياس يقيسون به عمق البحر وهو حبل من قطن في اسفله قطعة من رصاص يسمى (بلدا) وتسمى تلك الجهات (اهيرات) جمع هير واظنها محرفة من الهجرة لأنهم اذا قطعوا حاصل الارض هجروها الى غيرهـــا أو هاجروا منها الى سواها .

كيف يوجد المحار في قعر الارض : من المحار ما يكون مرتكزاً في الارض بحيث يصعب قطعه وهو ما كان بـين الصخور والاحجار ومنه ما يكون ملقى على وجه الارض لا شيء يمسكه وهو ما كان بين الرمال .

سماء المحار : للمحار اسماء مختلفة وهي (محاره) (صديفي) (فصمه) (زوان) (عيسرين) وهناك شيء يسمى (خواليف جمع خالوف) وهو كالمحار إلا انه مستطيل ويوجد مرتكزاً في الارض ولم يعلم أن فيه لؤلؤاً إلا من نحو ثلاث سنين او أربع .

كيفية استخراج اللؤلؤ من المحار : يجمع الغواصون محار كل يوم وبعد

طلوع شمس اليوم الثاني يهبون الى منبع رزقهم بلهفة شديدة وكيفية الاستخراج ان يأخذ الشخص بيده اليمنى حديدة ذات نصاب تشبه السكين تسمى (مفلقة) لانها آلة الفلق ويأخذ المحارة باليسرى فيدخل طرف المفلقه بين طبقتي المحارة فبقوة اعتاده تنفصل احداهما عن الاخرى ثم يبحث عما يريد بين طيات لحم المحاره .

الفص : من اللؤلؤ ما يكون ناتئاً في باطن المحاره كالدمل مغطى بمادة صدفية يسمى (فصاً) قد يكون لؤلؤة ثمينة وقد لا يكون . ومن هنا كانت المحارة التي يوجد فيها لا ترمى كما يرمى غيرها بل تحفظ لتباع وكم من محارة بيعت بقيمة تافهة فلما جلي عن فصها غشاؤه برزت لؤلؤة نفيسة كان من ورائها ثروة طائلة لصاحبها ومما جرى من هذا القبيل ان رجلا عارفاً ابصر محارة ذات فص وضعها صاحبها غطاءً لبعض اوانيه زهداً فيها فعلم الرجل ان فيها لؤلؤة من اغلى اللآلىء فاشتراها من صاحبها بالف روبية وبعد عمله للفص برزت لؤلؤة بيعت بقيمة غالية تضاربت فيها الاقوال ادناها ثلاثون الفاً من الروبيات . ولكن قد يحصل ايضاً ضد ذلك فسرعان ما يجلي الثوب عن الفص فيتبين انه لا شيء ويذهب الثمن هباء منثورا .

اسماء اللؤلؤ : تسمى اللؤلؤة الواحدة (حصبات) والجمع (حصابي) وللحصبات اسماء مختلفة تعرف بواسطة الغرابيل التي اعدت لذلك فما لا يسقط من الغربال الاول يسمى (رأساً) وما يمسكه الثاني يسمى (بطناً) وما يبقى في الثالث يسمى (ذيلاً) والباقي يسمى (سحتيتا) واكبر لؤلؤة جميلة وزنها تسع عشرة (حبة) والحبة مقدار ست قمحات .

درجاته في الحسن وصفاته وألوانه : أجمله يسمى (جيونا) ثم (خشناً) ثم (قولوة) ثم (بدلة) ثم (ناعماً) ثم (بوكة) وما كان كامل التدوير يسمى (قولا) والذي كنصف الكرة (بطن الهند) وما يشبه البيضة (بيضياً) ومخروط الشكل (تنبولاً) والذى كنصف الكرة إلا ان قبته فيها بعض الاستطالة (كاووكياً) واغلى الوانه الابيض المشرب بحمرة إذا

كان كامل التكوير . ثم يليه ما كان مشرباً بحمرة اشد من الاولى ويسمى (نباتياً) واما ما كان ممزوجاً بخضرة فانه رديء لا قيمة له ويسمى (قلابيا) وما كان لونه كالزجاج (زجاجياً) وما كان لونه كالسماء (سماوياً) وما اشتدت زرقته يسمى (سنقباسياً) .

الاماكن التي يستخرج منها اللؤلؤ : يستخرج من سيلان وهولانده الجديده وخليج المكسيك والكويت والبحرين وقطر وعمان والقطيف ومصوع ودهلك واصاب ، وأجوده الذي يخرج من الخليج العربي واللؤلؤ من حيث هو مقسم الى قسمين شرقي وغربي .

تغيرات اللؤلؤ : قد يشتري المرء لؤلؤة ظاهرها الحسن والجمال بقيمة مثمنة ولكن لا تلبث ان يتغير حسنها فتصبح لا قيمة لها وهذا من اعظم اخطار المتاجرة به . وقد قيل ان الدواء الناجع لذلك ان تعطي اللؤلؤة لدجاجة تزدردها ثم تخرج من معدتها بعد دقيقة وهناك يرجع اليها ما فقدته من البهاء وقد تشتري لؤلؤة ظاهرها القبح بقيمة بخسة واذا ما ازيل عنها ثوبها الذميم برزت لؤلؤة من اجمل اللآلىء وانفسها وقد اشترى احد التجار لؤلؤة قبيحة بعشرة آلاف روبية ولكنه ندم بعد شرائها اذ ظن انه لو ازال ثوبها لكانت من المزهود فيها فحاول بيعها بقيمتها او اقل تفادياً من الخسارة فلم ير شارياً فسافر بها الى البحرين وأعطاها لاحد الصاغة الماهرين فلما ازال ما عليها برزت لؤلؤة جميلة باعها بخمسة وثمانين ألف روبية .

ما قاله القرماني عن الغوص

قال في آخر تاريخه : و(بحرين) ناحية من البصره بها مغاص اللؤلؤ ووقت استخراجه من اول نيسان الى آخر ايلول وباقي شهور السنة لا غوص فيها واللؤلؤ يتربى في صدفه والصدف حيوان بحري له روح في جسده وداخل الصدفة لحم ابيض واللؤلؤ خرز فيه واصله من مطر نيسان اذا امطر البحر في نيسان تخرج تلك الصدفة الى وجه الماء فتفتح فاها . فكل قطرة تنزل

فيها تتربى في ذلك درة نفيسة والغواصون يشقون اصول اذانهم للتنفس ولهم وجوه مصنوعة من الذبل والمشاقيص ولهم دهن يصفونه به ويجعلون في انوفهم قطناً ويحملون منه فاذا وصلوا قعر البحر عصروا من ذلك الدهن فيضيء منه قعر البحر فترى الاصداف فان الصدفة تدفن نفسها في ارض البحر رملاً كان او طيناً خوفاً من الغواصين ويدهن الغواصون أبدانهم بالسواد عند الغوص خوفاً من بلع دواب البحر اياهم وعند الغوص يصيحون مثل الكلاب صياحاً قوياً من داخل الوجوه التي يلبسونها لنفور حيوانات البحر من حولهم .

ملاحظاتنا على كلام الفرماني : بما ان اعمال الغوص تعد من الامور الغريبة سيما عند من لم يشاهدها ولم يعرف عنها شيئاً وان استغرابه قد يحدو به الى التصديق بجميع ما يقال عنه ولكن غير صحيح رأيت ان أوضح خطأ الفرماني في مقالته وأنبه الى ما ليس كذلك خدمة للحقيقة .

أصل اللؤلؤ : مما يؤخذ عليه القول ان اللؤلؤ من مطر نيسان واكبر برهان على خطئه ان الغواصين يصادفون غالب المحار مرتكزاً في الارض أو متعلقاً بالاشجار وايضاً فالمسافرون في البحر وقت نزول الامطار في نيسان لا يشاهدون شيئاً من المحار على وجه الماء فاتحاً فاه والمرجح أن اللؤلؤ حبات من الرمل او حشرات تدخل جوف المحارة مع الغذاء فينشأ من ذلك تألمها الذي يضطرها الى ان تفرز على تلك الحبات من لعابها لتتقي به اذاها وبذلك الافراز يتكون اللؤلؤ في باطن المحارة .

شق الغواصون آذانهم : وما قاله عن شق الغواصين آذانهم للتنفس فالظاهر أنه غير صحيح لأنه لا يفيد للتنفس ، واذا فرضنا انه يفيد فانه يكون مدخلاً للماء أيضاً ، وعمل كهذا لا يصدقه العقلاء .

تصفية البحر بالدهن : اما افراغهم الدهن في البحر لتصفيته فهذا غير بعيد اذ توجد الآن طائفة من الغواصين يسمون (المتنورين) يلاحظون قعر

البحر وسفنهم تجري بهم فكلما أبصروا شيئاً من المحـــار نزل إليه أحدهم فالتقطه هذا اذا كان البحر صافياً وإلا فانهم يفرغون في البحر شيئاً مائعاً يسمى (صلا) لتصفيته وهو مما تدهن به السفن هناك .

دهن الغواصين ابدانهم بالسواد : واما دهن ابدانهم بالسواد خوفاً من دواب البحر فلا يبعد ان يكون صحيحاً لان الغواصين الآن يلبسون ثيابـاً سوداً خوفاً من « الدول » الذي قدمنا عنه .

واما استعمالهم القطن في انوفهم وصياحهم لتنفير دواب البحر فقد قدمنا من اعمال الغواصين ما يدل على استعمالهم ما هو قريب منه كالفطام وكذا صياحهم عندما يبصرون (الجرجور) .

واردات الكويت

واردات الكويت هي الرز والقمح والشعـير والتمر والسكر والشاي والخامات باجناسها والملبوسات بسائر انواعهـا والأواني الصغيرة والكبيرة باشكالهـا والاخشاب التي تصنع منهـا السفن والابواب والشبابيك وخشب السقوف وحطب الوقود والهيل والفلفل وغيرها وكلها ترد من الهنـد واليمن والعراق والاحساء وفارس .

منافذ البضائع الكويتية . لا يستقر في المدينـة من تلك الواردات الا القليل واعظم الواردات هو ما يأتي من الهند وجله يذهب الى العراق وفارس والاحساء والجبيل والحجـاز والشام ونجد إلا أن الحركة الآن ضعيفة جداً للأزمة التجارية بين نجد والكويت كما علمت .

الكويتيون خارج وطنهم : من الكويتين من حملته عزيمته الى اقصى بلاد الروس واوربة لعرض جلد الغوزي (البهم) وجـــلد الحصني (الثعلب) واول من فتح هذا الطريق اثنان من اعمـامي ويسمون البلد التي يذهبون اليها (مكاره) واظنها على وصفهم لها هي (نجني) التي ذكرهـــا صاحب النخبة الازهرية في كتابه .

ومنهم من تمطى غارب العزم الى ايطاليا فأقام فيها مدة متغرباً عن اهله ووطنه في سبيل التجارة وهذا كله يدلنا على همة الكويتيين وانهم لا يقلون في الحركة والنشاط عن غيرهم سيما اذا علمت بالمشقات التي يعانيها المسافرون الى مكاره فقد كانوا يمضون جـــل الطريق من بغداد إلى بحـيرة قزوين على ظهور البغال في البرد القارص والتعب الشديد .

الحكم في الكويت

لم يكن للحكم في الكويت أهمية اول تأسيسها فان آل الصباح واخوانهم نظراً لقلتهم اول ما نزلوها ونظراً لكونهم كالأسرة الواحدة التي تتألم لما يصيب أحد افرادها وتشاركه في سرائه وضرائه لم يروا حاجة ضرورية لتنظيم حكومة يصدر عنها ما يجرون عليه من الأحكام وقد بقيت الحال كذلك الى ان امتزج بهم الاجنبي وخالطهم البعيد الغريب وكثر المهاجرون الذين ضربوا معهم بسهم في تلك الرحاب هناك شعروا بالحاجة الى من يولونه الامر ليكون شبحاً يخيف المعتدي ويرهب الظالم وهم محيطون به شادون لعضده فأجمعوا امرهم على صباح الاول وقد قبل كما سيأتي وظل الحكم في ايامه الى ايام مبارك الصباح شورى ، يستشير الحاكم وجهاء القوم فيما ينتابه من المهات وفيما يحفظ البلد من طوارىء الحدثان ويحميها من هجمات الاعداء وليس له الرفض ولا الخيار بعد ان يقر رأيهم على امر لان السلطة الحقيقية لهم وانما يعطي اسم الرئاسة عليهم تفضلا بل لقد يذهب الامر الى أبعد من هذا مدى وهو عجزه عن اخذ الحق من بعضهم والحكاية التي سأقصها توضح قيمة الحكم اذ ذاك .

استدان رجل من آل زايد من أحدهم سلعة الى أمد وعندما قرب حلول الأجل نبهه صاحبه الى الوفاء ولكن الزائدي اظهر من الامتناع ما دفع

الرجل الى رفع الامر لعبدالله الصباح الاول وهو الحاكم اذ ذاك وصارحه عبدالله بأن ليس في استطاعته اكراهه ولكن قال له الرأي ان تذهب الى زوجة صاحبك فتخبرها بان زوجها علق طلاقها على عدم وفائه الدين فانه سيتم لك بهذه الحيلة ما تريد اذ هو لا يرد لها طلباً لما لها من السلطة التامة عليه ، قبل الرجل الرأي وذهب اليها كما امر وشرح لها الامر فوعدته بان تكون له عوناً وماذا عملت بعد هذا احتجبت عن زوجها عندما دخل عليها واخبرته بالذي حملها على ما عملت فانكر ولكنها لم تصغ : —

قد قيل ما قيل ان صدقاً وان كذبا فما احتيالك من قول اذا قيلا

فاضطر إلى ان ينزل على حكمها ويقضي الرجل حقه .

نعم استمر الحكم على ما شرحنا تلك المدة الطويلة وفيما سيأتي من اخبار الحكام ما يصور الحالة بأوضح مما سمعت على ان الحكم انتقل الى استبداد صارم وجور عظيم عندما قبض مبارك زمام الحكم وتربع على كرسيه باستبداد ترك الألسنة تلوك مباركاً وتلفظه. ولكن مباركاً من جهة اخرى خفف ويلات استبداده بما كان يقوم به ازاء مصالح رعيته وبما نالته رعيته اذ ذاك من الامن والدعة والعز والجاه في سائر الامصار .

سكان الكويت
وبيوتها وسفنها

في الكويت وقراها ما ينيف على ثمانين الف نسمة يدينون بالدين الاسلامي ما عدا نفر قليل من اليهود[1] يبلغون نحو مائة وخمسين وأقل منهم بكثير من المسيحيين . والمسلمون فرقتان السنة والشيعة والاغلبية الساحقة للاولى

(١) لا يوجد يهود الان في الكويت . لقد جاء بعض اليهود الذين كانوا يعيشون في الكويت آنذاك من العراق وعاشوا فترة من الزمن . غير ان الكويتيين لم يتعمقوا في المعاملة معهم مما اضطرهم الى النزوح عنها واحداً بعد الآخر . حتى صفيت الكويت من هذه الجراثيم التي كانت تنفث سمومها في ربوع الكويت .

ومنهم الحنابلة وجلهم من المهاجرين من نجد والشافعية واكثرهم من الأعاجم السنيين (العوضية) والمالكية ومنهم حكام البلد وبعض البيوتات المعروفة والبادية المتحضرة واما الاحناف فيعدون على الأصابع .

وتنقسم الشيعة الى ثلاث فرق أصولية ، واخبارية ، وشيخية .

وتبلغ بيوت الكويت نحو ثمانية آلاف وسفنها التي تسافر الى الغوص والهند وغيرها من البلاد ما بين كبيرة وصغيرة[1] نحو الفي سفينة.

القضاء في الكويت وأول من تولاه

نكاد نجزم ان آل الصباح لم يولوا القضاء احداً ، أول ما نزلوا في أرض الكويت وان الذي كان يتولاه اذ ذاك هو من يقع اختيار المتنازعين عليه وان كان هناك من انتخب لذلك المنصب فهو لا يعد وما نعرفه الآن عن حالة البادية من اسنادهم فصل خصوماتهم الى ما يسمونه (العرف) او (السالفة) ولو كان لا يعرف من الشرع شيئاً ويرجح ما قلناه المدة التي مضت لآل الصباح وهم لا رئيس لهم يرجعون اليه .

أما أول من تولاه فغير معروف بالتحقيق واقدم من عرف هو الشيخ محمد بن فيروز جد فيروز المشهور كما اخبرني استاذنا الفاضل الشيخ عبد الله الخلف نقلاً عن الشيخ ابراهيم بن عيسى المؤرخ النجدي ولا يبعد ان يكون ذلك الاستاذ هو اول قضاتها لانه توفي في الكويت سنة ١١٣٥ وقد علمت قرب السنة التي تأسست فيها من سنة وفاته .

ويقال ان أحد آل عبد الجليل قام بالقضاء بعده الى ان قدم زعيم بيت

---

(١) وقد جرى احصاء عام لسكان الكويت في ٢٧ — ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٥٧ فكانت النتيجة ٢٠٦١٧٧ منهم ٩٩٤٣٨ في مدينة الكويت ذاتها و٢٠٠٣٤ في ضواحي المدينة والباقي في المدن والقرى التابعة لها، كما شمل الاحصاء البدو المقيمين في البر أو بالقرب من القرى والمدن .

العدساني من الاحساء فتنازل له عنه إعجاباً بعلمه وبصلاحه وزوجه ابنته وما زال القضاء في هذا البيت لم ينقطع عنهم إلا برهة من الزمان قام في مهمة القضاء فيها الشيخ علي بن شارخ الحنبلي ثم رجع اليهم بعد وفاته .

ابن شارخ يتولى القضاء في الكويت : حصل خلاف بين الشيخ محمد صالح العدساني احد القضاة السابقين وبين الشيخ علي الشارخ في صيام يوم الثلاثين من شعبان حيث غم الهلال فافتى الحنبلي بوجوب الصوم وخالفه القاضي الشافعي بذلك حتى احتدم النزاع بين الاثنين . رفع القاضي الاول الامر الى عبد الله الصباح الاول حاكم الكويت اذ ذاك وقال له انه لا يطيق الصبر على مثل هـذا الخلاف ولما لم يصغ عبد الله لشكواه اعتزل القضاء من يومه .

اما عبد الله فارسل الى الشيخ علي وفوض اليه القضاء ولكنه امتنع اولاً وقال انه منصب خطير من اهم شروطه اقامة الحدود واخشى ان تغل يدي على تنفيذها سيما على الوجهاء فهون عبد الله عليه الامر وقال اني سأطلق يدك في القيام بالواجب ولو على نفسي فقبل . ولكن شرط ان يسمح له بالاتجار شهرين في السنة ، فأعطي وكان أول أعماله أن احرق اكواخاً كان يأوي اليهـا كثير من اهل الفساد ثم اسس في موضعها المسجد المعروف بمسجد آل مديرس .

وقد بقي الشيخ علي في القضاء سنتين او ثلاث سنين الى ان توفي ثم رجع القضاء الى أهله . [1]

---

(١) واليك شاهداً لما قلنا كتبه الامام عبد الرحمن الفيصل للحكومة العثمانية بواسطة السيد رجب النقيب في ذي القعدة سنة ١٣١٩ عندما أخذ يستعطفها بزيادة مرتبه قال (ولولا ما يحصل لنا من حضرة الشيخ مبارك الصباح من المساعدة وما اخذناه من التجار الكويتيين وغيره من الدين ما يزيد على ثلاثين الف ريال ما قدرنا على الاستقامة ولا شهراً واحداً) .

الحوادث المشهورة في تاريخ الكويت

الوجبية : هي مطر غزير في شهر رجب سنة ١٢٨٩ ويسمى (هدامه) ايضا لهدمه كثيراً من البيوت .

الهيلق : جوع اصاب الكويتيين فاضطرهم الى أكل دماء البهائم التي تذبح ابتداء من سنة ١٢٨٥ ولم ينته الا في سنة ١٢٨٨ وكان لرجلين من افاضل الكويتيين ومثريهم يد بيضاء في تلك الازمة الشديدة هما[1] يوسف البدر ويوسف الصبيح . اما الاول فكان يفرج كربات المعوزين والمحتاجين بما يبذله لهم من المال وأما الثاني فاتخذ له بيتين احدهما في الكويت والثاني في الزبير يأوي اليهما الفقراء وقد كان يقوم في كليهما بما يحتاجه الاحياء منهم من طعام وكسوة وبتجهيز من يتوفى الى رحمة الله تعالى، في هذين الفاضلين المحسنين يقول الاخرس من قصيدة بعث بها الى احد أدباء الكويت إذ ذاك من آل الخيزيم :

ان الكويت حماها الله قد بلغت	باليوسفين مكان السبعة الشهب
تالله مـا سمعت أذني ولا بصرت	عيني بعزهمـا في سائر العرب
فيوسف بن صبيح طيب عنصره	اذكى من المسك ان يعبق وان يطب
ويوسف البدر في سعد وفي شرف	بدر الأماجد لم يغرب ولم يغب
فخر الاكارم والامجاد قـاطبة	وآفة الفضة البيضاء والذهب

(١) وقد ارخ وفاته عبدالله الفرج بقوله : آ لت اليه الحور في الجنات .

من كل ما بسطت في الجود راحته   صوب المكارم من يديه في وصب

الطبعة : هي في لغة الكويتيين (الغرق) في البحر والمراد بها غرق سفن عديدة لهم هناك بسبب عواصف البحر وزوابعه يقال كانت في سنة ١٢٨٨ .

الطاعون : في سنة ١٢٤٧ اصيبت الكويت بطاعون عظيم قضى على كثير من اهلها حتى كادت تصبح منه قفراً يبابا لولا المسافرون من اهلها الذين لم يتراجعوا اليها بعد صفاء جوها من تلك الظلمة ، رجعوا اليها ولكن وجدوا الطاعون قد فتك بكثير من نسائهم فاضطروا الى استقدام عوضهن من البلاد المجاورة كالزبير ونجد وغيرها وبذلك حفظوا البلد من العدم والفناء وفي اثناء تلك المعمعة اغلق اهل بيت في (الشرق) دارهم وادخروا فيها ما يكفيهم من طعام وشراب ولم يسمحوا لأحد بالدخول عليهم خوفاً من تسرب العدوى .

فكان هذا البيت من جراء هذا التحفظ هو الوحيد في الكويت الذي لم يصب من يد الطاعون بضرر غير ان امرأة منهم حاولت الخروج لتنظر ما اصاب اهلها فانزلوها بحبل من السطح ثم رجعت اليهم اخيراً فلم يفتحوا لها فرجعت أدراجها وقضي عليها كما قضي على غيرها .

الدبا : في سنة ١٣٠٧ ارسل الله على اهل الكويت دباً عظيماً اكل الزرع واهلك الحرث والنسل وآذى الاطفال وامتلأت منه الآبار حتى انتنت واصيب الناس منه بما اقلق راحتهم وأطار النوم من أعينهم واستمرت شدته من اثني عشر رمضان الى اربع وعشرين منه وقد قال المرحوم الشيخ خالد العدساني في تلك المصيبة .

الله اكبر كيف القمل الضعفا   آذى الأنام ومنه الزرع قد تلفا
وصير الارض بيضا لا نبات بها   كأنه لم يكن فيها وما عرفا
قد جاء كالسيل يعدو ليس يمنعه   شيء فما مل من شيء ولا وقفا
حتى أتانا فعمتنا بليته   وقد كسى الأرض ثوباً منه مختلفا
فلم نر طرقاً إلا وقد ملئت   ولا جداراً ولا سقفاً ولا غرفا

وأصبحت جملة الآبار منتنـــة   كأن في جوفها من ريحه جيفـا
وكل طفـــل له من اهله حرس   يحمونه يقظة منه وحين غفـــا
واشتد أمر الورى من عظيم كثرته   ومن اذاه وما ظنوه منصرفـا
فقال كلٌ أمـــا والله ذا سخطٌ   قد اوجبته معاصينا فوا أسفـــا
أتى لعشر من الشهر الشريف خلت   مع ليلتين وبعد الضعف قد ضعفا
وكان في سنة السبع التي وقعت   بعد الثلاث التي قد جاوزت الفا
فالحمد لله والشكر الجميل لـــه   في كل حال فمولانا بنـــا لطفا

طمع الدول بالكويت

عرف الكثير من الدول الكويت وعرفوا ما لهـــا من مركز عظيم في التجارة والسياسة على ضفاف الخليج العربي ، فودوا امتلاكهـــا ليستدروا ضرعها وينفردوا بخيرها، او بالأقل تكون لهم فيها ايد عامـــلة وتدخـل في شؤونها الداخلية .

الدولة العثمانية : من تلك الدول الدولة العثمانية ، وقد حاولت ذلك على يد مدحت باشا والي بغداد وعلى ايدي من كان قبله من ولاتها .اما هو فأقنع حكامها بقبول الحماية مع إعفائهم من الرسوم الجمركية والتكاليف الاميريـــة فقبلوا ورفعوا الراية العثمانية زمنا ليس بالقصير الى أن حدث ما أوجب عليهم الدخول في المعاهدة مع انكلترا كما يأتي :

المانيا : أما المانيا فقد سعت وبذلت الجهد العظيم في ان تتحصل منهـا موضع قدم وتوسلت لذلك بالمال وبغيره ولكنها لم تفلح .

ففي رمضان سنة ١٣٢٧ هـ . قدم (ستمربخ) قنصلها في الآستانـــة الكويت عن طريق البر ومعه كتاب توصية من مشير بغداد الى مبارك وقد بعث بكتاب اليه يشعره فيه بقدومه قبل ان يصل الكويت بثلاث ساعات. وكان غرضه من سياحته تلك البحث عن موضع صالح لسكة حديد بغداد في ارض الكويت . نزل الرجل في ضيافة مبارك وابلغه الرغبــة في ايصال

السكة الى (كاظمه) وقال له انها اذا وصلت هناك فسترتفع قيمة اراضيها ارتفاعاً عظيماً فالتي تكون قيمتها ليرة واحدة تصبح قيمتها ٢٠ ليرة ولكن مباركاً امتنع عن إجابته معتذراً بان رعيته لا توافق على ما طلب ولا ترضى به. فلم يقنع القنصل وقال لمبارك في استطـــاعتك اقناعهم فيما تريد وفي وسعك مخالفتهم اذا لم يقبلوا لأنهم تحت امرك وانت مليكهم فلم يؤثر هذا القول فيه واصر على ما قال اولاً وامر القنصل بمغادرة المدينة والرجوع من حيث أتى .

وهناك بعد ان ترك القنصل الكويت اخبر مبارك رئيس الخليج في (أبو شهر) بما جرى، وأبان له ان السبب الحقيقي الذي منعه من اجابته ارتباطه مع انكلترا بالمعاهدة السرية التي تقضي بان لا يبيع شيئاً من أراضي الكويت او يؤجرها على أي دولة من الدول إلا بمراجعتها ورضاها .

الالمان يحرضون الاتراك على الكويت واطرافها : يقول بعض الخبيرين ان الحملات التي وجهتها الحكومة العثمانية على الكويت كلها بايعاز من ألمانيا لأن الالمان لما لم يفوزوا بشراء ما يريدون من أراضي الكويت أوعزوا لهم بالهجوم عليها وعندما فشلوا بالخطط التي رسموها لهم رأوا ان آخر علاج هو الحصول على جزيرة بوبيان لانهم اذا ملكوها وجعلوا خور عبد الله منتهى السكة الحديدية امنوا عليها كل اعتداء فحرضوا الاتراك على امتلاكها ولكن مباركاً ادعى دخولها في حدود بلده شمالاً فلم يسمعوا دعواه وأنشأوا فيها وفي صفوان وأم قصر نقطاً عسكرية الى أن جرى ما جرى من حوادث الحرب العامة .

هذا ما يقوله البعض عن حملات الأتراك على الكويت وأطرافها وستأتينا فيما بعد اسباب اخرى غير ما سمعت فان كان ماقيل صحيحاً فلا تناقض. لأن الحادثة الواحدة تكون لها اسباب عديدة، منها ما هو ظاهر ومنها ما هو خفي .

الانكليز والكويت والمعاهدة : لم يكن لانكلترا عـــلاقة مع أي حاكم من حكام الكويت قبل مبارك وقد أرادت وحاولت ان يكون لها ذلك قبله

كما سيأتي فلم يتم لها ماتريد نظراً لتلبد الجو السياسي اذذاك. أما في وقت مبارك فقد تحصلت على ما كانت تتمناه. وكان السبب الوحيد الذي أنالها ذلك هو طمع الحكومة العثمانية في مبارك ومحاولتها القضاء عليه وامتلاك بلده وانتهازها الفرص لتجريده من كل سلطة وانتصاب جل ولاة البصرة ضده من حمدي باشا الى من بعده، وشدها بعضدهم كما سيأتي تفصيله في ترجمة مبارك .

فاتقاء لتلك الاخطار التي كان مبارك يتخوف من جانبها عقد اتفاقيات مع انكلترا ، احداها في العاشر من رمضان سنة ١٣١٦ هـ . والثانية في محرم سنة ١٣١٨ في الرابع والعشرين منه . والثالثة في الحادي عشر من ذي الحجة سنة ١٣٢١ ونحن لم نقف رسمياً الى هذا اليوم على شيء من تفاصيل تلك الاتفاقيات ولا على شيء من شروطها وبنودها .

نعم كان الناس يتحدثون عن اشياء من موادها في المجالس والأندية في الكويت واليك ما هو شائع منها : (١) ان الحكم في عائلة مبارك لا غير من آل الصباح (٢) ليس لمبارك بيع او تأجير شيء من اراضي الكويت لأي دولة اجنبية أو لرعاياها الا بمراجعة بريطانيا ورضاها بذلك . (٣) ولمبارك على الحكومة في مقابلة ما سمعت منع اعتداء الدول الأجنبية عنه . (٤) ان يكون صديقاً لصديقها وعدواً لعدوها . (٥) وليس للحكومة التدخل في شؤون البلد الداخلية، لا في الحكم ولا في غيره مع الاعتراف باستقلالها . (٦) المنع من ان تكون الكويت مصدراً لإخراج السلاح الى الخارج .

ولكن مباركاً مع هذا كله لم يشأ الاعتراف بشيء مما سمعت وكان يميل للتكتم أمام الناس في ذلك، سيما في عدم رغبته بالاتفاق مع انكلترا والحادثة التي جرت بينه والاستاذ الكبير السيد رشيد رضا منشىء المنار الغراء تبين لنا الامر واضحاً وتوقعنا على سياسته في ذلك .

قال الاستاذ في مجلته مجلد ١٦ ص ٣٩٨ : «ومما احب ان اذكره هنا – وهو من مباحث الرحلة – مسألة علاقة الشيخ مبارك بالدولة العلية والانكليز .

كنا نسمع المنافقين من رجال الدولة يصفون صاحب الكويت بالخيانة للدولة ويعيبونه بطلب حماية الانكليز فسألته عن ذلك فقص علي قصة سألت عنها بعد ذلك السيد رجب نقيب البصرة مندوب الحكومة اليه، فكان جوابه موافقاً لجواب الشيخ مبارك ثم ذكرت ماقاله للشيخ فهد بك الهذال شيخ قبائل عنزة في العراق اذ كنت في ضيافته على نهر الفرات فصدق مـا قاله الشيخ مبارك وزادني فوائد هو اعرف الناس بها وملخص ماقاله الشيخ مبارك انه في اواخر مدة عبدالحميد ساقت الدولة بعض العسكر من عربان ابن الرشيد الى قرب الكويت وارسل المشير فيضي باشا السيد رجب النقيب ومعه نجيب بك ابن الوالي (لعله اخوه) الى الكويت فبلغاه انه قد صدرت ارادة سنية بوجوب خروجه من الكويت الى الآستانة او الى حيث شاء من ولايات الدولة العثمانية والحكومة تعين له راتباً شهرياً يعيش به فإن لم يخرج طائعـاً دخل الجند مع عرب ابن الرشيد واخرجوه بالقوة. فسألهم ما هو ذنبه الذي استحق به النفي من بلده وعشيرته .وذكر نقيب البصرة بما يعرف من اخلاصه للدولة واعانته لها بالمال عند كل حادث وبما كان من محاربة سلفه وعشيرته لقبائل المنتفك ، المالكين للبصرة واخراجهم منها وجعلها في حكم الدولة كما ملكهم هو وعشيرته بقوتهم الاحساء وغيرها . وطلب منه ان يعود الى البصرة فيقنع المشير بمراجعة الآستانة فقال له انما علينا البلاغ وليس في يدنا غيره ، قـال : فخرجت من عندهما بقصد مشاورة أهلي وكانت حكومة الهند الانكليزية قد علمت بكل مادبرته الدولة في ذلك وبمجيء عشيرة ابن الرشيد مع العسكر الى جهة الكويت فارسلت مدرعتين فوقفتا تجاه البلد، فلما عدت رأيت امير الانكليز قد نزل من احدى المدرعتين ومعه بعض الجند فسألني عما جرى فاخبرته الخبر فقال ان حكومتنا متفقة مع حكومة الترك على ان تبقى الكويت على حالها لا يتعرضون ولا نتعرض لها واذا غدروا وخالفوا فقد صار لنا حق الدخول في امرها ولا يمكن ان نسمح لجندي عثماني ان يدخلها واذا دخلوها برضاكم دمرناها على رؤوسكم ورؤوسهم ثم بلغ الاميرال ذلك لنقيب البصره رسول الحكومة فقفل راجعاً وابلغ المشير ذلك فأمر المشير بصرف الجنود والعربان . قال : فما كان

من تدخل الانجليز في امر الكويت لم يكن يطلب مني، بل كان هذا سببه وقد عرضوا علي ان اختار لنفسي راية ارفعها علماً لبلدي واعلن الاستقلال تحت حمايتهم فأبيت ذلك وهذه الراية العثمانية تراهـا كل يوم مرفوعة على رأسي وقد تعجبوا من قولي لهم انني اختار ان اكون دائماً عثمانياً قيل «تقول هذا بعد ان رأيت منهم ما رأيت قلت ان الوالد اذا قسا في تربية ولده أحياناً لايخرج بذلك عن كونه والده الذي تجب عليه الطاعة له.»

طمع الحكام في الكويت: وكذلك كانت انظار الحكام ايضاً شاخصة اليها وآمالهم معلقة بالاستيلاء عليها. وقد حاولوا ذلك بطرق شتى ولكنهم لم ينالوا منها شيئاً ولم يفوزوا بما يبتغون واول من فتح عينيه نحوها شيوخ كعب والنصار وقد جرى بين الفريقين ماهو معروف من الوقائع التي سيأتينا الكلام عليها، ثم شيوخ المنتفك كندر السعدون ثم السعوديون ابان سطواتهم الاولى، ثم آل الرشيد بعد ان قوضوا خيام السعوديين من نجد وبعد ان دالت للسعوديين في نجد كروا راجعين اليها مرة اخرى وحاولوا ما حاولوه في المرة الاولى ثم الشيخ قاسم بن ثاني حاكم قطر وابناء المرحومين الشهيدين محمد وجراح آل الصباح والشيخ يوسف آل ابراهيم ساعدهم الاكبر في حملاتهم التي سنلم بها فيما بعد تفصيلا. نعم قام هؤلاء الفضلاء بحملات عظيمة لأخذ الثأر من مبارك، حملات اقلقوا بها راحته وكادوا يقضون عليه ويذيقونه الحمام. قاموا بتلك الحملات مشتركين وغرضهم الوحيد هو مبارك وحده ولم يقصدوا احداً من اهل الكويت بسوء. كان هذا فيما مضى.

اما اليوم فالولاء التام ضارب اطنابه بين الفريقين وقد اعرضوا عن الماضي بما فيه وهذه سنة الله في خلقه فيوم حرب وآخر سلم ونظراً الى ان الحوادث التي وقعت بينهم أصبحت من المعلومات البديهية التي لاكتها الالسن صغاراً وكباراً في الكويت، وكانت حديث الناس في مجالسهم وشاعت بشروحها الطويلة عند غير الكويتيين ايضاً فاني أتخيل ان يكون العذر لي واسعاً في التبسط بها والحديث عنها، اذ من العار أن يكون مؤرخ كويتي يتطلع الناس

الى ماسيكتبه من حوادث بلده لايفيد القراء بمثل مـايفيده الاجنبي البعيد .

من التجأ الى الكويت من الحكام : اعتصم بحمى الكويت كثير من الحكام والامراء وقد كان منهم من حاول هتك حرمتهـا وايصال الاذى الى أهلها ، ولكنها تناست جميع ذلك وقابلتهم بالاكرام مقـابلة المخلصين البارين ، منهم راشد السعدون ، وقد فر من وجه الحكومة العثمانية في العراق وكان الحاكم اذ ذاك جابر الاول فأولاه عطفاً واحساناً مدة إقامته الى ان هدأت الأحوال ورجع الى مقره، ثم ناصر باشا السعدون ايضاً، ثم الشيخ محمد آل خليفة احد حكام البحرين وكان ذلك في ايام عبدالله الصباح الثـــاني ، وتلا الجميع عظمة سلطان نجد عبدالعزيز السعود وأبوه عبدالرحمن الفيصل وبعض العائلة السعودية وهناك نزلوا في أعز مكان بين الحفاوة والاكرام ، وقـد اشترك في اكرامهم حكام الكويت ووجهاؤها الى ان نالوا ما لم يخطر لهم على بال وآخر من التجأ الى الكويت عبدالله البراهيم شيـخ الزبير واولاده وآل جبر من ابناء الرشيد.

حكام الكويت

عشرة من الحكام قبضوا على زمام الحكم في الكويت كلهم من آل الصباح منذ تأسيسها الى يومنا هذا . وسأذكر هنا ما وصل الي من اخبارهم وحوادثهم آخذاً له من اوثق المصادر التي سمعتها او وقفت عليها بنفسي .

الحاكم الاول
صباح الاول

لانعرف عن صباح شيئاً، الا انه أول حكام ذلك البيت، وانه الذي تأسست الكويت في عهده ، وانه زعيم تلك العائلة التي حكمت الكويت وأنهـا التي تنسب اليه .

لم يتول صباح الحكم في أول تأسيس الكويت ، فان آل الصباح ومن هاجر معهم مضت لهم بعد نزولها مدة لا رئيس لهم فاجمعوا أمرهم أخيراً على انتخابه ولكنه لم يقبل الا بعد أن أخـذ عليهم نفوذ حكمه على الشريف والوضيع يقال توفي حوالي سنة ١١٩٠ .

اولاد صباح : ولصبـاح من الاولاد الذكور خمسة : عبد الله وهو الذي حكم بعده . سلمان ، مالج ، محمد ، مبارك .

الحاكم الثاني عبدالله
الاول بن صباح الاول

تولى الحكم بعد وفاة ابيه صباح ، كان عبدالله شجاعاً عادلا عاقلا كريماً حليماً له في سرعة الخاطر نوادر تدل على جودة ذهنه وقوة ادراكه .

بعد أن علم ابن عريعر بوفاة صباح زم مطاياه الى الكويت ليعزي آله فيها فقابله عبدالله خارج البلد وليس معه الا قليل من الرجال فأراد ابن عريعر تنبيهه الى خطأه في اهماله وان مقابلته لزائري بلده من غير استعداد يعد من خرق السياسة، سيما ومن المحتمل أن يكون فيهم من يتحين الفرص للقضاء عليه. أراد ذلك وماذا عمل ، قبض على شحمة أذنه وهزها هزة قوية دمعت منها عيناه وقد فهم عبدالله ما أراد فقال له : (أما أنت فوالدي) وعبدالله يريد بقوله هذا اني اذا قابلتك ولم استعد فلأني مطمئن القلب منك وواثق بحسن نيتك ، اذ أنت بمنزلة والدي واما غيرك فآخذ حذري منه وأعد لمقابلته العدة .

واقعة الرقة بين أهل الكويت وكعب

استمر آل الصباح في ابان ضعفهم في الكويت مدة ولم يبد من اعدائهم اذ ذاك طمع فيهم ولا في بلدهم ، ولكن بعد ان ترعرعت الكويت وبدت النضارة في وجهها طمحت انظار كعب اليها وودوا امتلاكها قبل ان تبلغ اشدها ، غير انهم تظاهروا بغير ما أرادوا – تعمية وتضليلا تظاهروا بخطبة (مريم) ابنة عبدالله لأحد ابنائهم ، تظاهروا بذلك وهم عالمون أن طلبهم لا يجاب ، وقد استشار عبدالله زعماء قومه في طلبهم فأظهروا أشد الاباء والامتناع وحذروه من الانصياع لهم والخنوع لما يريدون . وأخيراً علموا بما يرمون اليه فأخذوا للحرب اهبته وأودعوا نساءهم وأموالهم في سفن وساروا بسفن أخرى لمقابلة

عدوهم ولكن عبدالله بعد أن ساروا خاف عليهم من تغلب أعدائهم ، فندم على مافرط ندماً عظيماً اضطره الى ان يبعث من يرجعهم قبل ان يشتبكوا واياهم في قتال ، ولكن الرسول عندما أقبل عليهم رفع راية سوداء وقال ان عبدالله يقول : (سود الله وجوهكم الى الآن انتم لم تناجزوا العدو أتظنون أن المرء يموت قبل يومه ، فحرك كلامه هذا ساكناً فيهم وغادرهم يتقدمون بكل شجاعة وجرأة فجرت وقعة هائلة بين الفريقين في الرقة [1] كان النصر حليف الكويتيين واختلفت الروايات في سبب انتصارهم على قلتهم .

قيل : رأوا أن يكون هجومهم على سفن الزعماء أولاً ثم على بقية السفن ثانياً ، وانهم فعلوا ذلك ونجحوا حيث خارت قوى بقية الجند عندما ثخن القتل في زعمائهم فأركنوا الى الفرار ، وقيل إن الماء جزر عن السفن فاستوت سفن العدو على الارض ولم تطق حراكاً لضخامتها . أما السفن الكويتية فأحاطت بها وأجهزت على من فيها نظراً لصغرها . وقيل قد سكن الهواء فلم تطق سفن كعب السير . واما السفن الاخرى فتمكن اهلها من اجرائها بالمجاديف وهجموا على كل سفينة وحدها واستولوا على ما فيها من ذخيرة ومدافع بعد أن قتلوا . من قتلوا ثم كروا راجعين الى وطنهم وهم يعتزون بالنصر فنصبوا المدافع [2] على ساحل البحر ونصبوا شيئاً منها داخل البلد تذكاراً لانتصارهم في تلك الخطبة اذ كانت وبالاً على كعب وخطوباً مظلمة عليهم .

حاولوا اخذهـا اغتصاباً لهذا   خطبة القوم اسفرت عن خطوب

هذا ما يلهج به الكثيرون في تلك الحادثة . ومنهم من يقول ان آل الصباح بعد ان أحسوا من أنفسهم القوة رفضوا في أحد الايام اجابة كعب الى التكاليف التي ضربوها عليهم فجرى من جراء ذلك ماجرى .

---

(١) الرقة هي قطعة من البحر قرب فيلكا يقل فيها الماء وقت الجزر بحيث لاتطيق السفن المتوسطة المرور منها .

(٢) وهناك مدافع أخرى جاءوا بها من ابي شهر .

هجرة آل خليفة حكام البحرين من الكويت

علمت فيما مضى ان آل خليفة هم ممن هاجر مع آل الصباح الى الكويت، ولهم فيها الى الان آثار معروفة ، وقد ارتحلوا منها في اول حركـة كعب ، لانهم راوا الاقامة فيها والحالة هذه ذلة لا تطاق ، ولهذا قال شاعرهم النبطي:

هب الهبوب وطير الشر وانجال [1]   واللى[2] بقى حاشا [3] الردى والمذلة

فاجابه شاعر المقيمين بقوله :

هب الدبور وطير التبن وانجال   لابقى الا مصحصح [4] الحب كله

ثم انظر ماذا جرى للفريقين بعد هذا ، ارتحل الاولون فكانوا في النهاية حكام البحرين ، وبقي الاخرون متذرعين بالصبر حتى احرزوا النصر المبـين الذي بيض صحيفة تاريخهم .

---

(١) انجال : مقلوب انجلى اي انكشف (٢) واللى : بمعنى الذي (٣) حـاشا الردى : نال الردى (٤) مصحصح : اي خالص .

غزوات تعرّضت لها الكويت

غزو سعود بن عبد العزيز السعود الكويت

خيم سعود على الجهراء في احدى غزواته العراقية فبادره عبد الله بارسال الضيافة اليه هناك ، ولكنه مع هذا الاحسان هم بالكويت متناسيا الجميل فنهاه احد رجاله المقدمين مظهرا له صعوبة الاستيلاء عليها لسورها المنيع، ولان اهلها لا يرضخون لسواهم واذا ما حاول الغير منهم مـا يكرهون ولم يجدوا لهم ملجأ عنه ضربوا بسفنهم عرض البحر وتركوها لا انيس بها فرمى ابن سعود برأيه عرض الحائط وصمم على قضاء مأربه منها مهما كانت الحـال فارتحل عن الجهراء ونزل على (الشامية) وهي موردهم ومحتطبهم الوحيـد اذ ذاك ليضطرهم الى التسليم بدون حرب ظنا منه ان لا غناء لهم عنهـا ، ولكن خاب ظنه فانهم شرعوا يستقون الماء من (فيلكا) ويأتون بالحطب من البصرة ، وقد طال مكثه وهو يجهل الحقيقة فبعثوا اليه ليكشفوا له جلية الامر بدواب تحمل حطبا وماء فعلم سعود بعد وصول تلك الهدية الثمينة بما يقصدون منها ، وان حصاره ذهب سدى فارتحل .

وقيل ان سعودا بعث الى عبد الرحمن بن زين كتابا ليرسل اليه شيئاً من الذخيرة وبعض الالات الحربية ، ولكن عبد الرحمن سلم الكتاب الى عبد الله آل الصباح قبل ان يعلم بما فيه وطلب اليه ان يفضه بنفسه .فعل عبد الرحمن ذلك لئلا يتهم بالميل الى سعود وبالتواطؤ معه فيما طلب ، وقد علـم عبد الله

عندما قرأه ان سعودا نصب لصاحبه شركا ليوقعه فيه . ذلك ان عبد الرحمن كان له نخل في القطيف فاراد سعود ان يتخذ من امتناعه عن ارسال ما اراد حجة للاستيلاء عليه ، علم عبد الله بذلك دون غيره بفطنته الوقادة فوقع بين امرين عظيمين: الامتناع وفيه ما فيه والتسليم وهو يحدث ضجة في الكويت ولكنه مع هذا فضل الاخير ولم يصغ لاقوال الناس ممن لم يعرفوا حقيقة الامر .

وبذلك اخفقت مساعي سعود وعلم ان حيلته لم تنطل وان الذي افسدها هو عبد الله وحده فارتحل من الجهراء ونزل بالفنطاس وكان احد رجاله اذ ذاك في الكويت فشهد الاضطراب الذي حصل من اهلها وسمع اللوم القارص الذي كانوا يوجهونه الى عبد الله في غضه النظر عن عمل عبد الرحمن ، وقد سمع الرجل غير هذا تهكما بسعود واستهزاء بقوته والرغبة في منازلته من جابر بن عبد الله آل الصباح . اما سعود فرأى نفسه مضطرا عند ما افضى اليه الرجل بما شاهد وسمع في الكويت الى مهاجمتها وقد كاد ان يفعل لولا نصيحة (حجيلان) له بان لا يفعل وهو احد رجاله الذين يعتمد عليهم .

غزو ابراهيم بن عفيصان الكويت

قال ابن غنام [1] المؤرخ النجدي عن تلك الغزوة في تاريخه .

« (وفيها) أي سنة ١٢٠٨ غزا ابراهيم بن عفيصان بأهل الخرج والعارض وأهل سدير فشمر ساعده للجد في السير حتى وصل الى بلد الكويت بعد الهجوع فاناخ بجميع ما معه من الجموع حتى فرغ من تلك المطالب ورتب الجيش والكمين ثم بعد الاسفار غارت خيول المسلمين فخرج مقاتلة أهل البلد مجتمعين وناوشوا المسلمين القتال وعقدوا للحرب المجال . ثم بعد ذلك ظهر عليهم الكمين فولوا مدبرين وعمدوا الى البلد مسرعين وقتل المسلمون منهم نحو ثلاثين وأخذوا عليهم غنماً كثيرة واسلحة ثمينة شهيرة ورجعوا الى بلادهم فائزين وللمال والاجر حائزين ا هـ ص ١٩١ » .

---

(١) نقلنا عبارة ابن غنام بلفظها هنا وفيما سيأتي ليعلم القارىء بطريقة الانشاء في ذلك الوقت وبين أولئك القوم وبما كانوا ينظرون به الى مجاوريهم .

غزو ابو رجلين

وقال ابن غنام أيضاً في تاريخه عن هذه الغزوة :

« (وفيها) أي سنة ١٢١١ غزا أبو رجلين من أهل الاحساء بغزو أميرهم ابو رجلين مناع . فلم يكن لهم دون الكويت اقتناع ، ولا حيلولة ولا دفاع، فصبحوا تلك البلد بعد حث واسراع فأغار ذلك الجيش على أطراف البلاد . بعدما جعلوا لهم كميناً للجلاد . فأخذوا غنماً كثيراً وفزع أهل البلاد بجموع غزيرة . وعدة عظيمة شهيرة . فوقع بينهم قتال من بعيد والرمي يصيب فيهم ويحيد وكل من الفئتين ليس له سوى الثبات من محيد . حتى طلع ذلك الكمين المعدود فانهزم أهل البلد عائدين وكان لهم اليها ورود وما كان لهم دون ذلك من صدود فملك المسلمون أعقابهم وكانت كؤوس الردى شرابهم وعجل الله تعالى عذابهم فقتل منهم نيف وعشرون . واخذ ما معهم من سلاح وولّى الباقي منهم منهزمين اهـ » .

ونظراً الى أن أهل الكويت اذ ذاك كان في استطاعتهم مع دفع المهاجمين لبلادهم أخذ الثأر منهم فقد هبوا من مراقدهم بعد هاتين الغارتين فرموا بعض القبائل التي كانت تحت ظل آل السعود بسرية ترأسها مشاري بن عبد الله الحسين ونحن لا نعلم بحقيقة ما وقع لها غير ان ابن غنام المؤرخ النجدي أيضاً يحدثنا عنها في تاريخه بما سأتلوه بلفظه قال : « (وفيها) (أي سنة ١٢١١) أغار مشاري بن عبد الله الحسين على فريق من زعب فقرب الله تعالى له الهلاك والحين وكان غازياً من الكويت مع أهل عشر بن مطية وبعض من الخيل فلم يدرك إلا الرزية ومفاجآت الحمام والمنية معاقبة لأفعاله الردية وشؤم صنعه في البرية . ونفرته من التوحيد . وموالاته لكل شيطان مريد وبذل جده في مصادمة الحق والهدى ومساعدته لأهل الضلال والردى وقيامه مع من تعدى وجار وساير طوائف الفساق والفجار . وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار » .

وقد تكون الحقيقة في شأن تلك السرية كما ذكر المؤرخ وقد تكون ضدها

ولكن مهما يكن فاننا نستدل منها على تطور الكويت أيام عبدالله في الامور الحربية . توفي عبدالله سنة ١٢٢٩ (اولاد عبدالله) ليس لعبدالله من الذكور الا ابنه جابر الذي تولى بعده .

الحاكم الثالث جابر الاول ابن عبدالله الصباح
وما جرى في زمنه

هجر جابر الكويت وذهب الى البحرين لمغاضبته أباه . وقد أقام هناك الى أن توفي والده فأقام الكويتيون (محمد السلمان) على منصة الحكم نائباً عنه لاغير لان ميلهم الى جابر شديد جداً لأخلاقه العالية وكرمه الذي ستعرفه بعد . ثم أرسلوا بعد هذا اليه يستقدمونه الى الكويت وما هو الا أن وطأت قدمه أرضها حتى مدت له أيدي الطاعة وبويع له بالامارة سنة ١٢٢٩ .

صفات جابر

كان جابر عاقلا حليماً حازماً كريماً يضرب بكرمه المثل وقد سمي (جابر العيش) لكثرة مايتصدق به على الفقراء والمساكين ، والعيش في لسان الكويتيين يطلق على (الرز) ومن الغريب أنه مع هذا البذل العظيم لم تكن له من المصادر التي يستقى منها الا نزراً يسيراً لاينقع غله ولا يطفىء ظمأه . ولقد عرف كرمه وارتفاع قدره في السخاء بعض معاصريه من الحكام والامراء فرفعوه الى اعلى مقام تحسده عليه الكواكب النيرة .

ما قاله بندر السعدون عن كرم جابر

ضعف جانب الود بين الاثنين يوماً ما فأراد بندر ازالة ما حصل واحكام رابطة الاخاء ، وفيما هو يفكر بوصله الى مايريد جاءه رجلان من جابر لبعض الامور فانتهز بندر فرصة وجودهما في ضيافته ، فقال بعد أن غص المجلس بالناس والرجلان شاهدان (من الذي يستحق وصف الكريم في هذه الجزيرة) فقال الحاضرون جميعاً انت ايها الامير فقال ما الكريم في الحقيقة الا جابر الصباح (اخو مريم) الذي كان يبسط (الحصر) في الاسواق ويملأها من

(التمّن) للمحتاجين وليس له واردات تغنيه أمـا أنا فلا فخر لي وكثير من أملاك البصرة بيدي .

غزوات حدثت في زمنه

بندر يهم بغزو الكويت

لسبب لانعلمه وفي سنة لانعرف تاريخهـا همّ بندر بغزو الكويت متخذاً تهدم سورها فرصة لهجومه ولكن الكويتيين وقد علموا بعزمه اهتموا باصلاح السور ليقيهم شر اعتدائه فتركوه في وقت قريب سوراً منيعاً وكانوا في اثناء اشتغالهم باصلاحه يرتجزون بقول شاعرهم النبطي :

قل لبندر قل له	لايغره مـــالـه
الاطواب جرت له	والسور يبنى لـه

وما كان من بندر بعد ما علم بما جرى وعلم بحماس الكويتيين إلا أن ينزل عن صهوة عزمه ويترك الكويت وشأنها .

بندر يغزو الكويت

لكن بندر لم يقتنع نهائياً بالعدول عن الغزو ، حيث رأيناه أخيراً زحف على الكويت بجيش جرار خيم به في (ملح) ، وماذا صنع الكويتيون بعد أن نزل هناك ، ارادوا قبل كل شيء أن يعلموه بصعوبة ما يحاول وانه لا يفوز منهم بطائل مهما كان له من الانتصار ، ارادوا ذلك فبعثوا اليه (عبد الرحمن الدويرج) أحد زعمائهم وأحد أصدقاء بندر المخلصين ليعتب عليه فيما عمل ويخوفه من سوء العاقبة فقال عبد الرحمن لبندر بعد أن اجتمع به وبندر لا يشك في صدقه واخلاصه :

(ما لك ولحرب أهل الكويت فانهم تعاهدوا على مناجزتك وعلى أن يقاتلوك قتال المستميت وقد أودعوا أموالهم ونساءهم والعزيز لديهم في سفن شراعية فاذا ما خذلوا في الميدان امتطوا غواربها الى حيث لا تنالهم قوتك

ولا ترهبهم سطوتك . ثم ما الذي يدفعك الى هذا المضيق وجابر لا يرى بينك وبينه ما يقتضي غمار الحرب وسفك الدماء البريئة . وهو مع هذا كله مستعد لان يقدم لك ما أنت في حاجة اليه من ذخيرة وطعام .

ففت عبد الرحمن بكلامه هذا في عضد بندر وخامره منه اليأس وعلم أن عاقبة البقاء او الهجوم وخيمة عليه فأظهر انصياعه للأمر وكسى الرسول كسوة فاخرة وأرجعه معززاً مكرماً ومزوداً بالتحية لجابر وقومه ثم قفل راجعاً من حيث أتى .

غزو جابر على[1] النصار في البريم [2]

غزا جابر النصار باسطول كان هو قائده بنفسه وقد قيل في سبب هذه الغزوة أن النصار قتلوا رجلاً من بيت آل الدبوس من أهل الكويت . ومهما يكن فان جابراً عندما أقبل عليهم في البريم وعلموا بما يحاول ويريد تجمهروا حول الشاطىء وهم ينشدون الاناشيد الحربية الحماسية وقد تعاهدوا على صد المهاجمين .

أما أهل الكويت فهمّوا اذ ذاك بالنزول لمناجزتهم وقد بلغ بهم الحماس أشده ولكن جابراً وقد كان يتحيّن فرصة سانحة لم يرها حانت بعد منعهم مما ارادوا ، وفي تلك الآونة وقد أخلدوا الى الراحة والسكون نزل منهم رجل اسمه «سالم» عاضاً سيفه بأسنانه وهو متجه لهم ولم يبصره أهل سفينته الا بعد أن نزل فقالوا بصوت واحد (سالم سالم) وهناك وقد سمع بقية السفن أقلعوا جميعاً خلفه ولم يتراجعوا الا في ساحة الوغى فوقعت بين الفريقين معركة هائلة فرّ فيها النصار تاركين كثيراً من أموالهم وكثيراً من رجالهم جرحى وقتلى وقد حاول الكويتيون مطاردة المنهزمين فصدهم جابر وقال : (اتركوا للذليل مهزما) ثم كروا راجعين الى وطنهم غانمين منتصرين وفي هذه الحادثة

---

(١) النصار قبيلة من القبائل العربية القاطنة في الجهة الشرقية من شط العرب وغيرها .

(٢) البريم موضع معروف على ساحل شط العرب الشرقي .

يقول بعض شعراء النبط :

خاسر ياللي[1] قعد[2] في الديرة[3]   مـا حضر يومـاً على النصار

راشد السعدون يلجأ الى الكويت

ثارت بين راشد السعدون والحكومة العثمانية في العراق فتنة ففر راشد من أمامها ولم يجد له ملجأ إلا الكويت وقد اعتصم فيها بحمى جابر وظل يتقلب هناك على فرش الاكرام والاحترام حتى انساه جابر باحسانه مصيبته التي نزلت به ، ويقال ايضاً ان جابراً أظهر له الاستعداد بمعاضدته في رد جماح الحكومة العثمانية وفي السير اليها معه بنفسه .

راشد يكافىء جابر

لم ينس راشد اكرام جابر الذي غمره به ولا احسانه الذي أخرس به لسانه فعرض عليه بعد ان رجع الى مقره (المعامر) بأسرها أو (ثلاثة حواز من الفاو) مكافأة له على افضاله فاختار الثلاثة الاحواز وضرب باختيار ابنائه (المعامر) الحائط وانما اختار ما اختار على قلته وترك ما هو اكثر منه واعمر لان للفاو مستقبلاً لا يتسنى للمعامر نظراً لكون الفاو على شاطىء البحر والجهات التي تكون كذلك يطرد اتساع ارضها وزيادتها لتقدم الشاطىء في البحر بسبب ما يرميه النهر هناك من الطين وغيره .

ويقال في سبب تلك المكافأة ان راشداً نزل خارج الكويت في احد اسفاره ولم يكن جابر فيها فقامت اخته (مريم) مقامه في اكرام الزائر وتقديم الضيافة اللازمة له ، فأكبر راشد نباهة تلك المرأة وكرمها الحاتمي الذي أخجلته به فرأى من الواجب عليه أمام ذلك الاكرام ان يقوم بأمر يقابل ذاك الفضل والعطف ففعل ما فعل .

---

(١) « يا لي » بمعنى الذي (٢) « قعد » أي تأخر (٣) « الديرة » أي البلدة .

جابر يساعد الحكومة العثمانية في استخلاص البصرة

في أيام علي باشا والي بغداد خرجت بعض القبائل العراقية على الحكومة العثمانية حتى احتلت البصرة فاخرجت المتسلم والجند منها فرمى المتسلم نفسه بأحضان جابر والتجأ اليه فأنجده جابر بعدة سفن ملأى بالرجال والمدافع والذخيرة وسار فيهـــا الى البصرة بنفسه فكان من أعظم المساعدين على استخلاصها وارجاعها الى أهلها وهناك شكرت الحكومة همّة جابر وكافأته على صنعه بمائة وخمسين (كارة من التمر) سنوياً وتكرمت عليه بفرمان وعلم أخضر وما زال الراتب يجري لآل الصباح في زمن العثمانيين الى أول ايام مبارك الصباح .

مساعدة جابر للحكومة في انقاذ المحمرة من كعب

تغلبت قبيلة كعب على الحكومة العثمانية يوماً ما فطردت جندها من المحمرة وقبضت على زمامها فهبّ جابر في هذه المرة كما هب في الاولى وسار الى المحمرة بأسطول بحري لاستردادها من أيدي الغاصبين حتى نزع منها تلك الاقدام وسلمها الى اهلها وكر راجعاً الى وطنه وقد أبقى له في النفوس أثراً محمودا .

المتسلم الفار من وجه الحكومة

هرب أحد متسلمي البصرة بأموال الحكومة العثمانية الىالكويت فارسلت خلفه رجالاً يستردونه منها ولكن بعد ان التجأ الى جابر الذي وقف في وجوههم أظهر اشمئزازه العظيم من طلبهم لتسليم من أحاطه بحمايته وطال الجدال بينهم في ذلك حتى قال شاعرهم النبطي مخاطباً جابر :

يا ابن صباح أد الدخيل وإلا فمـــا لك مسكنه

فأجيب من أحد الكويتيين بقوله :

السموءل كافر مـــا أدى الدخيل
هل كيف سادات العرب تعجز عنه

وهناك اوعز جابر للمتسلم من طرف خفي بالسفر الى نجد مع قافلة كانت مزمعة الرحيل اذ ذاك تفادياً من تسليم من التجأ اليه ولكنه مع هذا استحصل على شيء من المـــال الذي فر به فسلمه الى اولئك الرسل .

احد ابناء الزهير يلتجيء الى جابر

حدثت فتنة فيما مضى بين آل الزهير وآل الثاقب قتل فيها كثير من آل الزهير وكان من الباقين منهم رجل أودع أمواله يهودياً في البصرة فذهب اليه واختفى في داره ولكن اليهودي أضمر الغدر لصاحبه ليستخلص ماعنده من المال . وهناك أبلغ الخبر زعيم آل ثاقب الذي ورث كرسي الحكم في الزبـير فبعث الزعيم في الحال من يأتي به اليه ولمـــا مثل أمامه وعلم انه يريد قتله افتدى نفسه منه بما أرضاه من المال ولكن ادعى أن ليس باستطاعته تسليمه الا في الكويت حيث فيها كثير من أقـــاربه ، فقبل أن يسير معه رجالاً لقبض المال هناك .

ساروا اليها جميعاً ولما وصلوا انزل الاسير علىأحد أقاربه فأشارعليه قريبه بالالتجاء الى جابر .

ولكن وقد علم ان المحافظين عليه لايفلتونه اذا ابصروه البسه ثوب امرأة واخرج معه امرأة لتدلهالطريقالى بيت جابر فخرج ولميحس بهأحد من رفاقه وساروا الى حامي الذمار فلم يجد في بيته الا اخته « مريم »فأجارته على لسان أخيها الذي شكرها فيما بعد على ماعملت .

اما المحافظون فبعد ان علموا بافلات صاحبهم ذهبوا الى جـابر وما أشد

اندهاشهم عندما وجدوا صاحبهم يجانبه وهو يلاطفه بالحديث وقد اندهشوا اعظم من عدم اكتراث جابر بكلامهم وما بثوه اليه من الشكوى فقد قال لهم : « نحن لم نرسل على صاحبكم ولكنه استجار بنا فأجرناه فاللوم عليكم لتفريطكم واهمالكم » وبذلك لم ينالوا من صاحبهم شيئاً ورجعوا يتعثرون بأذيال الخيبة والحرمان وقد حفظ ابن زهير تلك اليد البيضاء لجابر فكافأه عليها بالصوفية وهي (قطعة كبيرة من نخيل البصرة) .

جابر وابو أهناد في البحرين والكويت

في الايام التي اقامها جابر في البحرين أراد شراء شاة من جاره «ابو اهناد» لضيف كريم نزل به ليلا فقدمها ابو اهناد اليه مجاناً وأبى أن يقبل لها ثمناً فأكبر جابر كرم الرجل وتمنى ان لو تتاح له فرصة ليكافئه على ماعمل ..

دارت الايام دورتها وحكم جابر الكويت ثم رمت الاقدار صاحبه في رحابها فجاء اليه ليشتري منه تمراً للتجارة ، فعلم جابر اذ ذاك ان هذا هو صاحبه في البحرين وان هذا هو اليوم الذي كان ينتظره . وهناك تجلى كرم جابر الذي يندر مثله بين امراء العرب بل وبين كثير غيرهم . بعد أن تم الاتفاق بين الاثنين وشرع ابو اهناد يعد القيمة لجابر قال له متظاهراً بالجهل بالحساب : « يا أبو اهناد اننا لانريد الا حقنا الواجب وانت عددت اكثر منه فكأنك اردت ان تختبرنا في أخذ ما زاد على الحق فالذي لنا هو نصف ماعددت لاغير » فحاول ابو اهناد اقناعه فلم يقنع وخرج وحقيبته ملأى بنصف القيمة ولم يهتد الى السر في الامر الا بعد ان اعلمه احد اصحابه بحقيقة ماجرى .

هكذا ينبغي ان لاينسى المعروف وان يكافأ صاحبه بأضعاف ماأسداه سيما وان للسر في المكافأة والاحسان أثراً جميلا لايمحى من النفوس وهو يدل على الاخلاص الصحيح الذي لاتشوبه شائبة .

واردات جابر

لم يكن لجابر من الواردات الا رسوماً طفيفة كان يتقاضاها على بعض

الاموال التي ترد الكويت وما رتبته له الحكومة العثمانية من التمر وما كان يجنيه من نخل آل الزهير « الصوفية » ومن الثلاثة الاحواز التي منحه اياها راشد السعدون وكذا مايجود به الكويتيون للقيام بما يحتاجه لاصلاح البلد وحمايتها من الاعداء ولبعض حاجاته الضرورية .

مبارك بن جابر وراشد السعدون

يقال ان مباركاً ذهب الى راشد السعدون لتهنئته بأحد الاعياد فأكرم راشد زائره بمنحه قسماً كبيراً من النخيل يقال في «المعامر» تذكاراً لتلك الزيارة ولكن جابراً غضب على ابنه مبارك في قبوله والح عليه بارجاع ماأخذ الى صاحبه المتفضل فتغافل مبارك الى أن مضت السنة وبعد انقضائها ارجعه الى صاحبه المحسن .

جابر لا ينكر معروف أهل بلده

كان جابر لا يأخذ على أموال علي بن ابراهيم التي ترد الكويت شيئا من الرسوم ، فغاظ عبد اللطيف بن خميس تخصيص جابر هذا الرجل دون سواه من تجار الكويت اذ ذاك فعاتبه يوما على ذلك فلم يجبه جابر الا بقوله سأنظر في الامر وبعد مضي عشرة أيام بعث جابر خادمه اليه ينبئه بحاجته الى قهوة لمجلسه فملأ له وعاء من الاوعية الصغيرة وأعطاه اياه . ثم أرسل جابر الخادم نفسه الى علي آل ابراهيم ليطلب منه ما طلب من صاحبه ، وما كادت الكلمة تلفظ من فم الخادم حتى دعى باحضار عدة دواب حملها نحو ثمانية أكياس مملوءة قهوة فجاءت هدية صاحبنا الاول بجنب تلك الهدية الغالية ، كالحبة قرب القبة ، وكان غرض جابر بهذا العمل ان يقنع صاحبنا المعترض بخطئه في الاعتراض ، وقد حصل ما حاول فانه وضع الهدية الاولى فوق الثانية في بهو مجلسه العام ، ولما دخل المعترض وأبصر الهديتين علم بالحيلة التي دبرها جابر لاقناعه ، فنكس رأسه حياء وتصبب عرقا وندم على ما فرط منه .

نوع من عقوبات جابر لرعيته

احتاج جابر الى جملة من العبي لخدامه ولمن يفد اليه من الأعراب ، فارسل الى (فهد الفهيد) احد تجار الكويت ، وكانت عنده بغيته ولكن خوفه من عدم الوفاء أو طول المدة دفعه الى أن ينكر وجود شيء تحت يده .

أما جابر فلم يفته ما كان يجول بخاطر تاجرنا الفاضل وما كان يقصده من ذلك الانكار فأسر الامر في نفسه ولم يبد عليه شيء من التأثر الى أن مضت أيام وجاءت اخرى أخذ فيها بعض الاعراب اموالا للتاجر ، وبعد برهة من الدهر ابصر التاجر الاعراب الذين سلبوا أمواله في سوق الكويت فأبلغ الخبر لجابر وطلب منه القبض عليهم فقال له : من أنت ومن تكون ؟ قال أنا (فلان بن فلان) قال انا لا أعرف احدا من أهل الكويت هذا اسمه . نعم اعرف بهذا الاسم رجلا من أهل الزبير أو الاحساء فأكثر صاحبنا الكلام معه ليقنعه فلم يقنع ، وقال نحن لا نطالب الا بأموال رعيتنا لا غير ، فانصرف يتعثر بأذيال الفشل وقد علم أن هذا عقاب له على فعلته الاولى .

حمية جابر على أهل بلده

ضمن احد آل الصباح نخلا لبعض المنتفك في البصرة ولكنه لم يسلم لهم شيئاً فرفعوا الامر الى جابر وطالبوه بأخذ حقهم منه فقال انه مفلس وليس في يده شيء فدفعهم عن حقهم بهذا العذر الذي لا نعرف أهو حقيقة أم لا . ومهما يكن فإن أحد ابناء آل بدر بعد هذه الحادثة سافر الى (سوق الشيوخ) في تجارة فقبض عليه هناك زعيم المنتفك وأخذ ما في يده من المال ثم زجه في السجن . وما كاد يبلغ الخبر جابرا حتى جهز اسطوله البحري الذي لم يرمَ قلوعه الا في احدى مقاطعات المنتفك في البصرة فوقف أمامها ومنع أهلها من الخروج الا بعد أن يسلم اليه ما أخذ من التاجر الكويتي وأن يطلق سراحه

من السجن فنزلوا على حكمه مضطرين .

جابر والانكليز

يقال أن ثلة من الانكليز هبطوا الكويت أيام جابر فحاولوا اقناعه بحمل الراية الانكليزية فلم يقنع،وقال: « إن الحكومة العثمانية جارتنا وجل ما نحتاجه يأتينا من بلدها البصرة التي لها فيها الامر والنهي » فقالوا ان الكويتيين محتاجون الى الهند وسفنهم تصل اليها وهي من مستعمرات انكلترا ، فأعطاهم جابر اذنا صماء ، وأخيراً استأذنوه في البناء في الكويت فلم يأذن لهم ايضاً ، ثم قالوا أتسمح للحكومة العثمانية في نزول بلدك والبناء فيها أم تمنعها كما منعتنا، فقال نمنعها من ذلك اذا كان فيه ضرر علينا وعلى بلدنا فحاولوا أن يعطيهم صكا بهذا التقرير فما أجاب فرجعوا أدراجهم من حيث أتوا .

أما متسلم الحكومة بالبصرة فعندما بلغه مجيئهم الى جابر والحديث الذي دار بينهم ، زار جابرا في بلده وأخذ يشكره على الدور الذي مثله أمامهم ، ويقال أن الحكومة التركية لم ترتب لجابر التمر الذي تقدم الكلام عليه الا لهذا السبب .

جابر في البصرة

حاصرت كعب البصرة وكان فيها اذ ذاك أحد أبناء آل الزهير. فسار جابر بأسطوله البحري اليها فظن كل من الفريقين انه جاء نصرة لخصمه فأراد ابن زهير ايقاعه عند الحكومة بحيلة دبّرها غير انها لم تنطل على جابر ذاك الرجل الفطن الذكي .

ارسل ابن زهير اليه حوالة بأضعاف راتبه من التمر الذي رتبته له الحكومة فلم يقبل الا ما رتب له فقط فاضطرب كاتبه (ابن هاشم) من رفضه الباقي وأخذ يحسن له قبول الحوالة بأسرها فما وجد منه الا اعراضا وصدودا .

كان غرض ابن زهير أن يهول الامر عند الباب العالي فيما اذا قبل جابر جميع ما قدم اليه فيقول إنه لم يرجع عن مهاجمة البصرة الا بهذه الرشوة

العظيمة ، ولكن الفخ التي نصبها رماها جابر بحصاة دهائه فأبطل عملها .

شفقة جابر على رعيته

وضع صباح بن جابر ضريبة على الحوانيت باغراء من بعض اخوانه وبدون علم من أبيه ، وكان من أهل الحوانيت رجل فقير اعتذر عن التسليم بخلو يده فلم يقبل صباح اعتذاره فاضطر الرجل الى انهاء الامر الى أبيه والاستجارة به ، وفي مجلسه العام وبين وجهاء البلد بسط له عذره وما هو فيه من ضائقة الحال ورجاه غض النظر عنه فاندهش جابر مما سمع والتفت الى جلسائه يستفهم منهم عن الحادث وما كانوا ليخبروه لولا الحاحه الشديد عليهم .

حينذاك ارسل الى ابنه صباح وأغلظ عليه القول على تجاسره وقال : ان لأهل الكويت علينا حقوقا عظيمة ولو كان تحت يدي ثروة طائلة لقمت بحاجات الفقراء والمحتاجين منهم الى أن يوعوا . توفي في سنة ١٢٧٦ .

أولاد جابر

له اثنا عشر من الذكور . صباح وهو الذي تولى بعده . عبد الله . خليفة . سلمان . محمد . مجرن . علي وتوفي سنة ١٢٨٠ . حمود . جراح . مبارك . شملان . دعيج . وتوفي سنة ١٣١٥ .

الحاكم الرابع صباح الثاني
ابن جابر الاول

تولى بعد وفاة أبيه سنة ١٢٧٦ ولم يحدث في أيامه حوادث تستلفت النظر ولا حصل للكويت من التقدم ما يستحق الذكر .

وقعة ملح

في السنة التي تولى فيها صباح هجم عبد الله آل السعود على العجمان في (ملح) فقتل منهم من قتل والتجأ الباقون الى الكويت تحت ظل صباح فأرسل عبد الله اليه رسولاً لطرد العجمان من البلد واخراجهم من حمايته

ولكن الرسول أساء التعبير فقال له وعنده أخوه (دعيج) « ان معزبك[1] الامام يأمرك باخراج العجمان اليه » وقد عد دعيج ما سمع اهانة وتحقيراً فسرت النخوة في رأسه واظلمت الدنيا في عينيه وهناك أراد أن يعلم آل السعود بأنهم لا يعترفون لهم بفضل ولا يقرون بسلطة وان في استطاعتهم منازلتهم في الميدان وفي استطاعتهم صدهم عن الاعتداء . اراد ذلك فأمر (عنبراً) أحد عبيد آل الصباح بأن يصيح بأهل الحوطة المنتمين إلى آل السعود بالإذن لمن يريد الخروج منهم ليقاتل مع عبد الله .

أما التخلي عن العجمان وتسليمهم اليه فأمر لا يمكن أن يقع وقد التجأوا تحت حماية آل الصباح في بلدهم .

بلغ عبد الله ما جرى فأسف كل الأسف لانه لم يقصد آل الصباح وأهل الكويت بسوء ولم يرد تحقيرهم واهانتهم ولكنه أتى من رسوله الذي لم يحسن اختياره وقد يجلب سوء اختيار الرسول ويلات عظيمة ومصائب جمة على من اختاره .

الكويتيون وصلاة العيد

كان الكويتيون فيما مضى يصلون العيد خارج البلد وبعد تلك الحادثة أخذوا يصلونها في الداخل خوفاً من الحدثان وما زالوا الى هذا اليوم وهم يصلونها هناك .

وقعة الطبعة

في أثر حادثة ملح سنة ١٢٧٧ التف حول العجمان بعض من قبيلة المنتفك والظفير واجتمعوا في كاظمة فعاجلهم عبد الله بعد اجتماعهم بجيش كثيف جرع كثيراً منهم الحمام وقضى البحر على جل الباقي منهم عندما اعتصموا به فقد غرقوا في طينه ومائه معاً .

---

(١) معزبك ،أي سيدك .

صباح والقمرق

كثرت الاموال ايام صباح واتسعت التجارة نوعاً ما فحاول وضع رسوم على البضائع الخارجية ولكن الوجهاء أبوا عليه وصارحوه بقولهم « لا نقبل أن تجعل على أموالنا ما لم يجعله أبوك ولا جدك من قبل » فتلطف في اقناعهم ولكنهم لم يقتنعوا وقالوا : كلنا تحت أمرك وطوع اشارتك وأموالنا وقف على ما ينتابك من التكاليف .

آل الزهير والصوفية

ادعى بعد وفاة جابر ثلة من آل الزهير أن لهم في الصوفية حقاً وان الذي وهبها لجابر لم يستأذنهم فيما فعل وليس هو بوكيل عنهم ولما لم يقبل آل الصباح الدعوى رفعها آل الزهير الى المحكمة العثمانية في البصرة وهناك ارسل صباح ابنه عبد الله ليقوم بحق الدفاع فسار كما أمر وبقي أياماً يحامي ويدافع . ولكنه وقد أحس بأن الحكم سيكون عليه استأنف الدعوى في بغداد . وفي بغداد تغير الحكم فقضي لعبد الله على خصومه وانما حصل هذا الانقلاب في قضية واحدة لان للحكومة غرضاً بعبد الله فأرادت اسداء معروف اليه تمهيداً لما تريده ولينقاد لها من أول كلمة تبدو منها . يقال أن غرضها كان هو اسناد وظيفة قائم مقامية الكويت اليه تحت سيادتها ولكن عبد الله أحجم عن القبول معتذراً اذ ذاك بوجود أبيه على قيد الحياة فاكتفت منه بوعده اياها اذا ما أفضى الامر اليه .

رجع عبد الله الى الكويت وبعـــد مدة وجيزة توفي والده فأقامه الكويتيون مكانه وبعد مخابرات بينه وبين الحكومة تعين في قائم مقامية الكويت تحت حمايتها .

بيلي رئيس الخليج يسافر الى الرياض

قدم بيلي الكويت في أحد المراكب البخارية ليقوم منهـا بسياحة الى الرياض – فنزل ضيفاً عند يوسف آل بدر المشهور وأظهر له عزمه على السفر فقال الامر راجع الى صباح حاكم المدينة فلو عرضت الامر عليه لكان أولى ، فذهب بيلي اليه وكشف له الامر طالباً منه ان يرسل معه رجالاً يهدونه الطريق ويوصلونه الى الرياض فقال ليس في استطاعتي أن اجيبك الى ما تريد خوفاً عليك من قطاع الطريق والذي ارى ان تخابر ابن سعود في (عاصمته) وتستأذنه في السفر اليه ... جرت المخابرة بين الاثنين وجاءه الاذن فقام بمهمته بسرعة ولكنه عندما قرب من سور الرياض هب رجال الدين هناك في وجه ابن سعود وطلبوا منه بالحاح ان يمنعه من الدخول ونظراً الى ان لهم الكلمة النافذة فقد نزل على حكمهم وابلغ حقيقة الامر الى السائح الانكليزي فرجع السائح من حيث أتى وهو في غاية من التأثر وقد تمثل بقول الشاعر :

ملأنا ظهر الارض حتى ضاق عنا وظهر البحر نملأه سفينا

فاجيب على لسان ابن سعود :

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

محمد بن صباح يقتل عنبراً

عنبر هذا هو احد عبيد صباح المقدمين وقد جعله مأموراً للرسومات . ففي أحد الايام كانت هناك قافلة تريد السفر الى نجد ومعها كثير من أموال الكويتيين ولكن طال مكثها ولم يفصل العبد عليها ولا أعطاها اهتمامه فضاقت الحال بأهل الاموال وألح عليه بعضهم بالاسراع فما وجد منه إلا نفوراً واستكباراً . خاطبه عبد الله آل عنقري [1] من أكبر وجهاء البلد

---

(١) بيت آل العنقري من البيوتات المشهورة في حي (الوسط) .

فاشمأز من خطابه حتى أفضى الأمر الى التسابب الخشن بين الاثنين وولى العبد ومرجل الغضب يغلي بصدره وقد صمم على الايقاع به .

بعد هذا ببرهة وجيزة ابصر العبد صاحبنا منفرداً وحده فنزل عليه بالعصا وأوسعه ضرباً وشتماً الى ان تركه من شدة الألم لا يطيق القيام .

بلغ وجهاء البلد الامر فاجتمعوا للبحث في ذلك الاعتداء الفظيع وأخيراً قرّ رأيهم على ابلاغ صباح تألمهم من الحادث وطلب نفي العبد من البلد ولكن المؤسف ان صباحاً بعد ان ابلغوه ما جرى لم يعر طلبهم التفاته . وقال : لكم علي عزله من وظيفته ولكم أن اضربه وازجه في السجن فقالوا لا يرضينا إلا نفيه لا غير واذا لم تجبنا الى طلبنا فسنغادر بلدك غير آسفين فقال كيف يسعكم ذلك وهي امكم فقالوا يسعنا لانها أساءت الينا ولم تعطف علينا ومع هذا كله فما وجدوا منه إلا فتوراً فقاموا اذ ذاك غاضبين وقد قرأ محمد ابن صباح في وجوه القوم التصميم على الهجرة فشق عليه الامر ونهض من وقته الى العبد فقتله فداء ثلاثين من وجهاء وطنه ، وبذلك سكنت الزوبعة الثائرة وكفّ القوم عن عزمهم .

أولاد صباح

لصباح ثمانية من الذكور : عبد الله وهو الذي تولى بعده . جابر . جراح. محمد . احمد . مبارك . عذبي . حمود .

الحاكم الخامس عبد الله الثاني
بن صباح الثاني

ولد في العام الذي توفي فيه جده عبد الله سنة ١٢٢٩ وتولى بعد وفاة ابيه في رجب سنة ١٢٨٣ .

لا يدل ظاهر عبد الله على حذق ولا على فطنة أو كياسة ، ولكنه اذا

وقع في مأزق ضيق لا يلبث ان يتخلص منه .

جابر بن مرداو يستنجد بعبد الله

حدث بين جابر بن مرداو شيخ كعب وامير المحمرة سابقا نزاع مع النصار احدى القبائل الواقعة تحت امرته أفضى الى قتال بينهما ، وقد اشتد الامر على جابر حتى استنجد بعبد الله ، فجهز له سفنا لا تقل عن عشرين سفينة ملأى بالذخيرة والرجال .

وقد رأى عبد الله أن لا تذهب السفن جميعها في آن واحد لهذا سير سفينتين من طريق بهمشير وأمر بقية السفن ان تذهب الى أخيه (جراح) في الفاو لتأخذ منه التعاليم ، ولكن قبل ان يصل الى جابر شيء من تلك النجدة اقبلت عليه نجدات عظيمة من المنتفك خاض بها غمار الحرب فكان له النصر المبين عليهم ومع هذا فانه حفظ لعبد الله حميته وشكره على همته ، فكافأه على ذلك بسبعين (كارة) من التمر راتبا سنويا .

نجدة أخرى من عبد الله لجابر

في يوم ما خشي جابر ان لا يسلم له النصار ما عليهم من الرسومات فثار ثائر النزاع بينهما حتى اوشك ان يفضي الى ما أفضى اليه الأول لولا ان عبد الله قدم نفسه ضامنا عليهم في تسليمهم ما يراد منهم في وقته وقد رضي الكل بذلك ولكن النصار في الوقت المعين أظهروا الامتناع عن التسليم ، فاضطر عبد الله اذ ذاك محافظة على ما أخذ على نفسه ان يجهز جيشا ليضطرهم على الخضوع والاذعان بقوته .

سار الجيش وكانت النتيجة اشتباك القتال بينهما واحتلال عبد الله لكوتهم وتخريبه لبيوتهم واستيلائه على كثير من اموالهم وارغامهم على تقديم ما قطعوه على انفسهم .

غزو القطيف والاحساء

كانت القطيف والاحساء بيد عبدالله آل سعود اولا ولكن أخاه سعودا احتلها

عنوة بعد نزاع طويل فاستغاث عبدالله بالحكومة العثمانية ومثل امامها شبحاً مخيفاً من أخيه بميله الى الحكومة الانكليزية ذات الطمع في الخليج العربي . أما هي فبادرت الى انجاده قطعاً لما تخافه وتخشاه . واستنجدت ايضاً بعبدالله آل الصباح فلبى طلبها وسير أسطولاً بحرياً مؤلفاً من سفن عديدة لكبار الكويتيين كان هو قائده بنفسه وجيشاً برياً بقيادة أخيه مبارك ضم كثيراً من العربان .

أما الجيش العثماني فسار برئاسة الفريق نافذ في مركبين حربيين حتى أرسى في رأس تنورة حيث التقى به الاسطول الكويتي ثم نزل الفريقان من (الخنيزيه) وساروا الى القطيف فلم يجدوا أمامهم عقبات تصدهم وسلمت القطيف ودخلوها بدون حرب تذكر ولم يبق فيها الا قلعتها التي تحصن فيها (السديري) عامل ابن سعود ولكن لم تمضِ مدة وجيزة حتى رفع راية التسليم وطلب الامان على نفسه ورجاله وما في القلعة من سلاح فأعطاه عبدالله ذلك ودخل القلعة وليس في يده الا مسباحة وبفتح القلعة انتهت مشكلة المدينة .

اما بقية قراها كالدمام ودارين وتاروت وغيرها فقد فتحت الا ان تاروت ذهب اليها قسم من الجند فأباحها بعد فتحها نهباً وتقسيماً .

وقد أساء عملهم عبدالله فبعث اليهم من يغل يدهم ويمنعهم من الاعتداء . جرى كل هذا ومبارك لم يشهد القتال لانه لم يصل الا بعد قضاء الجيش مهمته وبعد فتح المدينة وقراها .

وسار الجيش بعد فتح القطيف الى الاحساء وفي معيته الفريق نافذ وعبدالله ومبارك والجند الكويتي البري اما البحري فبقي مرابطاً في سفنه منتظراً ما يقع هناك وكان في الاحساء أحد عبيد آل السعود عاملا فجرت المخابرة بينه ورؤساء الجند في تسليم الاحساء بدون حرب وانه ان فعل فسوف لا يقابل الا بالاكرام والمكافأة الحسنة والا استعملت القوة العنيفة

ضده . ونظراً الى ان العبد كان ذا رأي وحزم فقد رأى ان التسليم اولى لضعفه امام تلك القوة وكان ذلك في سنة ١٢٨٨ .

نزول محمد آل خليفة على عبدالله في الكويت

في سنة ١٢٨٠ سرى سم الفرقة بين الشيخ محمد آل الخليفه حاكم البحرين اذ ذاك وبين أخيه الشيخ علي وقد انتهى الامر الى اخراج الثاني للاول من البحرين واحتلاله محله .

امــا محمد فأم الكويت ونزل ضيفاً كريماً على عبدالله آل الصباح الذي ساءه مــا جرى بين الأخوين ولذا رأى من الواجب عليه اصلاح ذات البين وارجاع المياه الى مجاريها واخيراً انتدب اخاه محمد آل الصباح لتلك المهمــة وأصحبه بكتاب الى الشيخ علي يلومه فيه على ما عمل وبين له سوء عاقبــة النزاع والاختلاف ويطلب منه بالحاح ان يتنازل لأخيه .

سار محمد الى البحرين كما أمر وقابل فيها علياً وسلم اليه الكتاب فأظهر علي الاقتناع وقبول التوسط .

فكر محمد راجعاً إلى الكويت ليخبر أخاه عبدالله بحقيقة الامر وقـــد رأى عبدالله بعد ذلك ان يسير هو واخوه الى البحرين ليشهدا فيهــا تنازل الأخ لأخيــه فسارا وفي صحبتهما محمد آل خليفة ولكن المؤسف انهما وجدا علياً قد تغير ونقض ما أبرم على نفسه فأصبح لا ينفع معه اللوم ولا يفيد . هناك شكر محمد آل خليفه الاثنين وأقسم عليهما بالرجوع الى وطنهما فرجعا وسار محمد آل خليفه الى دارين حيث جرى بعد ذلك ما جرى من الحوادث المعروفة في تاريخ البحرين .

غزو محمد آل سعود الكويت

في سنة ١٢٩٠ غزا سعود الكويت غير انه عندمــا وصل الوفرى وعلم باستعداد الكويتيين لقتاله وأخذهم الأهبة لملاقاتــه رجع من حيث أتى ولم

يشأ ان ينزل ساحة الوغى ومبارك آل الصباح أخو عبدالله هو قائـــد للجيش بنفسه .

غزو محمد آل الرشيد الكويت

في سنة ١٢٩٥ غزا محمد آل الرشيد الكويت أيضاً وهجم على عربانهـا المقيمين في اطرافهـا فنالت غارته طائفة من العوازم على الصبيحية وما كاد الخبر يبلغ عبدالله آل الصباح حتى هب واهل الكويت لأخذ الثـــأر من المعتدي فساروا اليه بحماس شديد ولكنهم عندمـــا وصلوا ملحاً اخبروا بمغادرته (الصبيحية) ميمماً وطنه فرجعوا . توفى عبدالله سنة ١٣٠٩ .

اولاد عبدالله

لعبدالله من الذكور خليفة وجابر وللخليفة من الذكور اثنان علي وعبدالله. أما الشيخ علي فاشتهر من بين آل الصباح بالشجاعة النادرة وبالجرأة الغريبة التي لا يعرف معهـــا الموت ولا يرى النزول مع الاعداء الا كما يرى المولع بالالعاب النزول في ساحة لعبته كانت له مشاهد في الحروب معروفة ، وقد تولى قيادة الجيش مراراً وكانت البادية ترتعش من ذكره وتهاب من منازلته.

وعندي ان لو قلد الى حضرته امر القيادة العامة في الحروب التي وقعت بين أهل الكويت وغيرهم وفي تطويع أبناء البادية وتأديبهم لكان له في ذلك من الآثار الحسنة ما جعل جانب الكويت اليوم مرهوباً ولما وصلت الى ما وصلت اليه في بعض الأحيان .

نعم لان هذا المقدام مع شجاعته المدهشة له آراء حصيفة وبين جنبيه من الآمال ما لا يقل عن آمال الشيخ مبارك آل الصباح وهذا البطل هو الذي قال فيه الأديب الفاضل زين العابدين شاعر الشيخ مبــارك الخاص اذ ذاك يمدحه ويذكر جواداً له :

قرض الصوت بالقريض متى ما   شمت طوداً على أغر جـــواد

خلف القرم والكمي الذي لم	يشهد الناس مثله في البلاد
ذاك حلو المقال زين السجايا	طيب الخيم سامي الأجداد
من بيوم الوغي أباد قروماً	حين هز القنا بوجه الأعادي
زوج البيض من نفوس بغـاة	ودعاهم أشلاء فوق الوهاد

وله عدا هذا من التواضع ودماثة الاخلاق ولين الجانب وحلو المحادثـة ما جعل له في القلوب منزلاً عامراً .

الحاكم السادس محمد بن صباح الثاني

تولى بعد وفاة أخيه عبد الله في ذي القعدة سنة ١٣٠٩ وكان أخوه جراح مشاركا له في الحكم مشاركة غير رسمية .

كان محمد سليم الصدر رقيق القلب بعيدا عن الشر محبا لقومه ولكنه كان ضعيف الارادة واهن العزم غير ميال للشهرة ولا بعد الصيت . لم يحـدث في أيامه الا وقائع طفيفة ، وما جرى بينه وبين أخيه مبـارك من المشاكل التي سنوردها فيما بعد .

محمد وجراح ومبارك

كان هؤلاء الثلاثة اخوانا وكان اختلافهم في المشرب وتغايرهم في المبدأ هو الذي جعل شقة الخلاف بينهم واسعة الاطراف ، مترامية الارجاء . حتى كان ما كان ، مما بودنا انه لم يكن ، ولكن لا مرد لسهم القضـاء اذا نفذ ، ولا حيلة في القدر اذا حم .

وسأقص عليك هنا جميع ما وقع مقدما عليه الاسباب التي غـارت على عرى الاخوة ففصمتها ، والتي حدت بمبارك الى قتل اخويه . اذ لكـل من الحوادث أسباب تثور بها براكينها وبتطاير شررها، منهـا ما يكون جنة لصاحبها من اللوم والتفنيد ، ومنها ما ينزل على رأسه من تلك الصواعق مـا يغادره اثرا بعد عين . اني سأذكر ذلك بكل صراحةوبكل حرية كما يتطلب

الحق وكما يتطلب التاريخ لا متحيزا الى مبارك ولا مائلا مع اخويه فالحق أكبر من كل كبير واليك ملخص الاسباب :

احدها – ان مباركا كان ذا نفس عالية طموحة الى العلى وذا مطامع بعيدة يكل الطرف دون غايتها ، ميالا الى المامع والحروب فكان لا يمل من الغزو والقتال ولا يرغب الا في الطعن والضرب ، ويصرف في هذا السبيل ما يملكه من قوة ومال .

أما أخواه المرحومان فكانا بضد ذلك ، ومن هنا كانا يعاكسانه ويعرقلان مسعاه كلما وجدا فرصة .

ثانيها – ابعادهما لمبارك وتقريبهما للشيخ يوسف آل ابراهيم والقاء مقاليد الامور اليه حتى ليخيل للباحث عن الحكم في الكويت اذ ذاك ان الحكم ليوسف لا لهما ، وأن مباركا اجنبي عنهما ليس له من الامر شيء .

ثالثها – تضييقهما المالي عليه ورفض حوالاته فيما يسد به عوزه ويقضي حاجته حتى في مصاريفه البيتية . وحتى في غزواته التي يكون هو قائدها بنفسه .

اشترى اباعر من سوق الكويت بنحو خمسمائة ريال قبل خروجه لغزو بني هاجر ، وحول البائع على أخيه محمد ، ولكن محمد رفض تسديد الحوالة ، وكان هذا بعد مغادرة مبارك الكويت ، فتبعه البائع وادركه في ملح واخبره بحقيقة الامر والجيش سائر فأصابه من الانفعال والتغير ما ضيق عليه الفضاء الواسع واضطره الى النزول ، وهناك أخذ يفكر في العمل ازاء هذه القضية فبدا له شعاع أمل في المكرم ناصر البدر الذي قدمنا الكلام عليه في فصل سابق فحول صاحب الحق عليه وأمره ان يسد حوالته . ونظرا لمابين مبارك وناصر من الصحبة الأكيدة ، ونظرا لمايخافه الاخير أيضا من الشقاق بين الأخوين قبل الحوالة بلا تريث ، غير انه قبل ان يسلم لصاحب الحق حقه ، ذهب الى محمد واخبره بشأن الحوالة ، وطلب منه ان يكون تسديدها على يده ، فغضب عليه وأبدى التأثر منه ولكن ناصرا قابل ذلك بقوله اني سأسد الحوالة

مهما كانت ولكنني جئت اليك وطلبت ان يكون تسديدها باسمك أمام الناس لئلا يكثر منهم القيل والقال فيك وفي أخيـــك فاقتنع محمد اخيرا وسدد الحوالة .

السيد خلف باشا النقيب يتكلم عن اسباب الخلف بين مبارك واخويه

سعى هذا السيد الجليل في الاصلاح بين هؤلاء الاخوان الكرام سعياً محموداً فله الشكر على سعيه . وان لم يساعده الدهر .

على المرء ان يسعى لما فيه رشده وليس عليه ان يساعده الدهر

واليك ما قاله سعادته ممـا وقف عليه بنفسه واطلع عليه دون كثير من اقرانه قـــال : (طلب مبارك من اخويه الاعتراف له بقسطه من الاملاك فامتنعا عن إجابته ولم يصغيا لطلبه حتى كاد الامر يفضي إلى امر غير محمود لولا ان سالماً آل بدر وثلة من اشراف البلد توصلوا الى اقناع الأخوين بالنزول على حكم مبارك وان يكتبا ثلاث أوراق احداهـا تحصى فيها آلات الحرب من اسلحة وذخيرة ويبقى ذخراً للجميـــع واثنتان فيهما الاعتراف له بما اراد تبقى إحداهما عنده والثانية بأيديهما، توصلوا الى ذلك وكتب الاوراق كلها يوسف آل ابراهيم بخطه طائعاً مختاراً وبهذه رجعت المياه الى مجاريهـا وصفا وجه الاخاء ولكن مباركاً احتاج الى شيء من المال بعد هذا (والحاجة ام البلاء) فما وجد من اخويه الا اعراضاً وصدوداً وهناك تساقطت شرفات السلم وهد جانب الولاء وثارت الزوبعـة بعد سكونهـا .أما أشراف [1] البلد فطاروا هلعاً مما جرى وأجمعوا أمرهم ان يتشفعوا الى محمد في إرضاء اخيه واعطائه ما يريد قطعاً للنزاع فعرضوا بين يديه تشفعهم فمـا خيب لهم محمد في هذا الفصل طلباً وامر في الحال فهد الخالد الخضير بقضاء ديونه التي

---

(١) وقد اجتمع في بيت الشيخ يوسف آل ابراهيم منهم السيد خلف باشا النقيب وفهد الخالد وسليمان العبد الجليل وفهد الدويرج وعبد العزيز آل السميط .

بلغت (٦٠٦٠ ريال) واوشك أن يختم هذا الفصل بخـاتمة الخير لولا الدور الذي مثله الشيخ يوسف آل ابراهيم عفـا الله عنه مما أحكم عقدة البغضاء وشيد اركان العداء فانه منع فهداً من اعطـاء مبارك شيئاً واردفه بارسالة عبدالعزيز السميط إلى مبارك يطلب منه تسليم الورقة التي بقيت بيده فامتنع مبارك من تسليمها لانه أحس بالمكيدة من يوسف وكان كما أحس فقـد صاح السيد خلف باشا النقيب بقوله « غرضنا من الارسال عليها انمـا هو تمزيقها لئلا تكون له حجة علينا » .

بلغ مبارك كل ما بدر من مراوغة يوسف فتميز غيظـاً وطفق يسبه سباً شنيعاً ويتوعده بمـا يقض عليه مضجعه ويقلق راحته فاستولى الذعر على يوسف وساورته الهواجس والمخاوف ووجد نفسه أمام غضب مبارك الجبار ضعيفاً فهم بالصيد تسلية لنفسـه مما ألم بها من الهموم والاحزان وابتعاداً عن مبارك الذي سمع لمرجل غضبه دوي عظيم وصوت مزعج فسار ولكن بعد ان ترك المسألة ذات عقد يصعب حلها أما مبارك فلم يجد لها من مناهج الحل الا رجاءه من أشراف[1] البلد النصيحة لأخيه محمد بان يخفف من غلوائـه وينظر الى مواطىء قدميه قبل ان ينفد ماء الجلد ويطفح كأس الصبر فأجابوا رجاءه وكتبوا أولاً الى يوسف يستقدمونه من الصيد لعله يشاركهم في حل الاشكال وانتدبوا لتبليغه الأمر وايصال الكتاب اليه السيد خلف وجملة [2] من وجهاء البلد وكان يوسف اذ ذاك قد نزل الرقعي[3] فذهبوا اليه هنـاك وعرضوا عليه مهمتهم ومايراد منه فامتنع من اجابتهم ولكن النقيب قال له اذا لم تجب فان احد الأخوين لا بد وان يقتل أخاه قال لماذا ؟قال لان محمداً بعد ان دعى مباركاً العذي من البر خشي أخوه مبارك ان يكون وراء ذلك

---

(١) وقد اجتمع في بيت الشيخ يوسف آل ابراهيم منهم السيد خلف باشا النقيب وفهد الخالد وسليمان العبد الجليل وفهد الدويرج وعبد العزيز السميط .

(٢) منهم السيد خلف وفهد الخالد وسليمان العبد الجليل وفهد الدويرج .

(٣) وهو ماء بين الكويت والجفر في الجنوب الغربي للكويت .

الاستدعاء شراً فاستعد هو وخدامه بالسلاح اتقاء للحوادث الطارئة . ما كان يوسف لينزل عن غارب ابائه لولا هذه التصريحات ولكن قال سأذهب اولاً الى (الصبية) ثم أذهب الى الكويت بعد ثلاثة أيام وهناك فارقوه وفارقهم وسار كل الى وجهته ولكن يوسف لم يجيء الى الكويت الا بعد ثمانية ايام وما خفف مع هذا ويلا ولا حل إشكالاً . بل زاد الطين بلة وعندما علم مبارك بجلية الأمر وعلم ان ليس في استطاعة يوسف ان يكون واسطة في حل النزاع انتدب جملة[1] من الوجهاء مرة أخرى الى أخيه يرجونه تصفية الحساب الذي بينهما والذي هو عقدة العقد فلبوا طلبه وساروا الى أخيه في داره . فأمرهم قبل كل شيء بالذهاب الى يوسف في بيته وهناك يكون الملتقى .

ذهبوا إلى يوسف كما امر محمد ولكن الاول رفض مقابلتهم رفضاً باتاً وأمر بان يرجعوا من حيث أتوا . جرى هذا وهو لا يعلم ما جاءوا اليه ولا بما يريدون منه فبدا لأحد اولئك الاشراف إذ ذاك أن يذهب اليه وحده ويوقفه على الباعث لمجيئهم فلما قابله وعلم يوسف منه ان الآمر لهم بذلك هو محمد أسف على ما بدر ودعاهم الى الحضور فجاءوا وما كادوا يستقرون في مقاعدهم حتى أقبل محمد فسألهم عن غرض مبارك من ارسالهم فقالوا انه يريد ان تقدم له حساباً صحيحاً عن ريع الفاو والصوفية والزين ثلاث سنين فأظهر الاستحسان وقبول الطلب ثم قدم الحساب بعد برهة وجيزة الى السيد خلف ليقدمه الى اخيه وعندما قرأه على مبارك قال : « ان بلع الأمواس أهون من بلع هذا الحساب » فقال له السيد« ان كنت تريد قطع الشقاق فابلعه » فقال حسناً ما قلت وها أنا بلعته (والذي يظهر لنا ان هذا قول ذلك المجلس لا غير » لأن مباركاً اخيراً طلب حساباً آخر من أخيه مصحوباً بيمين بالله انه من الصادقين فيما قدم ، طلب من اخيه ذلك وهل أجابه الى

(١) منهم فهد الخالد وعبد العزيز الفارس وعبد العزيز السميط .

مـــا طلب ؟ نعم أجابه ، وقدم اليه حساباً غريباً في بابه وهـذه صورته العجيبة المدهشة :

اولا – عشرين ليرة عثمانية ارضاء لزوجة جابر الفاضل

ثانياً – ليرة ٩ لاصلاح السيف

ثالثاً – شيء مجهول (لم يسمه محمد)

انه حساب غريب ولا عجب اذا ما استغربه مبارك فاذا تساهل فيالاول والثاني فما هو الحل المرضي للثـــالث المجهول وعلى اي قاعدة من قواعد الحساب يمكن استخراجه وقد يكون هذا سهلا بجانب تصريح محمد لسماحة النقيب بأنه لا يمكنه بيانه الا بحضوره ولا يصرح به الا له . صارحــه بهذا فبدا لسماحته شعاع أمل في الاصلاح الذي لا يزال يرقب الوقت له فاتخذ هذا التصريح سبيلا لقضاء مهمته فعرض الاجتماع على الاثنين في بيته لعلهما يصلان الى حل مرضٍ لإشكالهما ويزيلان ما أمامهما من العقبات عرض عليهما ذلــك واخذ منهما العهود والمواثيق بأن لا يجابه احدهما اخاه بما يكره فأجاباه الى ما طلب . وأما هو فسار الى بيته فرحاً مسروراً لامله في النجاح وفي الوقت المعين حضرا هناك .

ففاتح مبــارك اخاه بقوله اني ألومك يا أخي على امور كثيرة صدرت منك وان كان منها ما هو صغير فقد يكون فعل الصغير اعظم من الكبير ، صارحتني في احد الايام بأمرامام من لا أحب علمه بهفقلتوانتتضرب فخذك كالمنتصر الفائز او المتهكمالمستهزىء لم يبق لكعليناشيء وحسابكفي هذا الدفتر الى أمور مضت لا أحب ذكرها الآن فلنطوِ الماضي بمـــا فيه ونحن من ابناء اليوم .

لا اريد ان اكلفك شططاً فطلبي منك الساعة بسيط جداً . اريد اشرافي على حقيقة الحساب لأعرف مالي وما عليّ ولك عليّ قبوله والحاضرون شهود اذا كان مقروناً بيمين بالله انك لم تزد فيه ولم تنقص .

رضي محمد بهذا الاقتراح وأظهر الارتياح له ولكن مضت عدة أيام وهو يعد ويخلف وسماحة النقيب يتردد بين الاثنين حتى مل وسئم واخيرا قال له محمد انا لا أجيب مباركا الى طلبه الا بعد أن آخذ منه صكا في قبول ما اقدمه له مهما كان فحاول الباشا اقناعه في أنه باقتراحه هـــذا قد تعدى حدود المعقول ولما لم يقنع بايضاحاته رفض التوسط بين الاثنين . وابلغ مباركا بكل ما جرى ، وهناك اضطرمت النار في قلبه وتلاطمت أمواج الأسى في فؤاده وكاد يقضي على اخويه في تلك الساعة . ولكنه تجلد الى اليوم الموعود .

وتلا هذا ان مباركا صادف أخاه محمدا في الطريق فدنا منه وسلم عليـه واخذ يلاطفه في الحديث ويستعطفه في انجازه ما وعد فلم يجد منـــه الا اباء وامتناعا في نزوله على حكمه . وما زال واياه في هذا الجدال الطريق كله ولم يفصل بينهما الا البيت . ثم أعقب هذا ان اخاه جراحا دخل سوق (اللحم) فصاح بين اهله بقوله: « اياكم ان تعطوا مباركا شيئاً فقد تبين انه من المفلسين وان عليه ديونا عظيمة » وكان مبارك اذا احتـــاج الى لحم اخـذ منهم على ذمة أخويه .

بعد هذا كله لم يبق في قوس مبارك منزع فصمم على التضحية بأخويه على مذبح الغضب والانتقام . صمم على هتك حرمتهما وقطع رحمهما واسالة دمائهما الطاهرة . تقدم لقتل أخويه مدفوعا بيد الحنق الذي غيب عقله وقـد سهل عليه ذلك شغفه بالحكم واستماتته في سبيله . اذا فمبارك(ان لم يعف الله عنه) سيحمل يوم القيامة وزرا عظيما وسيعض سبابة الندم يوم لا ينفع مال ولا بنون وسيلاقي أخويه يوم الفصل والقضاء تشهد لهما دماؤهما الزكية على اعتدائـه عليهما وعلى إخوانه الذين شاركوه في إثمه وفعلته الشنعاء .

كيف وقع القتل

في ليلة من ليالي ذي القعدة المظلمـة سنة ١٣١٣ بعد أن مضى هزيع من الليل وبعد ان هجع القوم نهض مبارك مسرعا لقتل أخويـــه محمد وجراح

يسانده ابناه جابر وسالم ولفيف من الخدام ، ثم تقدم الى بيت أخويه بعد ان علم بخروج صباح بن محمد منه لصلاة الصبح وكان لا يتركها صيفاًولا شتاء. تقدم مبارك الى الأمام وجعل من كان معه أقساما ثلاثة هو لأخيه محمد وجابر وبعض الخدام لجراح وسالم والباقون حراسا في صحن الدار .

صعد مبارك توا الى محمد فأيقظه من نومه وبعد ان انتبه اطلق عليه البندقية ولكنها لم تجهز عليه ، فاستغاث هناك الأخ بأخيه وذكره بما له من الحق والحرمة فما وجد ذلك الصوت المحزن ولا ذلك الاستعطاف الحار سبيلا الى قلب مبارك الذي امتلأ حقدا وغضبا ، فصوب اليه البندقية ثانية متصامما عن سماع النداء حتى تركه لا حراك به يتخبط بدمه ويجود بنفسه العزيزة .

أما جابر فذهب الى عمه في حينه فألفاه يقظانا وزوجته الى جانبه فسدد البندقية اليه ، ولكنها لم تنطلق فعاجله عمه بالقبض عليه ، وكان له من زوجته ساعد ومعين . وكادا يتغلبان عليه لولا مبادرة بعض الخدام جراحا بارسال البندقية الى نحره فارداه صريعا لليدين وللفم ، هناك وقعت عليه زوجته تبكي وتنوح وتندب ذلك الشهيد المضرج بدمائه .تندبه بالزفيرالمحرق. والانات المتصاعدة . وتغسله بالدموع الغزيرة تبكيه وتنوح عليه .ولكن بعد ان قضي الأمر ولم يعد البكاء يفيد ولا العويل فزحزحت عنه وعن جثته الهامدة .

أما الكويت فما كاد ينتشر الخبر في أرجائها حتى ضجت من أقصاها الى أقصاها وارتفع العويل من صغيرها وكبيرها لهذا الحادث الجلل والمصيبة التي لم يحدث لها نظير في تاريخ الكويت والتي هي الفذة في بابها . لانرى عذراً لمبارك يبرر عمله ومهما يكن من الاعذار التي يدلي بها لاتقاء الانتقاد فانه ملوم وملوم جداً اذ القتل ليس بالأمر السهل الذي يعذر المرء بالاقدام عليهلأسباب تافهة. القتل كبيرة من كبائرالذنوب فحرمة المؤمن عندالله كحرمة الكعبة أو أشد ولكن مهما بالغنا في لوم مبارك وتأنيبه فان هناك حقيقة لايليق بنا ان

نتجاوز هذا الفصل قبل ان ننبه عليها . وهي في الواقع من الامـــور التي اضطرت مباركاً الى ما عمل .

وذلك هو ظلم الاخوين له وانكارهما لحقه .. ولا ريب ان معـاملة كهذه تترك مراجل الغضب تغلي وتحدث الانفجار .

ابناء القتيلين يغادرون (1) الكويت

في ابان تلك الحادثة كان ابناء القتيلين في الكويت فخشي مبارك ان يثير ماجرى في نفوسهم ثائرة الغضب والانتقام فيهبوا لأخذ الثأر ،هناك طفق يقابلهم بالاكرام ويشملهم بالعطف تسلية لهم وتخفيفاً لما ساورهم من الآلام .وتسكيناً لما عساه يجيش في صدورهم عليه . ولكنهم مع هذا كله لم تطق نفوسهم البقاء في هاتيك الرحاب فغادروا الكويت الى البصرة لاثارة العواصف على مبارك أو للخوف من ان يلحقهم بآبائهم .

من حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته

اما الشيخ يوسف آل ابراهيم بطل هذه الرواية فله حوادث مدهشة سيأتينا الكلام عليها في ترجمة مبارك .

☆ ☆ ☆

الحاكم السابع مبارك آل الصباح

مبارك الصباح هو اخو محمد وجراح . مبارك . هو الكويت بأمرها وهو الذي رفعها على ماسواها من أترابها واطار صيتها في سائر الاقطار . مبارك

(1) وكان في معيتهم بعد مغادرة الـكويت رجلان فاضلان الاديب المفضـال السيد عبدالوهاب الطباطبائي مدير ناحية الزبـير اليوم وهو من اهل الفضل والغيرة ومن اهل الذكـاء والنشاط والهمة والاباء . أما الثاني فالعلامة الفاضل الاستاذ الشيخ محمد بن رابـح المغربي المقيم الآن في الزبير وقد كتب هذا الفاضل عن الوقائع التي حدثت بين مبارك وابناء القتيلين والشيـخ يوسف آل ابراهيم كتابة مستفيضة ولكنه أخيراً أتلفها ولم يرد نشرها .

هو الذي ترك اسمه يجوب العواصم والمدن ويتخلل الأنديـة والمؤتمرات . فيه اشتهرت ، وبه زهت . وكان عصرها في ايامه عصر الامن والدعـــة . عصر القوة والهيبة . فقدت بفقده شجاعاً لا يهاب الموت والردى. رزئت بامير من امراء العرب الأفذاذ في الهمة والاباء وفي العقل والرأي، لولاه لما عُرفت ولولاه لما كانت الدرة



الشيخ مبارك الصباح

في تاج الخليج العربي . ولولاه لما امتدت اسطورتها الى امد بعيد من الفيافي والقفار . وهنا يعجبني ماقاله العلامة المحدث الشيخ المكي بن عزوز رحمه الله تعالى عن الكويت في أيامه قال : الكويت [1] في هذا الزمان تساوي البصرة

(١) من كتاب بعث به الي من الآستانة جواباً لكتاب ارسلته اليه من المدينة المنورة أيام اقامتي فيها سنة ١٣٢١ وكنت اهديته رسالتي تحذير المسلمين المطبوعة في بغداد سنة ١٣٢٩ وكان ذلك بأمر من استاذنا الكبير العلامة المرحوم السيد شكري الألوسي اما جواب الاستاذ فهو نفيس جداً ضمنه مواد مهمة ومقالات عديدة وقصيدة غراء قرض بها تلك الرسالة ، هو بخط صاحبنا الاديب اللوذعي محمد الطيب العقبي .

في الشهرة ، فكل من خاض في السياسة يعرف الامير مباركاً آل الصباح . ويعرف بلده الكويت لأن الكويت اشتهرت به وهنا ذكرت قول بعض النسابين : لولا سفيان الثوري والربيع بن خثيم ماعرفت ثور ، يعني قبيلتها .

مبايعة الكويتيين مباركاً

قبض مبارك على زمام الحكم في ذي القعدة بعد قتل اخويه سنة ١٣١٣ وهو لايعلم ما يخبئه له القدر . ولا مايكنه له الغيب . ولكنه برز في المسرح امام قومه كالواثق من نجاحه والآمن على ما آل اليه . برز وهو يمسح الدموع من عينيه ولا تدرى اي دموع هي أدموع الفرح والسرور أم دموع الأسى والحزن وقد يكون للسرور دموع كما للاسى .

ياعين قد كان البكا لك عادة تبكين من فرح ومن احزان

في صبيحة تلك الليلة المشؤمة بعد ان الحد الشهيدان في قبريهما دعا مبارك وجهاء البلد واشرافها فقال لهم : قد قضي الامر وما قضي لامره فماذا ترون وعلى ماذا انتم عازمون؟ فعلموا اذ ذاك ان مباركاً اخا القتيلين ان لم يحكم اليوم فسيحكم غداً . فصافحوه مبايعين وقد اظهروا له الخضوع والاذعان . اما هو فعاهدهم على اقامة العدل والسعي في الاصلاح وأن لايقطع أمراً دونهم . وان يستشيرهم في شئونه كلها وبذلك زالت عنه بعض المخاوف التي احاطت به والتي كان يحس بها من آن لآخر ولكنه من جهة أخرى كان يحسب لابناء اخويه وليوسف آل ابراهيم ساعدهم الاكبر ألف حساب سيما وللاخير من الشجاعة والإقدام والثروة الطائلة مايتمكن بها من اقلاق راحته وتكدير صفوه وقد كاد يقضي عليه لولا معاكسة الاقدار إياه في حملاته كلها كما ستعلمه تفصيلا .

الاعمال التي قام بها يوسف

ان يوسفاً قام باعمال عظيمة وحوادث مدهشة في مناوأته مباركاً ومثّل روايات لا تقل في غرابتها عن كثير من الروايات تذكرنا بأولئك الابطال الذين يقومون بجلائل الأعمال والناس في غفلة عما يعملون . بل تذكرنا بذلك

الداهية الدهياء حافظ نجيب المصري الذي اشتهر في فنه في اقامـــة الحجب والاستار دون اغراضه ومراميه بل وتذكرنا بابي زيد السروجي بطل المقامات الحريرية . يذكرنا يوسف باعماله التي سنقصها عليك باولئك الرجال الذين طار صيتهم في عالم الدهاء ، ولو كان يوسف في الغرب لكان لـه من الشهرة الواسعة ما يزاحم بها الكثيرين ولكن يوسفا من الشرق وفي الشرق نشأ وليس للنبوغ ولا لأهله قيمة .

يوسف بعد قتل مبارك أخويه

لم يكن ذنب يوسف عند مبارك ليقل عن ذنب أخويه ونرجح ان لو سنحت له الفرصة فيه لما ضيعها . ويوسف لا يجهل ذلك . ولكن من حسن حظه أن كان في اثناء الحادثة في (الصبيه) حيث قصره الذي شيده هناك. وقد حمد يوسف الاقدار التي أبعدته اذ ذاك عن جو الكويت المظلم وأنزلته في معقل يعتصم به عن مبارك وعن اعتدائه .

أما مبارك فعلم اذ ذاك أن يده لا تناله . وان ليس في استطاعته انزاله في معتصمه بالقوة والارهاب فمال إلى مراوغته وخداعه وأرسل له رسولاً يستقدمه آمنا على نفسه وماله . ولكن يوسفنا كان من الرجال الذين لا تنطلي عليهم الحيل فتظاهر بعدم الخوف وأنه سيلبي الطلب سريعا . تظاهر بما سمعت وهو غير صادق وانما أراد أن يكيل لصاحبه بالصاع الذي كال له به .

وكلت للخـــل كما كال لي   على وفاء الكيل أو بخسه

تظاهر بذلك لئلا يسيء به مبارك الظن فيعاجله قبل فراره . وهناك وهو يستعد للفرار جاء اليه ابن (ادويهيس) من الكويت يخبره بسير مبارك إليه بجموع لا قبل له بمقاومتها . وأكد ذلك الخبر أيضا بكتاب من أحد الكويتين بهذا المعنى فتشاءم يوسف مما سمع وأسرع الى السفن التي أعدها لهربه في الصبيه. فحلقت به في فضاء البحر ولم تضم أجنحتها الا في (الدورة) ثم منها ذهب الى البصرة حيث الحكومة العثمانية هناك ، ليقلق راحة مبارك باقامة الدعوى

عليه بقتل اخويه وبتمثيل شبحه المخيف أمامها ...

يوسف وحمدي باشا في البصرة

وكان والي البصرة اذ ذاك حمدي باشا أحد أعداء مبارك الألداء فاستنجد به يوسف فأصغى الى شكواه وسمع استنجاده ، وصمم على أن يرمي مباركا بجيش عرمرم في الكويت ، ليذيقه الحمام وينزله من عرشه . وقد كاد يتم له الامر لولا أن امام يوسف من هو أدهى منه. أمامه مبارك الساهر على مصلحته. والذي يبذل في سبيلها ما يفوق كل بذل ويهتدي الى ما لا يهتدي اليه مناوئوه من التحفظ والاحتياط .

مبارك ورجب باشا مشير بغداد

بعد أن علم مبارك بما يحاوله يوسف في البصرة جعل هو تدبير حركته في بغداد حيث مشيرها رجب باشا صديقه الحميم .

أما رجب فمال الى مبارك بكليته طائعا مختارا ، ووقف أمام الحكومة كالمدافع عنه والمحامي عن حقوقه . فقال: « ان تلك الكارثة هي من الحوادث العادية التي لا يزال يقع مثلها كثيرا بين اعراب البادية وخير للحكومة أن لا تتدخل في القضية فان تدخلها قد يهدم آمالها العظيمة التي كانت تبني عليها علالي وقصورا في الخليج العربي» .فأصغت الى نصائحه وأحلت رأيه محل القبول فصدر الأمر الشاهاني الى حمدي باشا بالكف عما عزم عليه وبذلك انجلت عن الكويتيين غمة حالكة وزال عنهم خوف مريع . وبذلك أيضا سبق مبارك صاحبه في ميدان الدهاء ، وحاز قصب السبق دونه . وقد قيل في سبب ميل رجب الى مبارك أن الأخير قدم له هدايا ثمينة وتحفا غالية . ومنهم من يرى السبب الأصلي هو التجاء أبناء القتيلين ويوسف الى حمدي باشا في البصرة . وعدم مراجعتهم الى رجب في بغداد وهو يرى من حقه في مثل تلك القضية أن يكون هو المرجع الوحيد قبل كل أحد لا حمدي ولا سواه» .

مبارك يرمي يوسفا بقتل اخويه

لم يكتف مبارك بابطال ما دبره يوسف وحسب . بل سعى الى أمر لم يكن له حساب سعى في القاء تبعة القتل عليه . وتبرئة نفسه منه فقدم الى الحكومة العثمانية مضبطة بذلك، فيها شهادة كثير من أكابر الكويتيين أكرههم مبارك عليها . ولم يمتنع منهم الا المرحوم الشيخ محمد الفارس والسيد سليمان ابن السيد علي ، ويقال أيضا : وعبد الله الرشيد وجبر آل غانم ، ولكن يوسفا تمكن من الحصول على صورتها بما له من يقظة ونباهة . وبما له من بذل وسخاء .

مبارك يرجو من يوسف رجوعه الى الكويت

اوعز مبارك الى بعض أكابر أهل الكويت بأن يرجوا من يوسف الكف عن الحركات ضد الكويت وان يخلد الى الراحة والسكون . وما كان من يوسف عندما رفعوا اليه الأمر الا ان قال أنه لا يريد سوءاً بها ولا بأهلها وانه ليسيئه جداً كل ما يقلق راحتهم . صرح بهذا في رسائل بعث بها اليهم . فتوسم مبارك من لينه في جوابه ندمه على ما فرط منه فأمر جملة من الأكابر بالسفر اليه في مقره (الدورة) . ساروا اليه وعلى رأسهم الشيخ حمود آل الصباح . وهناك بعد ان اجتمعوا به فتحوا البحث وحسنوا له الرجوع الى وطنه ولكنه قابلهم بكل برودة وفتور .

وعندما ألح عليه حمود بالرجوع أمر باحضار المضبطة التي اقتنصها بدهائه فجرى بينه وبين حمود ما يأتي :

يوسف : كيف استنصحكم فيما تقولون واطمئن من الرجوع معكم وها انتم بهذه المضبطة تشهدون عليّ بأني أنا القاتل زوراً وبهتاناً .

حمود : نحن لا علم لنا بهذه المضبطة ولا بما فيها وقد يكون مبارك هو المزور لها على السنتنا .

يوسف : ومهما يكن فليس من الحزم ولا من العقل مع هذا كله أن أثق

بصاحبكم واقبل رجاءكم في الذهاب اليه .

وسائط اخرى

بعد ان أخفق سعي هذا الوفد أرسل مبارك عبد العزيز آل السميط الى عبد العزيز آل ابراهيم في بمبي يتشفع اليه بمنع يوسف من الحركات والتعديات على أهل الكويت . ولكن الأخير أجاب بأن ليس في استطاعتنا منع يوسف عما يريد وهو حر في تصرفاته كلها.. أما مبارك فلم ييأس بعد الاخفاق الاول والثاني فترجى أخيراً من الشيخ خزعل امير المحمرة بأن يتوسط الأمر وقد بذل خزعل همة عظيمة كادت تتحقق بها الامنية لولا معاجلة المنية له .

يوسف ومتصرف الاحساء

لقد ساء يوسف آل ابراهيم ميل سعيد باشا متصرف الاحساء الى مبارك وأخذه بعضده . حتى طفق يعمل الحيلة لايقاعه والتنكيل به . وكان من الاعمال التي قام بها في هذا السبيل أن قدم لرجل من أهل الجنوب يقال له عبد الرحمن بن سلامة أربعين بندقية وخمسين كيساً من (الرز) ودراهم عديدة ليستثير العجمان وبني هاجر والمره ضد المتصرف . فحمل الرجل المهمة على عاتقه وقام فيها بهمة ونشاط وكتب أيضاً مضبطتين بأسماء رؤساء تلك القبائل المحيطة بالاحساء يشكون فيها من جور المتصرف وظلمه ارسل احداهما الى والي البصرة والثانية للمشير في بغداد . وكادت المضبطتان تصلان الى مقرهما لولا أن في الطريق مباركاً الذي لا يغفل عن حركات يوسف فقد تمكن أسد الكويت من القبض عليهما ومن كشف السر المخفي وفي الحال طير المضبطتين الى (المتصرف) في الاحساء واخبره بجلية الامر فجاءه منه كتاب يشكره فيه على ما عمل ويثني على همته ويقظته وكان ذلك سنة ١٣١٤ .

هجوم رجال من الظفير على تجار من اهل الاحساء

في ربيع اول سنة ١٣١٤ هجم سعيد السهدي وجملة من الظفير على عبدالرحمن بن دهيش ورفاقه في موضع يبعد عن الكويت ثلاثة أيام ، وهم

آتون من الاحساء فأخذوا منهم تسعاً من الابل وجملة من العبي (القيلان) لأهل البصرة وبغداد وكمية من النقود تقدر بنحو ألف ومائتين ريال ١٢٠٠ ريال .

أما مبارك فأظهر اهتماماً بتلك الحادثة لاعتقاده ان المحرك لها يوسف آل ابراهيم وأعوانه فوجه كتاباً الى والي البصرة وتلغرافاً الى مشير بغداد يخبرهما بالواقعة ويعزوهـا الى يوسف — والى اناس من اهل الزبير ويطلب منهما الضرب على يده ومنعه عن امثال هاتيك الاعتداءات وبعث بصورة الكتاب والتلغراف الى السيد رجب[١] نقيب اشراف البصرة ليشرف عليهما .

نحن في مثل تلك الحوادث التي ينسبها مبارك الى يوسف وهي غير مشهورة ننقلها بتحفظ فلا نجزم باثباتها ولا بنفيها لما نعرفه من دهاء الاثنين ومكرهما .

يوسف يغزو الكويت بسفن بحرية

لم تضعف عزيمة يوسف باحباط مساعيه التي عملها بل طرق باباً غير الاول وكله أمل في وصوله الى ما يريد لان يوسف من الرجال المحنكين الذين

---

(١) ان لسماحة السيد رجب نقيب أشراف البصرة أيادي بيضاء على آل الصباح وأهل الكويت عموماً . له رحمه الله من الاعمال الجليلة ، في الدفاع عنهم والذود عن حماهم والوقوف في وجه من يحاول هتك حرمتهم وضربهم بسهام البلاء والدمار ، مالايزالون يذكرونه الى هذا اليوم بالاكبار . أنظر الى سعيه الحميد في تسكين ثائرة الشيخ قاسم بن ثاني . وفي نصحه للشيخ يوسف آل ابراهيم في حركاته وفي تغلبه على الزوابع التي تثور عند رجال الحكومة ضد مبارك وآله . وفي اخماده لنيران غضبهم عليهم كل ذلك مع مافي الرسائل المحفوظة الآن في خزانة ابنائه الفضلاء يشهد لما قلناه . وسيمر بك شيء منها فيما بعد .

حقاً ان للسيد الجليل فضلا واضحاً على اهل الكويت لا ينكر وكنت ارى من الواجب علي ان افيض في ترجمة هذا الهمام هنا لانه ركن من تاريخ حياة مبارك ومن اكبر معينيه والآخذين بناصره ولانه إن لم يكن من اهل الكويت لما له فيها من البيوت والاقارب فلانه ممن زارها من الاكابر والوجهاء ولكني ارجأت ذلك الى القسم التالي من التاريخ .

لا يبالون بفشلهم بادىء ذي بدء ولا ييأسون اذا مــــا اصيبوا بنكبات في طريقهم...

سافر يوسف من البصرة الى هنديان ومعشور ولبث في تلك الارجاء مدة يجند الرجال بالمال . ثم اقلع من شط هنديان مع جملة من ابناء القتيلين باربعة عشر سفينة ملأى بالرجال المدججين بالسلاح ووجهتهم الكويت ولكن قبل خروجهم من (الشط) ابصروا سفينة كويتية سائرة الى البلد فقبضوا عليهــا وعلى من فيها . وبعد ان اخذوا مافيها من ماء وطعام .واخذوا على صاحبها العهد والميثاق بان لايذهب الى الكويت افلتوها .

اما صاحبها [1] فما كاد يفلت من يدهم حتى حول وجهه الى البلد غير مبال بما اخذ عليه . فجاءها ووجد اهلها لايعلمون من امر الاسطول شيئــــاً حتى مبارك نفسه . وهناك بعدأن همس بأذنه استيقظ من نومه العميق وأخذ يضحك على غفلته التي أوشكت أن تدفنه في قبر الفناء والاضمحلال فجهز سفناً عديدة اتقاء لذلك الخطر المداهم . أراد ان يكون قائدها بنفسه لولا ان الاهلين اقسموا عليه ان لايفعل .

وفي صبيحة اليوم الثاني اقبل يوسف باسطوله الضخم غير انه عندما ابصر الكويتيين متجمهرين في ساحل (بنيد القار) رجع القهقرى في الحال اذ علم ان امره قد انفضح وان هجومه والحالة هذه لايعود عليه الا بالنقص والفشل وقد كان في معيته طراد بقي في جزيرة عوهة يقال انه كان ينتظر مايتم بــين الفريقين فأما ليوسف وهذا مايريد . واما عليه فيرى رأيه من نصره وخذلانه. وبوجود هذا الطراد يترجح قول من قال بارتباط يوسف مع الانكليز في هذه

---

(١) هو علي « ابو اكحيل » وهو موجود الى هذا اليوم في قيد الحياة ولكنه قد انحنى ظهره وابيض شعره وضعفت قوته . . وصفعه الفقر المدقع صفعات مهلكات . ومع هذا فآل الصباح عنه غافلون . وهذا لايليق بهم وقد قدم لهم الرجل تلك الخدمة العظيمة التي لولاها لكانت النتيجة مجهولة.

كنا نرى ويرى غيرنا انه من الواجب على كل من يتولى اريكة الحكم في الكويت من آل الصباح ان يقوم بما يحتاجه الرجل وعائلته الى ان يفارق الدنيا. نعم كنا نرى ذلك لمخاطرته بحياته في مصلحتهم .

الحملة . وانه لم يجهز الاسطول الا بعلم منهم ورضا . والا فمن الامر المستبعد ان تسمح الحكومة لاسطول حربي يمخر في الخليج العربي الذي ترى لهــا فيه حق حفظه من النهب والسلب . وحق نشر الامن في ساحله غير ان يكون بينها وبين صاحبه تواطؤ.ومن غير ان يكون لها فيه يد عاملة واصبع محركة.

ولو لم يكن الطراد في معية الاسطول لأمكننا نفي مايقال وقلنــا ان الاسطول جهز بلا علم من انجلترا وان يوسف قد خاطر معها في تجهيزه وقــد ابصره مهاجماً وتركه وابصره فاراً فتغافل عنه .

مهارة يوسف في تلك الحملة

تقدمت هذه الحملة احتياطات عظيمة . تدل على مهارةيوسف وعلىحزمه. اراد ان لايعلم احد بسفره الى البصرة في وقته فكان كما اراد فأنــه سافر والكثيرون يجهلون سفره بل لايشكون بوجوده بين ظهرانيهم يأمر وينهي . واغرب من هذا كله انه بعد مغادرته البصرة الى هنديان بمدة شاع سفره منها الى بمبي . وانه سيسافر منهاالى بور سعيد ومنها الىمرسيليا . ثم جاءت الانباء من تلك الجهات مصدقة لما اشيع . فاعتقد الناس تنقله من بـلد الى اخرى . ومن قطر شاسع الى آخر بعيد وهو مع هذا قريب منهم يكاد يسمع مايقولون ويبصر اشباحهم الماثلة . يدبر حركة هائلة،اقدم عليها بشجاعة وسخاء حركة كادت تقضي على خصمه الذي عرفت.وهنا لايسعنا الا نسأل مباركاًعن الجمود الذي اصابه . فلم يكن له علم بتلك الحركة الا من ذاك النذير . انه لما يدهش وقد عرفنا مباركاً بنباهته التي لايكاد يفوته معها شيء . وعرفناه بيقظته التي تغلب بها على كثير من خصومه . نضطر في هذا الفصل الى الاعتراف ليوسف بالتفوق عليه شيئاً مع الحقائق . ولكنا من جهة اخرى نـلاحظ على يوسف خطأ لايقل عما اصيب به صاحبه . ذلك هو افلاته لصاحب السفينة واحسانه الظن به (والحزم انما هو سوء الظن بالناس)

ولكن قد قيل لكل سيف نبوة ولكل جواد كبوة وكانت تلك الحملة في ١٥ محرم سنة ١٣١٥ .

مركبان في ميناء الكويت انكليزي وعثماني

في ذلك اليوم الذي رجع فيه يوسف بسفنه ادراجه ، اقبل مركب عثماني الى الكويت من قطر او من القطيف . فظنه الطراد الانكليزي الذي بقي في جزيرة (عوهه) آتيا الى مبارك في امور سياسية . فتبعه وارسى في ميناء الكويت ليكشف الحقيقة بنفسه . ولكنه جاء متظاهرا بالاحتجاج على مبارك في اخراجه السفن في البحر . وهناك حاول من فيه النزول ، فاوعز مبارك الى ابراهيم افندي مأمور الحجر الصحي من قبل الحكومة العثمانية بمنعهم الا بعد تطهيرهم (بالكرنتينة) نحو خمسة عشر يوما ، فانقادوا للأمر وخضعوا للقانون ، ولكنهم اخيرا رضوا بمخاطبة مبارك من بعيد فوقف على شاطيء البحر ، وقيل بل ذهب اليهم في سفينة صغيرة ووقف بحيث يسمع كل كلام صاحبه فقال عندما احتجوا عليه ، اني لم اخرج شيئا من السفن الى البحر وما رأيتموه هي السفن الكويتية تروح وتجيء في حاجاتها على اني لو فعلت لكان لي عذر واسع ، لأن اسطولا عدائيا يريد مهاجمتي في بلدي الآمنة والقانون يخولني أن اقابله بما في الوسع والطاقة ، فرجعوا ولم يجدوا ما يحتجون به . وقد قيل ان مباركا ارسل من ينوب عنه في مخاطبة الانكليز ، ولم يخاطبهم بنفسه .

يوسف بعد فشله يذهب الى قطر

ما ضعف يوسف ولا استكان بعد فشله في حملته ورجوعه منها بخفي حنين. بل طار الى قطر حيث الشيخ قاسم بن ثاني احد اعداء مبارك الالداء . يستنجده ويستغيث به في نصرته وشد أزره ...

أما الشيخ قاسم فقد اسرع في تلبيته فرحا مسرورا لأنه لم ينس لمبارك اخذه بساعد الحكومة العثمانية في مناوأته . ولم ينس فرحه [1] الشديد

---

(١) فقد ارسل الى محمد آل الرشيد من يبشره بما وقع على ابن ثاني وقال عندما لامه أخوه محمد آل الصباح على ما عمل (عقلي عندي) ومهرى (اي خاتمي)بيدي(وانا بكيفي) (اي باختياري).

بضرب الانكليز للزبارة واحراقهم واغراقهم سفن أهلها سنة ١٣١٠ .

أما مبارك فعندما علم بما كان يدبره يوسف في قطر . شرع في تسكين الزوبعة التي أثارها هناك باستمالته بعض رجال الحكومة اليه . فأهدى الى سعيد باشا متصرف الاحساء ،صاحبه الحميم، هدايا نفيسة تقوية للرابطة الودية القديمة بينهما ، وتسهيلا لاسراعه فيما يقصد منه . وقد كان المتصرف عند ظن مبارك به . فما تأخر ولا توانى بل بعث في الحال الى ولاية البصرة يكشف لها جلية الأمر وما عزم عليه ابن ثاني ، وان هذا مع كونه يثير فتنة عمياء . ويقلق الراحة . ويعبث بالأمن . هو اعتداء محض من ابن ثاني على مبارك الخاضع المطيع للدولة العلية . فأصغت الولاية الى ما قال .

وكان للسيد رجب النقيب الذي بعثته الحكومة العثمانية مع محمد علي مدير أوقاف السنية في مركب زحاف ،يد ظاهرة في تسكين تلك الحركة والضرب على يد ابن ثاني بيد من حديد وكفه عما عزم عليه قسرا .

مراوغة يوسف وسفره الى بمبي

لا يشك أحد بأن المثير لحركة قطر هو يوسف لا سواه . ولكن لم يشأ ان يعترف بشيء من ذلك امام الذين قد يجهلون الحقيقة .

بعث بكتاب الى حضرة السيد رجب النقيب في البصرة قبل ان يسافر السيد الى قطر ينكر فيه تدخله بأمر تلك الحركة انكارا باتا ، ويقول انه لتلك التهم التي حامت حوله سيسافر الى بمبي ابعادا للشبهة وتكذيبا للمتقولين .

وقد سافر فعلا مع بعض أقاربه الى (الجسم أولا) ثم سار هو الى بندر عباس بعد ان ترك أقاربه في الجسم وركب في احد المراكب البخارية الى بمبي وهناك طلب منه الشيخ عبد العزيز آل ابراهيم ان يبقى في بمبي لمباشرته تجارتهم فاعتذر ، وقال الاحسن ان يقبض زمام الامر (الشيخ) قاسم آل ابراهيم .

أما انا فقد يكون في قبضي للامر إتلاف للمال .

يوسف يذهب الى حائل متنكرا

في الايام التي اقامها يوسف في بمبي ورد من تحسين باشا باشكاتب المابين الهمايوني كتاب الى ابن الرشيد باللغتين العربية والتركية . يتضمن طلب الباب العالي من ابن الرشيد ان يقوم بمهمة الصلح بين مبارك ويوسف . غير ان بعض المغرضين وأهل الأهواء في البصرة ، ابلغ يوسف الخبر على غير حقيقته. فقال له ان الحكومة امرت ابن الرشيد بمساعدتك على مبارك خصمك اللدود. فطار يوسف بهذا الخبر فرحا وسافر من بمبي في احد المراكب البخارية متنكرا ونزل البصرة ثم خرج الى الزبير ولم يشعر به احد ، ومنها سار الى حائل متنكرا ايضا وفي معيته أربعة من الخدم ، وقد تزيا بزي (الصلبة) وكان يرعى الابل بنفسه لئلا يعرفه احد ، وما هو الا ان وصل هناك حتى جرى بين الاميرين من الحوادث ما ستعلمه .

يوسف ومحمد آل الرشيد

يقال ان يوسف فياثناء ما كان يستنجد بابن ثاني فيقطر على غزو مبارك كان ايضاً يستنجد بمحمد آل الرشيد في حائل . وان محمداً تظاهر بالميل له باجابة طلبه ولا يبعد ان يحصل هذا من محمد . فانه كان يضمر لمبارك كرهاً شديداً لا لشيء إلا لان مطامعه كانت تزاحم مطامعه ونفسه لا تصغر عن نفسه وآماله العظيمة تضيع في فضائها آمال محمد . فكان مبارك يطمح الى فوق ما يطمح اليه من نفوذ الكلمة في البادية في نجد . وقد أحس بذلك منه أيام أخويه . عبدالله ومحمد . بل زاد الطين بلة ان مباركاً قتل جملة من تجار أهل حائل خفية بعد أن خرجوا من الكويت ببضائعهم . وبعد أن بعدوا عنها . ولم تخف الخافية على محمد وان اخفاها مبارك ويدلنا على ما كان يضمره له من الكراهية استنكاره عليه قتل أخويه بكتاب شديد اللهجة حاد التأنيب . ومهما يكن فقد قيل ان محمداً اوشك ان يهم بتجهيز الجيش

لغزو الكويت من الشمال في الوقت الذي هم ابن ثاني بذلك من الجنوب ولكن بمعاجلة المنية للاول وبكف الحكومة للثاني وقع عن ظهر الكويت ومبارك حمل ثقيل...

مبارك وعبد العزيز آل الرشيد

عندما حضرت محمد آل الرشيد الوفاة سنة ١٣١٥في رجب أوصى خلفه عبد العزيز بالتيقظ لمبارك وحضه على التنبه له وعلى مقـاومته بكل ما في وسعه . وقال له أنه هو الذي قتل تجـار أهل حائل الذين خرجوا من الكويت وهو العدو اللدود لآل الرشيد عموماً اوصاه بذلك ونحن نعلم ان عبدالعزيز ليس فيحاجة الى من يوصيه ، وقد علم ما تنطوي عليه نفسمبارك الكبيرة من المطامع والآمال . يعلم عبدالعزيز ان مباركاً هو الشيخ المخيف في جزيرة العرب وهو الرجل الوحيد الذي ان ترك وشأنه قوض منها خيام كل أمير ورماه بما ينزله من حالة عزه الى الحضيض الاسفل بمـا له من همة واباء وما له من عزم وحزم لاخماده . يعلم ذلك منه علم اليقين . فكان من جرائه لا يزال يترصد الوقت المناسب لاخمـاد انفاسه ومحو اسمه من ظهر الارض...

أما مبارك فمع آماله البعيدة لم يفته ما كان يجول في خاطر عبد العزيز آل الرشيد نحوه فكان ولا يفتـأ ينظر اليه بعين الحذر . ويراقب حركاته عن كثب . ويود معاجلته بما يخضد شوكته ويقطع شأفته غير أنه ظل تلك المدة الطويلة بعد وفـاة محمد آل الرشيد وهو ملازم للهدوء والسكون ولم تبد منه حركة ضده . وما ذاك الا لان امامه من هو اولى بالاهتمام . امامه عدو ماهر . عدو قوي قريب . نوّع عليـه المشاكل واكثر عليه التهم والاختلاقات أمامه يوسف آل ابراهيم البلاء المنزل والصاعقـة المحرقة الذي لم يدع له وقتاً يتفرغ فيه لسواه اذا فلا غرابة اذا ما رأينـا مباركاً أعطى ابن الرشيد اذناً صماء واشتغل بيوسف دونه الى ان ابطل كل حيلة قام بهـا الأخير ونقض كل غزل قد فتله .

هناك رأى الوقت قد حان لتنفيذ خطته . سيا وقد علم ان يوسف حلق بجناحيه الى حائل . لاغراء ابن الرشيد على حربه . كما علمت نعم رأى مبارك الوقت قد حان . فأخذ يعد العدة . ويتأهب لغزو عدوه في عقر داره . وليقطع ريشه الذي يطير به .

حمود آل الصباح يهجم على شمر

وأول شيء قام به مبارك . ان جهز حمود آل الصباح بجيش من الكويت للهجوم على عربان ابن الرشيد من شمر القاطنين على (**الوخيمه**) فأغار عليهم في صفر سنة ١٣١٨ . وأخذ منهم ما أخذ .

أما ابن الرشيد فقد جاء بنفسه في تلك الآونة للاغارة على عربان ابن صباح ايضاً . ولكن مباركاً سبقه في هذا الميدان وعاجله قبل معاجلته اياه . ولقد ابصر الجيش الكويتي في غارته على شمر ليلا نيران ابن الرشيد المتأججة في الفضاء فصدف عنه الى تلك الغنيمة الباردة .

وعندما وصلت فلول الجيش الى ابن الرشيد وعلم بما نزل به من عدوه . وان عدوه كان في يقظة وانتباه مال الى سعدون الذي أغار على شمر في (تل اللحم) في أيام مضت لئلا يذهب سيره سدى . واستعداده هباء . فهجم عليه وعلى من معه من المنتفك والظفير فنال ما نال من الاموال وقتل من قتل من الرجال .

حادثة الصريف او الطرفيه[1]

بعد تلك الحادثة رأى مبارك ان يعاجل ابن الرشيد في عقر داره لئلا تكون له فرصة يستعد بها . فسافر اليه بجيش عرمرم ضم كثيراً من العربان

---

(١) الصريف والطرفية موضعان متقاربان قرب القصيم اقام كل من ابن صباح وابن الرشيد على واحد منها ومنهما ابتدأ مسير كل الى صاحبه في يوم الحادثة وبينهما كانت تلك المعركة الهائلة التي اطلق عليها هذان الاسمان معاً . وكانت في ذي القعدة سنة ١٣١٨ .

كمطير والعوازم . والعجمان . وعريب دار . والمنتفك . والمره . وبني هاجر . وثلة من الظفير ونحو ثمانمائة مقاتل من اهل الكويت . وكان مبارك هو القائد له بنفسه . وفي معيته حمود وخليفة . وصباح بن حمود من آل الصباح . والامام عبدالرحمن الفيصل آل سعود[١] وابنه عبدالعزيز سلطان نجد . وآل سليم امراء بريدة[٢] وبعد خروج الجيش تبعه سعدون السعدون ايضاً . سار الجيش وقد اثقلت وطأته الارض وملأالفضاء كثرة وعدداً . سار تردد الجبال صداه وترتعد من زئيره الاسود .

اما ابن الرشيد فذعر من مسيره ذعراً اطار لبه واعدمه رشده . وود أن لايلتقي به ولا يشتبك واياه في قتال .و لكن مباركاً كان يطارده في رؤوس الجبال . وبطون الاودية ويسأل عنه السهل والوعر . وقد صمم على ان لايتركه ولو اعتصم بأعظم معتصم.اذ ذاك علم ابن الرشيد ان لامندوحة

---

(١) وقد كتب عبدالرحمن اذ ذاك كتاباً الى السيد رجب النقيب في البصرة بتاريخ ربيع ٢ سنة ١٣١٨ يخبره فيه بخروجه وطلب منه ان يستعطف والي البصرة في امور ذكرها في كتابه وهذا نصه « ما يخفى شريف عليكم قدم خدماتنا للدولة العليــة ادامها رب البرية . من وقت الاباء والاجداد . وتعديات ابن الرشيد على بلداننا وعشائرنا وظلمهم اياهم وهو ليس له حق في ذلك . وبمقتضى تعدياته وظلمه . اكثر علينا اهل نجد الالحاح ان نتوجه لاجل استنقاذهم من يده وتوجهنا لذلك . فنرجو من تفضلاتكم ان تسترحموا لنا من حضرة والي ولاية البصرة ان يكتب لابن الرشيد ان لا يتعرض لنا ولا يحرك احداً من عشائره علينا حذراً ان تقع فتنة قتل ومقتول وسفك دماء المسلمين وهو السبب في ذلك ونحن خدام الدولة قديمين وعلى هذا عهد الله وميثاقه اننا لا نزال نؤدي الخدمات اللازمة لحضرة امير المؤمنين ادام الله مجده وعزه . ونحامي أتم المحاماة على جميع اطراف الدولة العلية . الاحساء والقطيف وعشائرها الخ . . .

(٢) وكان الغرض من مسير عبدالعزيز السعود وآل سليم وآل مهنا هو احتلال الرياض والعنيزة وبريدة لاشتغال ابن الرشيد بخصمه وقد نجحوا في خطتهم بادىء الامر فان آل سليم دخلوا عنيزة . واحتل آل مهنا بريدة . وذهب عبدالعزيز الى الرياض وقبض عليها بمخلبه غير ان اميرها عبدالرحمن بن ضبعان تحصن في قصرها واعتصم بحماه فشرع اذ ذاك ابن السعود في حفر خندق يتصل الى القصر لينسفه به نسفا بعد ان يملأه بارودا . ولما لم يكن بينه والقصر الا اذرع قليلة بلغه انذاك مبارك ومن معه في حادثة الصريف . فاستعجل بخروجه من الرياض قبل أن يشعر بالحقيقة احد وهكذا كان خروج من دخلوا عنيزة وبريدة فاتحين .

له من النزال ، ولا مفر له من القتال فاستسلم للقضاء . ونزل الميدان مكرهاً وهناك بين الصريف والطرفية وقعت تلك الحادثة المشهورة في تاريخ الكويت هناك التحم الجيشان وتقابل الفريقان واستمر القتال من قبل الظهر الى قبيل العصر وقد تقهقر ابن الرشيد مرتين من مركزه . ولكنه في كل منهما كان يتمكن من التقدم الى الامام وقد قدم امام جيشه صفوفاً من الابل جُنة لتقيه (النبال) فكانت كهشيم المحتضر واخيراً بعد قتال عنيف وعراك شديد ذهبت فيه ارواح لاتحصى . وزهقت نفوس غير قليلة .تم الانتصارلابن الرشيد على خصمه . وشرب كأس العز قبله ولكن مما يسطر له بمداد الخزي والعار ، على صفحات الانتقاد المر تعقبه المنهزمين من الكويتيين بعد المعركة . واجهازه على الجرحى منهم بعد ان وضعت الحرب اوزارها واعماله السيوف في رقابهم . بدون رحمة ولا شفقة ووصيته لقومه ان لايعتقوا احداً من الكويتيين لا أبيض اللون ولا أسود [1] فكان من جراء ذلك لم يفلت منهم الا النفر القليل ولقد كانوا يخرجونهم من المساجد والكهوف والمدن والقرى ويذبحونهم امام اخوانهم ذبح الشياه الواحد تلو الآخر .

نحن نعذر ابن الرشيد في بعض ما أتى لاعتداء مبارك عليه . ولكن لانعذره ولا يعذره الله والتاريخ في تلك الاعمال الوحشية التي مثل بها ادوار الحيوانات المفترسة . وهو يعلم ان اهل الكويت مكرهون . على انماسود به صحيفة تاريخه مخالف لجميع الشرائع والقوانين فلا المسلمون يبيحونه حتى مع مخالفيهم في الدين . ولا المخالفون يستعملونه حتى مع المسلمين ولكن الجهل له سلطة على من حرموا من العلم وحجبوا نوره ويكفي العاقل اللبيب اعتباراً بفظاعة ما عمله ابن الرشيد . ماحل به وبانصاره من البلاء وما اصيبوا به من زوال الملك والسطوة ووقوع السيف فيهم واستيلاء عدوهم على كل ما كانوا يملكون.

---

(١) كان الكويتيون لحرارة طقسهم ولكثرة اشتغالهم في البحر تميل الوان كثير منهم الى السمرة والسواد بحيث يصعب التمييز بينهم والارقاء المستعملين للخدمة عند من لايعرفهم لهذا اوصى ابن الرشيد قومه بما سمعت .

اسباب انخذال مبارك في حادثة الصريف

لاسباب عديدة طوق مبارك الفشل والهزيمة في تلك الحادثة المؤلمة (احدها) اعجابه بكثرته اعجاباً لم يدعه يستعد لخصمه الاستعداد الكـــافي وليس في الكثرة وحدها من دون تـــدبير وحزم ما يضمن نيل الفوز سيا إذا كان الاعجاب قد تخلل الصفوف وشمل الجموع . فالله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام وهو المؤيد المنصور (ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فـــلم تغن عنكم من الله شيئاً). (ثانياً) ان جل المقاتلين مع مبارك من البادية وهم لايقاتلون عن مبدأ شريف ولا عقيدة راسخة يضطرهم الى الاستماتة في سبيلها وانما يندفعون بدافع الطمع بالمال لاغير فاذا ما علموا والحالة هذه ان من وراء الحصول عليه ازهاق ارواحهم ضنوا بها واحجموا عن التقدم وولوا الادبار .

(ثالثاً) ان قتال جند ابن الرشيد قتال المدافع عن وطنه وعن روحـه وهذا من الدواعي الكبرى الى الشجاعة والاستبسال واذا اضفنا الى هذا كله تدرب صغيرهم وكبيرهم على الطعن والضرب منذ نشأتهم وتنظيمهم ايضاً تلك الحملة كان هذا من اقوى الاسباب في الفوز والانتصار .

رابعاً ــ انخداع مبارك بعد وصوله الى القصيم بقول من رمى ابن الرشيد بالضعف وتفكك الجند من حوله وتفلتهم من بين يديه وقد كان هذا داعياً لعدم ممانعته بالرخصة لمن استأذنه من العربـــان حتى انفصل عنه كثير منهم وذهبوا الى اهليهم .

ندب الكويتيين قتلاء الصريف

كان الكويتيون في مدينتهم ينتظرون حقيقة تلك الحادثة بفارغ الصبر . ينتظرونها وهم على أحر من الجمر . وقد ساورتهم الهواجس والمخاوف وبينما هم كذلك واذا بـ (قرينسر) احد خدام مبارك قد ولج المدينة متنكراً يتعثر باذيال الذلة والانخذال . فأطار النبأ المفجع بينهم ورمى جموعهم بتلك القنابل المزعجة . فترك الكويت اذ ذاك كالسفينة التي تتقاذفها الامواج . تركها وقد

ارتفع عويلها الى عنان السماء . وغادر دموعها الحمر تجري كالسحاب المنهمر . تركها تندب قتلاها ندب الثاكلات . وقد عم الغم البيوت . وشمل الأسى الأفراد والجموع . فلا بيت الا وفيه عويل . ولا قلب الا وقد اضطرمت فيه النيران . فهذا يبكي على الفه الصدوق ، وتلك تنوح على ابنها البار وذاك يتفجع على قريبه الحميم . والكل في المصاب مشتركون ونظموا القصائد النبطية في تلك الحادثة . مما سنذكر نماذج منها في باب الأدب .

مبارك بعد الصريف

وصل مبارك الى الكويت بعد حادثة الصريف وليس معه إلا اثنان من خدامه . وصلها وقد خسر جيشه العظيم وجنده القوي لابسا ثوب الخذلان بعد العزة . فننظر اليه وقد اصيب بتلك الكارثة السوداء التي تهد الجبال وتذوب من هولها القلوب . اهل خامره اليأس مما اصابه فنزيل اسمه من سجل الرجال ام لا فننظمه في سلك الابطال لنتعرف الى نفسه على ذاك المحك الصادق ؟ اهي نفس من لا يكون رجلا الا في الهون والرخاء ؟ أوفي الشدة ينزل به ما يبعد عنه رشده؟ نعم نظرنا اليه من تلك النافذة فوجدناه من الحديد خلق ومن الصبر عجنت طينته وجدناه لا يبالي بالكوارث المدلهمة ان اغلق امامه باب فتح لنفسه من الامل ابوابا وان سد عليه طريق بحث له عن طرق اخرى سمعناه بعدها يقول وهو متربع على كرسي حكمه لا بد لي من اخذ الثأر ممن الحق بي العار . لابد وان انزل به من البلاء ما ينزله من عرشه . لا بد لي من منازلته في الميدان . وانا على عرشي من الجالسين وملأ اسماعنا بذلك الصوت فظنناه من باب تسلية الابطال انفسهم امام الحوادث الممضة . واظهارا لتجلدهم بين اعدائهم .

وتجلدي للشامتين اريهمو انى لريب الدهر لا اتضعضع

ظنناه كذلك ولكننا من المخطئين فان ما قاله حقيقة ناصعة قالها بعد ان رسم في ذهنه خطة صادقة في القضاء على خصمه (وقد قضت عليه) كما قال

خطة مدهشة لو رسمها امام الناس اذ ذاك لظنوه قد اصيب بعقله من هول المصاب ، ولكنه قال فاجمل وترك التفصيل للاعمال التي تشهد له فلنتركه الآن وخطته . وما فيه من الآمال العذبة والاحلام اللذيذة ولنذهب واياك الى ابن الرشيد ويوسف والى ابناء القتيلين والى الحكومة العثمانية ايضا فقد تركنا الكل ثملين من خمرة النصر مبتهجين بما حصل من الفوز المبين الذي كادت تتحقق به آمالهم .

اعداء مبارك يرسلون جاسوسا الى الكويت

ترجح لدى اعدائه انه قتل في ساحة الصريف . بآثار عثروا عليها هناك فشجعهم ذلك على مهاجمة الكويت التي ستخور قواها بعد غياب أسدها . ولكنهم بعثوا من يكشف لهم الحقيقة ليكونوا من هجومهم على بصيرة . فذهب من انتدبوه مختفيا وبقي في الكويت الى ان قدم مبارك . فاندس بين المقابلين وهو لابس ثوب امرأة فأبصر مباركا بعيني رأسه على ناقته والناس يسلمون عليه . وفي الحال رجع الى مرسليه وأبلغهم ما رأى فقوضوا خيام ما عزموا عليه .

الحكومة العثمانية تهم بمهاجمة الكويت بعد الصريف

بعد تلك الحادثة التي انخذل فيها مبارك همت الحكومة بمهاجمة الكويت لاسباب سيأتينا ذكرها ، وقد ارادت ان تمهد السبيل الى ذلك بمقدمات تظهر عذرها فيما صممت عليه .

ففي ربيع ٢ سنة ١٣١٩ ورد تلغراف من باشكاتب المابين الهمايوني لمشير بغداد يتضمن تكليفه اقناع مبارك آل الصباح بالرضوخ لامر الباب العالي هذا نصه (بلغوا الشيخ مبارك انه بموجب المعاهدة الدولية ، اذا وجد في احدى المواضع سنجق عثماني او مركز عسكري . او مأمور للحكومة فلا لجميع الدول تدخل فيلزم باي صورة مسيسة تبليغ مبارك باشا الامر) ولكن المشير كان يعلم صلابة مبارك ويعلم انه لا ينزله عن إبائه مجرد

اقوال تصدر من الباب العالي ، او تهديدات توجه اليه . وان احسن وسيلة لانزال النعرة من رأسه هو تخويفه بالقوة المرهبة. لهذا جهز جيشاً من العراق لا يقل عن عشرة طوابير غادره على أتم اهبة واستعداد بقيـادة محمد باشا الداغستاني ثم ذهب المشير الى البصرة ليأخذ رأي واليها محسن باشا في مـا عزم عليه . غير ان محسناً اظهر له عدم الارتياح وهون الامر عليه . ونظراً لما بين محسن ومبارك من الصداقة والصحبة القديمة فقد تأثر محسن من الحادثة. وود باطناً لو تتاح له فرصة للسفر إلى الكويت . ليقابل فيها مباركاًويدلي له بنصائحه الثمينة التي تكون عاقبتها خيراً له . وقد كان كما احب فان المشير بعـد ان علم برأيه امره بالمسير الى الكويت ليبلغ مباركاً امر الحكومة . ويقنعه بالنزول على حكمها . فسار كما امر بمائة وخمسين (سوارياً) وهناك اجتمع بمبارك واخبره بكل ما جرى وحضه على ان يذهب واياه الى الفاو لمخابرة الباب العالي رأساً . بعرض الطاعـة عليه والخضوع لامره وبيان ان ما اشيع عن الكويت واهلها هو من تقولات المرجفين .

طالب محسن مباركاً بذلك ولا ريب في انـه رأي صائب وفي مصلحته ولكن رغماً من هذا كله . ورغماً من قوة الصلة بين الاثنين فقـــد خامر مباركاً الشك في صدق محسن وتردد في اخلاصه له في تلك القضية وقد اراد ان لا يجيبه الى مـــا طلب لولا الحاحه الشديد . فسار معه ولكنه استعد برجال من اهل الكويت يثق اليهم اتقاء لما قد يحدثه القضاء . فساروا جميعاً الى الفاو. وقاما بدورهما المهم ، الذي كان من نتيجته كف المشير عما عزم عليه . وارجـاع الجيش الى مقره ويقال ايضاً انـ من الاسباب الرئيسية في ارجاع ذلك الجيش العرمرم هو تدخل بريطانيا التي عاهدت مباركاً على صد اعتداء المهـــاجمين عليه وعلى بلده . واذا كانت انكلترا لا تود في ذلك الوقت اظهار اتفاقها معه ومعاهدتها اياه فانها لدهائهـــا الغريب وحنكتها السياسية لا تعوزها الحجج القوية التي تضطر الحكومة العثمانية على كفها عما قامت به . نعم لا يعوزها بسحرها ان تخوف الحكومة من فتحها باباً من

الشر لا يستطاع اقفاله بعد وانها ان اقدمت على مهاجمة الكويت فستهد مالها فيها من الحقوق بيدها .

اسباب تلك الحملة

وقفنا على محاورة طويلة في البصرة تقدمت هذه الحملة بين القائد ووكيل مبارك في البصرة كلهـــا تدور على تخوف الحكومة من تدخل مبارك مع انكلترا . وفيها أمر القائد الوكيل بالنصح لمبارك وبالعدول عن تلك الخطة . وانقياده للحكومة العثمانية وانه ليس في استطاعته مقاومتها اذا ما همت به وفي بلده وها هي أعدت له جيشاً عظيماً سترميه به إن لم يظهر الطـــاعة والخضوع . وقد وصلت تلك المحاورة إلى مبـارك في الكويت فقدمها إلى رئيس الخليج العربي في ابن شهر .

نعم ان تخوف الحكومة التركية . وتطيرهـــا من ذلك يدعها ترغب في معالجة مبارك بالقضاء عليه قبل ان يقضي على نفوذها في الخليـج . فانها تعلم بطمع انكلترا في الخليج عامة وفي الكويت خاصة وانها كانت تحـاول بسط نفوذها في تلك الانحاء بوسائل شتى وطرق مختلفة من امد بعيد .

اذاً فلا عجب ان اتخذت من انخذال مبارك في الصريف فرصـة سانحة لتحقيق أمنيتها . ولا عجب اذا مـــا همت بما قصصنا عليك آنفاً . وقيل ايضاً ان من اسباب تلك الحملة ان اعداء مبارك في اثر حادثة الصريف قدموا للحكومة العثمانية مضبطة بأسماء أكابر الكويتيين يشرحون فيها الخوف الذي احاط بالكويت وأهلها من البـادية والاشقياء وتعرضهم للسلب والنهب . من العربان المحدقين بهم ويستعطفونها بالفات نظرها اليهم وارسال من يقوم بالامن من جندها الشاهاني . إلى رحاب الكويت فعلوا ذلك نكاية بمبارك وايقاعاً به . ومهما يكن فسواء كان السبب هو الاول او الثـاني او اغراء الحكومة الالمانية للاتراك بامتلاك الكويت فان نصيب تلك الحملة الفشل .

ابن الرشيد في أطراف الكويت في جماد ٢ سنة ١٣١٩

شق على ابن الرشيد ما نزل بالجيش العثماني مما اضطره للرجوع عن مهاجمة

الكويت وقد كان يبني عليه آمالاً بعيدة ويقدر أن سيجني من انتصاره ثمراً شهياً . شق عليه ذلك كثيراً فانبعثت همته وقويت عزيمته على مهاجمتها . سيما وقد وجد من الحكومة العثمانية تشجيعاً له وتنشيطاً .

أما مبارك فعندما علم بما عزم عليه استقدم سعدون باشا الكويت ليسند به ساعده وخابر رئيس الخليج العربي في أبي شهر في الأمر . فلبى الاول الدعوة عاجلاً . وارسل الثاني طراداً حربياً الى مياه الكويت . ليقوم بالدفاع وقت الحاجة . ثم شرع مبارك بإحاطة المدينة بخندق ، يقيها الهجمات وقد ساعد الكويتيون على حفره ثلة من الجند الانـكليزي .

وفي تلك الآونة اقبل ابن الرشيد بجيشه العظيم . فأغار على الصبيحة ولكن لم يجد فيها إلا الدمن والاثافي السود . ثم اغار منهـــا على (واره) فصادف قافلة من مطير خارجة من الكويت . استولى على اموالها بعد قتال عنيف قتل فيه كاتبه الخاص (جار الله يوسف العتيق) ونهب ايضاً نحو ثمانية آلاف من الغنم وألفين وسبعمائة من الابل للكويتيين وأتلف كثيراً من مزارعهم وبساتينهم .

اما الكويت فقد رأى مهاجمتها بعد الاحتياطات التي استعد لها مبارك عبثاً بل علم أن ليس وراءه إلا الويل والخسارة . فاكتفى بما نالته يده من الأموال وذهب الى الحفر . ورابط فيه مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر . وكان له من وراء اقامته هناك ثلاثة مطالب : (احدها) حماية عربانه القاطنين في تلك الجهات . (ثانيها) رغبته في خوض غمار الحرب مع مبارك مرة اخرى سيما بعد تلك الواقعة التي شرب فيها كأس العز والنصر . (ثالثها) تطلبه الغرة في عربان ابن صباح ولكنه مع هذا كله ومع هذه اليقظة وتلك المدة الطويلة . لم يفز بشيء يستحق الذكر . وما ذاك إلا لأن مباركاً اقام في الجهراء قوة كافية تشرف على اعمال ابن الرشيد وتراقب حركاته من كثب وتقف في وجهه اذا ما أراد الهجوم او الاعتداء .

احتجاج مبارك على ابن الرشيد

بعدما نهب ابن الرشيد ما نهب من أطراف الكويت قـــدم مبارك احتجاجاً عند والي البصرة اذ ذاك مصطفى نوري باشا على نهبه الاموال واعتدائه في غارته . وقد سمع الوالي الاحتجاج وأصغى الى شكواه . وبعث اليه بكتاب مع أحد رجاله في رجب سنة ١٣٢٩ ، يتضمن ذلك وفيه أن الحكومة غضبى على ابن الرشيد فبادرت بطرد رجاله من البصرة . هذا ما قاله الوالي لمبارك وقد تكون الحقيقة ضد ما أخبر وانما قال ما قال ارضاء لمبارك ظاهراً ، ظناً منه ان مباركاً تخفى عليه الحقائق وينخدع بالتمويه .

السيد رجب النقيب في الكويت في شعبان سنة ١٣١٩

اسلفنا لك ماجرى على الحملة التي وجهت من الكويت . وانها سكنت بعد حركتها وخمدت بعد اشتعالها والآن نرى الحكومة قد سلكت غير مسلكها وقامت بأمر هو اشد منه وافظع .

ارسلت الى مبارك السيد رجب نقيب اشراف البصرة وميرالاي يجيب أخا الوالي في مركب زحاف . وهما يحملان اليه تهديداً . يقض عليه مضجعه ويضيق عليه أنفاسه ، تهديداً خيرته فيه بين ثلاثة امور اما ان يسافر الى الآستانة فيعين فيها عضواً في مجلس شورى الدولة ، واما ان يسافر الى اي بلد يريدها والحكومة تقوم بما يحتاجه والا تستخدم القوة الفعـــالة ضده فيما اذا رفض احد الامرين وكان في الوقت نفسه . قد حضر الى الكويت من (ابوشهر) طراد انكليزي علم بالمكيدة . وعلم بما تحاوله الحكومة من مبارك . فشجع وجود هذا الطراد مباركاً في جدله مع رجال الوفد التركي فقد حاول اولاً التخلص من مطالبه بكل وسيلة وبكل استعطاف واسترحام. لئلايضطره الى ما لايحب ويرضى ولما لم يجد منه الا التشدد والتصلب اضطر اذ ذاك الى اعلان معاهدته مع انكلترا واظهاره ما كان سراً بينهما . فكانت الخاتمة انذار قومندان الطراد للوفد العثماني بالرحيل من الكويت وتركها وشانها والا فانه

يعرض نفسه لخطر مريع قد تكون عاقبته قعر البحار وبطون الاسماك .
فاختار الاول حبا بالسلامة ، أو بتعاليم من الحكومة العثمانيــة التي تتحاشى
اغضاب انكلترا ، وتتحاشى الامور التي تثير الحرب بينهما .

النقط العسكرية في حدود الكويت

رأت الحكومة العثمانية بعد فشلها في حملاتها المتنوعة على الكويت ان
تقتطع شيئاً من حدودها تضييقا على عدوها مبارك و على بلدته فأقامت نقطاً
عسكرية في بوبيان ، وام قصر وسفوان في آخر سنة ١٣١٩ محتجة في دخولها
في حدود العراق . ولكن مباركا هب للدفاع عن حقه وقدم الى الحكومـة
العثمانية في البصرة احتجاجا على هذا العمل في محرم سنة ١٣٢٠ ، وادعى ان
تلك الاماكن داخلة في حدود الكويت . وأن له على ذلك حججاً وبراهين .

فالقصر الذي في (ام القصر)لم يبنه الا ابن‌رزق في أيام جابرآ ل‌الصباح.
وابن رزق هو من رجال الكويت المشهورين الذين لهم فيها الى هذا اليوم آثار
وأقارب . واما بوبيان فقد نصب الكويتيون فيها (الحضور) لصيد الاسماك
من أمد بعيد . ثم أشفع هذا بالشكوى من بقاء الجند في تلك الاماكن ، وان
ذلك قد يحدث فتنة وشرا ، سيما ولا يزال الجنـد يتحرش بالكويتيين الذين
يرتادون الذهاب اليها بكرة وعشية وبالأخص بوبيان . ولكن الحكومـة لم
تصغ لاحتجاجه ، ولا سمعت شكواه ، فرفـــع الامر الى انكلترا بواسطـة
ريس الخليـج العربي ، وشرح لها الحال . واستعطفها بشد عضده امام هـذا
الاعتداء المخالف للقانون ، ولكن انكلترا تغافلت عن طلب مبارك تغافلا
لم يكن ليتصوره . ونهاية ما قـامت به ، ان ارسلت الى الكويت المركب
المسمى (سفنك) ليأخذ منها ربانا يهديه لبوبيان وأم قصر للكشف عليها ،
وقد نددت جريدة التيمس على انكلترا في تصامها عن نداء مبارك في ذلك .
فقالت (وكانت السفارة الانكليزية في الاستانة لا تبدي ولا تعيد في ذلك
الزمان . وكذلك الحكومة الانـكليزية فإنها كانت قد انتقلت من نوبة حامية
الى نوبة باردة . والمفهوم ان هذا التغير نشأ بعضه ، عن حادثـة حدثت في

اجتماع بين الملك ادوارد وامبراطور المانيا . فان الامبراطور كان مشوقا الى حديث الكويت ، يبدي مزيد الاهتمام بها ، وكان الملك مسلحا بقطعة من الورق ، اودعها بعض المذكرات في المسألةفطلب الامبراطور الاطلاع عليها . فأجيب الى طلبه . ولكنه اساء الى صاحبها اذ عدها بلاغا رسميا . ولم تكن كذلك . وكانت تحتوي على اعتراف متنازع فيه . واستصوب حينئذ اغتفار ما فعل الامبراطور . ولكن نال السياسة الانكليزية في الكويت ضرر من ذلك اذ ترك النقط التي انشأها الأتراك في جزيرة بوبيان وشأنها بعد احتجاج رسمي وفي ذلك ما فيه من الفت في عضد مبارك الذي بالغ فيالتشبثبانكلترا ولكنهاقصرت في اسعاده وبقيت النقط هناك الى ما قبل الحرب بقليل ا هـ. من تاريخ الحرب العظمى ص ٤٨٩ .

استيلاء ابن سعود على الرياض

قلنا آنفا ان مباركا قد رسم خطة للقضاءعلىخصمه ابن الرشيد بعد حادثة الصريف . وها أنا سأحدثك عنها في هذا الفصل .

بنزوح ابن الرشيد عن نجد وإقامته على ماء الحفر في اطراف الكويت رأى مبارك الوقت لتنفيذ تلك الخطة قد حان ، سيما وقد أقام في الجهرى من القوة ما جعل ابن الرشيد. يحاذر منها مقيما وظاعنا وتضطره على البقاء هناك خوفا على عربانه المشتتين في تلك الفيافي والقفار . نعم بذلك رأى مبـــارك الوقت قد حان . فحض ابن السعود على امتلاك الرياض والاستيلاء عليها وقد كان ابن سعود اشد منه رغبة في ذلك واعظم ميلا لتحقيق تلـك الامنية . فخرج ابن سعود من الكويت على رأس سرية متظاهرا بغزو بعض باديـــة الجنوب واقام هناك مدة الى ان صفا له الجو ، فهبطالرياض مع جملة من رجاله ليلا ودخل بيت امرأة من اقاربه ، وبقي فيه ينتظر خروج (عجلان) امير الرياض من قبل ابن الرشيد . وكانت عادته ان يبيت في القصر الحصين تخوفا من حوادث الدهر . ولكن القدر لا يغالب .

بعد طلوع الشمس خرج الامير من القصر يريد بيتــه ، فخف ابن سعود لملاقاته . ولكن (عجلان) ولى هاربا عندما ابصره ورجاله شاهرين السلاح. ولى هاربا ليعتصم بالقصر ، غير ان ابن سعود ادركه في خوخة الباب ورماه فلم يجهز عليه في المرة الاولى ثم رماه الثانية فزهقت منه روحه . فدخل ومن معه القصر ولم يحدث فيه قتال يذكر . وبذلــك تم لابن سعود الاستيلاء على الرياض . ولم يجد امامه عقبات تعترض طريقه . ومـــا ذاك الا لميــل اهل الرياض اليه ومحبتهم له ولبيته المحبــة الصادقة وتفضيلهم اياه على من سواه ، ونفرتهم الشديدة من ابن الرشيد ومن ظلمه وجوره [1] وكان أول شيء أعاره ابن سعود اهتمامه احاطة المدينة بسور يمنع عنهم الهجمات من ابن الرشيد وأعوانه. وكان هذا بوصية من مبارك . وقد بعث اليه بكتاب قبل احتــلال الرياض يأمره فيه بأشياء تتعلق بالسور واصلاحه . ولكنها كالألغاز والاحــاجي ولم يفهمها حتى كاتبه الخاص الا بعد ما جرى تأويلها فعلا .

احتل سعود الرياض في اول شوال سنة ١٣١٩ . وفي ١٩ شوال وصــل البشير منه الى مبارك في الكويت وفي ١٣ ذي القعدة ابلغ مبارك الحكومة العثمانية في البصرة خبر احتلاله .

ابن الرشيد بعد احتلال الرياض

اما ابن الرشيد فبلغه احتلال الرياض وهو على ام الرضمه بعــــد مغادرته الحفر . فأظهر لمخبره عدم الاكتراث بخبره والاهتمام به ، حــتى بعد ان اخبر بنشاط ابن سعود في بناء السور . وقال ان في استطاعته قطــع دابره وقطع اقدامه من الرياض ، مهما عمل ومهما قام به من الاستعداد والاحتياط . وهذا كله يدلنا على ضعف في العقل ، وقصور في الادراك وتجرد من الحزم . العقل

---

(١) غضب ابن الرشيد على اهل الرياض لعدم مقــاومتهم لابن سعود في دخوله الرياض المرة الاولى قبل حادثة الصريف ، وكذلك على اهل عنيزة وبريدية ايضا لفتحهم الابواب أمام ابن سليم . وآل مهنا . فجعل على اهل تلك البلاد الضرائب الفادحة جزاء لهذا العمل الذي اعتبره منهم ميلا الى عدوه اللدود الذي كانوا في معيته ولكن ابن الرشيد بعمله هذا نفر القوم منه وفتح الابواب لخصومه.

يقضي بعدم احتقار الضعيف ، اذ يجر احتقاره الى ويلات لاتطاق .

ولا تحتقر كيد الضعيف فربمــا   تموت الافاعي من سموم العقارب

نعم ان العقل الحصيف يقضي بمبادرة الخرق قبل اتساعه ، والصغير قبل نموه . ويقضي بأخذ الحيطة والتحفظ من كل شيء .فالحروب الطاحنة مبدؤها كلام والانخذال فيها سببه الاهمال .

اری خلل الرماد وميض نار   ويوشك ان يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى   وان الحرب مبدؤهــا كلام
لئن لم يطفهــا عقلاء قوم   يكون وقودهـا جثث وهام

نعم كان عاقبة جمود ابن الرشيد امام تلك الكارثة الصغيرة توطد اقدام ابن سعود في الرياض بل وفي كثير من مدن نجد وقراها . وكان عاقبة جموده واهماله ماسمعت . ولكنه اخــيراً انتصب امامه شبح مخيف ينذره بسوء العاقبة ويؤنبه على تفريطه فندم اذ ذاك حيث لاينفعه الندم ورأى تخفيفــاً لويلاته ان يعجل بالمسير الى خصمه عله يستطيع صد تياره الجــارف ويمنع تقدمه المريع . وفي اوائل سنة ١٣٢٠ سار الى ابن سعودفي الرياض ومازالت المعارك هناك تدور رحاها بين الاثنين ووجهها يبشر بمستقبل سعيد لابن سعود. وينذر بذهاب الرشيد . وقد كانت الخاتمة تقويض خيــام ابن الرشيد كلها من نجد واستلام ابن سعود زمام الامر فيها وحده .

اما مبارك آل الصباح فكان في تلك الوقائع بين الامــيرين هو ركن بن سعود الاعظم الذي عليه يعتمد ، فتراه يبعث اليه الامدادات بسخاء وكرم ويخرج اليه الحملات الواحدة تلو الثانيــة والقافلة في اثر اختها تحمل الاطعمة تارة والذخيرة اخرى وفوق ذلك فان مباركاً كان يرسم الخطط الحربية له وهو في مدينته ، فانتصار ابن سعود اذاً على ابن الرشيد ، هو انتصار لمبارك على خصمه وتنفيذ لخططه التي رسمها والتي قلنا عنها كلمات آنفاً .

لهذا رأيت ان افيض في شأن تلك المعارك هنــا تتميماً لتاريـخ مبارك

وأعماله ولكني ضربت عنها صفحاً الى فرصة اخرى .

صقر آل غانم يهجم على الظفير في اواخر سنة ١٣١٩

شعر مبارك بمكاتبة تدور بين ابن الرشيد والظفير لاستمالتهم اليه ووقوفهم الى جانبه في الحروب المقبلة التي ستثور بينه مع خصميه مبارك وابن سعود . فاغلاقا لذلك الباب الذي كان يخشى مبارك منه بادر بتجهيز جيش عرمرم بقيادة صقر آل غانم القائد المشهور لغزو تلك القبيلة وكانت قد نزلت على (الوقبا) فسار صقر بجيشه من أطراف الكويت الى (اللصافة) ثم منها اراد الغارة عليهم . متخذاً ماء الحفر مورده في غارته ولو فعل لهلك ومن معه جميعاً ولكن نظراً لعادة الاعراب في دفن الآبار التي في طريق من يخافون من غارته . ونظراً لحزم صقر ومعرفته بتلك العادة فانه ارسل قبل غارته رجلين يكشفان له حقيقة الماء فسار الرجلان الى الحفر كما أمرهما صقر ، وهناك لم يجدا في الآبار قطرة من الماء فاسرعا بالعودة الى الجيش واخذا يجاريان الريح في هبوبها ، خوفاً من العطش ، ولكنهما مع هذا اصيب أحدهما بألم شديد كاد يقضي عليه ، واوشك ان لايصل حياً .

أما صقر فلم يمنعه الخبر من تنفيذ خطته (وقد كان شجاعاً جسوراً) فهم بالغارة من (اللصافة) متخذاً ماء الوقبا الذي نزلوا عليه هو المورد ، متخطياً الحفر ومائه . واستعد بماء لثلاثة ايام ، ثم سار ينهب الارض نهباً حتى نزل عليهم نزول الصاعقة ، وهم لايشعرون ، فاستولى على كثير من اموالهم واذاق جماً غفيراً من رجالهم الحمام . وكان في معيته آل سليم ، وآل مهنا ، والشاعر العامي (ملا علي) شاعره الخاص . ثم كر راجعاً الى الوطن بعد ان ملأ حقائب جنده من الاموال والغنائم وبعد ان شرب واياهم كأس العز والنصر وكان مبارك بانتظاره في (الجهرى) .

تآمر يوسف وأبناء حميدي على اغتيال مبارك

حوالي سنة ١٣٢٠ تآمر يوسف آل ابراهيم ورجال من أهل العراق يقال

لهم أبناء حميدي على مبارك، وقد أطمعهم بالمال واشترى انفسهم بأحمره وأصفره . تآمر وإياهم على ذلك ، ورسم لهم في الوصول الى غرضه خطة غريبة ولكنها لاتستغرب على يوسف ودهائه .

كان لأحد أقارب عبداللطيف آل ابراهيم سفينة معروفة عند أهل الكويت اوعز يوسف الى اجرائه ان يذهبوا بها الى مبارك في الكويت بعد ان شحنها سلعاً وبضائع . وامرهم أن يدعوا امام مبارك ، بأنهم قتلوا من فيها من رجال يوسف ، وانهم استاقوها وما فيها اليه .

ساروا الى مبارك كما أمرهم يوسف ، وعندما قصوا عليه القصة لم يشك في صدقهم فيما قالوا ، لانهم كانوا معروفين بالقرصنة في البحر ، وكانت لهم مواقف مشهورة ، فطار بهم ، وقربهم اليه ، واستصفاهم لخدمته ، انخداعاً منه بتلك الظاهرة الخلابة التي يستغرب انخداعه بها ، وهو ممن عرفت في يقظته ودهائه. فلبثوا في بلاطه مدة وهم يفتحون ابواباً ويغلقون اخرى لوصولهم الى ما يريدون. ومبارك في غفلة عما يعملون . وفي الوقت الذي اوشكوا على ان ينفذوا فيه السهم القتّال ، رده الله عنه من انفسهم وبعلمهم. ذلك انهم شرحوا الأمر لاثنين من اصحابهم المخلصين من خدام مبارك المقربين اليه ، واطلعوهما على ما عزموا عليه ، علهما ينضمان معهم ، فيسهلان لهم طريق الفتك والاغتيال ، فاظهرا الميل والاستحسان لما سيقومون به ولكن سلطة والدهما دفعتهما الى كشف المؤامرة له واستطلاع رأيه فيها . اما هو فاضطرب من تلك المفاجئة واصابه انفعال شديد لاخلاصه الصحيح الى مبارك . ولكنه تمكن من كتم عواطفه امام بنيه واظهر التحيز للعمل ، والميل الى مشاركتهم فيه . وفي الحال سار الى مبارك وكشف له الغطاء ، واكد له الحقيقة ببعض علاماتها الشاهدة . فبعث من يقبض على المتآمرين وارداهم في غياهب السجون ولم يقتلهم لان لهم في شواطىء البصرة عشائر وجماعات يخشى بأسهم وشرهم ويخشى ان لايسلموا احداً من اهل الكويت الذين يكثرون التردد الى البصرة . وقد بقوا في السجن مدة ولكنهم استطاعوا في اثنائها من نقب الجدار ، ومن الخروج منه . غير ان

مباركاً تمكن من القبض عليهم قبل ان يفلتوا فارسلهم الى صـــاحبه الحميم الشيخ خزعل في (المحمرة) .

ابناء القتيلين يحاولون الهجوم على الكويت

في جمادى الثاني سنة ١٣٢٠ استعد هؤلاء الكرام بأسطولهم لمهاجمة مبارك في الكويت وقــد اصطحبوا معهم السلالم وآلة الهدم والتخريب . ولكنهم ما كادوا يتحركون من (الدورة) حتى وصل الخبر الى جابر آل الصباح وكان اذ ذاك في الفاو ، فخابر رئيس الخليج العربي بالتلغراف في (ابوشهر) وبادر بإرسال من ينذر الكويتيين . فهبوا لحماية بلدهم وبثوا الجواسيس والعيون في اطرافها وارسل الرئيس في الحال طراداً انكليزياً الى ميناء الكويت .

اما الاسطول فبعد ان وصل قريباً من شاطىء المدينة علم بانفضاح امره فرجع ادراجه ، وقد قيل ان الذي اعلمه بانكشاف سره هو وجود الطراد الانكليزي هناك . وقيل بل ارسل رسولين الى الكويت يكشفان له الحقيقة ليكون الهجوم على علم . وقد ضرب لمجيئهما موعدا وان الرسولين تــأخرا عن الموعد المضروب ، فترجح لديه انكشاف الغطاء ، فكر راجعــاً من ليلته . غير ان الشمس اشرقت عليه وهو في اطراف البلد ، فاقلــع الطراد خلفه . واخذ يطارده في عرض البحر ، وكاد يقبض عليه لولا انه تمكن من التجائه الى شاطىء القصبة وقد نزل ثلة من رجال الطراد الانـكليزي ، في زورق صغير ليعاجلوا القبض على من في الاسطول قبل فرارهم . وهناك ثار الرمي بين الفريقين وتمكن أهل الاسطول من الفرار بعد قتلهم ضابطاً انـكليزياً . وتركوا الاسطول لا أنيس به . حينئذ قبض الطراد عليه وسار به الى البصرة ليجري التحقيق عنه وعن جهزه .

وقد انكر يوسف وابناء القتيلين هناك علمهم انكاراً باتا ـ وكذا الوالي أنكر علمه بتجهيزه . اما مبارك فابدى اهتماما عظيما في اثبــات تجهيز يوسف واعوانه لذلك الاسطول فخابر رئيس الخليج العربي بذلك وقال بان لديه من

يشهد بان هؤلاء هم المجهزون . وارسل الشهود الى البصرة في رجب بعد امر الرئيس له . ولكنه مع هذا كله لم يفلح في مهمته وقد اكتفت انكلترا اخيرا باحراق الاسطول .

خروج عبد الرحمن الفيصل الى الرياض

في الوقت الذي احتل عبد العزيز بن سعود الرياض . كان أبوه عبدالرحمن في الكويت وقد خرج منها الى الرياض في صفر سنة ١٣٢٠ مزودا من مبارك باطعمة كثيرة ومهمات حربية لابنه عبد العزيز ، ولكن مباركا مع هذا كان ينكر امام الحكومة العثمانية وغيرها تدخله في شؤون عبد العزيز السعود ومساعدته له في احتلال الرياض ومده له بشيء من القوة . ولا ريب في ان هذا من دهاء مبارك وسياسته لان الوقت اذ ذاك لا يسمح لـه بالتظاهر في مثل تلك الاعمال .

اما عبد الرحمن الفيصل فقد كتب عند خروجه كتـابا الى السيد رجب نقيب اشراف البصرة في ٥ صفر سنة ١٣٢٠ .يخبره بخروجه وبالسببالداعي له ليكون كاللسان عند الحكومة العثمانية وهذا نصه « وقبل هذا ارسلنا لكم كتابا شرحنا فيه أحوالنا وقت الآباء والاجداد . واننا خدام محسوبون على الدولة العليا . وانه لما صار علينا ما صار . من غدر ابن الرشيد وخيانته لم نلجأ الى احد إلا إلى الله تعالى ثم الى عدالة امير المؤمنين ادام الله مجده وقد طالت المدة علينا واخذنا ننتظر تعطفاته الملوكية بان نعطى من المعاشما يقوم باحوالنا ونرجع الى محلنا . وننصف ممن ظلمنا . فلم يحصل لنا من آمالنا الى هذا المعاش القليل الذي ما يقوم ببعض احوالنا . ومع ذلك لم يحصل لنا منه شيء او ما يشبه التسلية من كل خمسة اشهر أو ستة اشهر أو شهرين. فلما ضاقت بنا الحال . وتراكمت علينا الديون ولم يبق من الكويت لنعيشانفسنا واطفالنا واتباعنا ونتوجه الى بلدتنا وعشائرنا لدفع تعديات ابن الرشيد . ونحن في كل مكان وحال من الاحوال لا نزال بحول الله نؤدي الخدمات لحضرة امير المؤمنين باذلين الجد والاجتهاد فيما يحصل به رضاه منقـادين الى اوامر

الدولة العلية فنرجو من مراحم وتفضلات واحسان حضرة امير المؤمنين بحلول انظاره علينا ورفع تعديات ابن الرشيد واجراء ما تفضل به من المعاش »
وقد قيل ايضاً ان الامام عبدالرحمن عندما هم بالخروج كتب الى رئيس الخليج العربي في (ابو شهر) ايضاً ينبئه فيه بخروجه ويرجو منه ان تضع الحكومة البريطانية انظارها عليه وأن تشمله بعطفها . ويخبره ايضاً بان معتمد الروس قد عرض عليه على لسان حكومته بذل المساعدات التي تحتاج اليها وانها ستلبي جميع طلباته فرفض ذلك رغبة في الحكومة البريطانية وزهداً في غيرها من الدول .

رجال يوسف وكردي ابن اطواله

في صفر سنة ١٣٢٠ جهز يوسف رجالاً من الزبير ليغيروا على عربان ابن صباح المقيمين على (صفوان) فهجموا عليهم وهم لا يشعرون ونهبوا نحو ثمانماية من ماشيتهم . وتلا هذا ايضاً في ربيع ٢ أن اغار كردي بن اطواله احد زعماء شمر على عربان بن صباح في (الصبيحة) فقتل كردي نفسه وكثير من الرؤساء ورجع بقية اتباعه بالخيبة والفشل .

هذان الهجومان دفعا مباركاً الى ان يرمي شمر في (أجبة) بشره أخذا بالثأر ، وانتقاماً من المعتدين ، فكان نصيبه منهم الاموال الكثيرة بعد قتل جملة من رجالهم المشهورين .

حبس الحكومة لعبد العزيز افندي السالم[1]
في صفر سنة ١٣٢٠

كان من الاسباب في حبس هذا الفاضل ان مبارك آل الصباح امره بتقديم بدل اشتراك جريدة الخلافة التي كانت تصدر في كلكته و لندن

(١) كان هذا الفاضل الاديب وكيلا لمبارك آل الصباح في البصرة وكان ذا كفاءة واقتدار في كل ما اسند اليه مبارك من المهمات . وكان ذكياً حراً حلو المحادثة أبي النفس . وهو إلى الآن وكيل لآل الصباح في البصرة .

والتي حظرت الحكومة العثمانية دخولها بلادها لمخالفتها لسياستها ونظراً إلى ان اعداء مبارك كثيرون فان عبد العزيز افندي ما كاد يقدم بدل الاشتراك حتى وصل الخبر الى والي البصرة . فبعث في الحـــال من يقتحم بيته ليفتش دفاتره واوراقه التي كان من بينها كتاب من مبارك فيـه الحط الشديد على السلطان عبدالحميد ، والكلام الخشن على سياسته الخرقاء . ولكن عبدالعزيز افندي تمكن بيقظته من اتلافه اثناء البحث والتفتيش ولم يشعر به احد .

هجم عليه المهـاجون كا امروا . وفتشوا كما طلب منهم ومع كونهم لم يجدوا على الرجل حجـــة فقد قبضوا عليه وزجوه في السجن الضيق . وعاملوه بالقسوة المتناهية تلك المدة الطويلة التي قضاها بين جدران السجن الموحشة . ولم يخرج من ظلماته إلا في أيام مخلص باشا .

ومما يذكر لهذا الشهم المفضال بالاعجـاب والاكبـار ان الشيخ يوسف آل ابراهيم طلب منه في الوقت الذي يتقلب فيـه على جمر الغضا في السجن وفي الوقت الذي اشتد عليه البلاء والضيق هنـــاك ان يتخلى عن مبارك وخدمته . وهو يتكفل باخراجه مما هو فيه ويسعى في اطلاق وثاقـه . فأبدى هذا الفاضل اباء وشمماً . ورفض النظر في ذلك الاقتراح رفضاً باتاً . وبقي في سبيل الشرف والفخر وفي سبيل المحافظة على المبادىء يقـاسي الآلام العظيمة ويتجرع الكؤوس المريرة ان ذلك الدور الذي مثله هذا الغيور لما يدل على رجولته التي يغبط عليهـا وعلى جلده الذي يندر مثله بين أقرانه هـذا هو الرجل الجدير بالثقة والحري بالاعتماد عليه في المعضلات والمشاكل . ولقد عرف مبارك منزلته فأولاه ثقته التامة ، واعتماده الكبير في جل أيام حياته .

وقعة جولبن

في سنة ١٣٢١ أحس مبارك بميل سلطان الدويش الى ابن الرشيد بمكاتبة تدور بينهما في ذلك فرأى أن الحزم يقضي عليه بمبادرته بغارة شعواء تكون نكالاً له وردعاً لأمثاله فجهز جيشاً بقيادة نجله الأكبر الشيخ جـابر . وفي

معيته عبد العزيز بن سعود . وكان قد قدم من الرياض لبعض شؤونه .

سار الجيش وخيله تزيد على ألفين ، فصبح الدويش في (جولبن) وانزل به وبمن معه من العذاب الواناً . ولم يجد أمامه مقاومة تذكر . غير ان سلطان نفسه جمع مائة من خيله وهجم بها على احد جوانب خيل المهاجين المتطرفة فتغلب عليها بادىء بدء وزحزحها من مقرها وكاد يتم له ذلك الى النهاية . لولا ان ان ثـلة من الفرسان علموا بما قام به فهموا بتطويقه وبالقبض عليه فركن عندما شعر بهم الى الفرار وبذلك كانت الهزيمة التـامة . وقد غنم الكويتيون أموالاً عظيمة تقدر الابل وحدها بنحو خمسة آلاف كان حظ ابن سعود منها نحو خمسمائة .

رسول الى ابن سعود

بعد انتهاء المعركة اقبل رسول الى ابن سعود يخبره بغزو ابن الرشيد للرياض ومحاصرته لأهلها . فرجا من جابر أن يسير معه الجيش لصد عاديته عنها وغلّ يده عن إيصال الأذى الى اهلها. وقد كان جابر يرغب في اجابته إلى طلبـه ، ولكن حق الأبوة لمبارك منعه من التقدم والبت في مثل هذا الامر بدون مراجعته فاعتذر من ابن سعود بهذا وقد عذره عندما افضى إليه بالأمر وعلم إذ ذاك بوجوب مسيره إلى الكويت لمقـابلة مبارك فيهـا . فزم مطاياه وجملة من خدمه اليها وهناك بعد أن ابصر قصورهـا شرع بصوت جهوري عال. يستغيث بمبارك ويستعطفه بالنصرة والأنجاد وقد ظن السامعون له أن قد قضى على جابر ومن معه وانه هو البقية الباقية منهم .

أما مبارك فبعد أن علم بحقيقة الأمر وبما يريده ابن سعود أسرع في إجابته وأمر بشحن جملة من السفن الكويتية أطعمة وذخيرة لتسير الى (الظلوف) جنوباً . وأصدر أمره إلى الجيش بالمسير اليها لينقل منها ما يحتاجه . ولكن قبل أن تسير السفن جاء رسول آخر من الرياض يخبر بانقلاب ابن الرشيد عنها وبرجوعه من حيث أتى . فسكنت الزوبعة الثائرة .

زيارة اللورد كورزن الكويت

في سنة ١٣٢١ زار اللورد كرزن الكويت بأسطول حربي ضخم وقد أقام مبارك للزائر احتفالاً ضخماً سارت بذكره الركبان وأظهر به ابهته وعظمته أمام ذلك السياسي الكبير .

وصف الاحتفال

ارسل مبارك على جميع القبائل الخاضعة له . واستنفر الكويتيين عموماً . واعد خمسمائة من الخيل وما يزيد عليها من الإبل . واتخذ خمسين من رجاله المقدمين حرساً وقسمهم إلى خمس فرق ، لكل فرقة علم خاص بها ، ولباس تتميز به عن سواها . وأحضر عربة من أحدث طراز شاع في الخليج اذ ذاك . هيأها لنزول الضيف يوم وصوله وجللها بقطعة من الشال مموهة بالفضة . وكون صفين من الرجال من رأس المدينة الى (الشويخ) وهو الذي يبتدىء نزول الضيف منه ويبعد عن البلد بنحو ساعة ونصف . وزين الطرق التي يمر عليها داخل المدينة بأقواس النصر مكتوب عليها (اهلا وسهلا بكم) . فسارت العربة بالزائر في شارع كبير من الرجال الذين تقلدوا سيوفهم واعتقلوا رماحهم ورفعوا بنادقهم على الاكتاف . سارت به في ذاك الشارع والخيول المطهمة والابل من خلفه وأمامه . وما كاد يلج المدينة حتى ثار من البنادق دوي عظيم وارتفعت أصوات المحتفلين بالاراجيز الحماسية فدهش الزائر من هذا الاحتفال البديع واعجب بسلامة ذوق صاحبه وبنباهته . وعلم ان ليس كل لابس عباءة وعقال أهلاً للاحتقار .

الاتراك يقتصون من مبارك

لقد أساء مبارك إلى الحكومة العثمانية بالاعمال التي قام بها ضدها سيما بتدخله مع انكلترا حتى اضطرها إلى ترقب الفرص لأخذ الثأر منه وإنزال العذاب به .

ففي جمادى ٢ سنة ١٣٢٥ اشترى مبارك من سعدون باشا ملكه الذي

في ام الغرب بثمانية آلاف ٨٠٠٠ ليرة فلم تسمح له الحكومة بتسجيله في الطابو محتجة بأنه لا عثمانية بيده ولكن الحقيقة انها اتخذت هذه فرصة ، لنفث سمها فيه . وقد جرت المخابرة بينه وبين والي البصرة اذ ذاك عبدالرحمن حسن بك . فحاول الأخير اقناعه بحمل العثمانية فلم يقنع . وما زال الجدال محتدماً بينه وبين كل من يأتي البصرة من الولاة ، سيما محرم باشا فانه قد أغصه بالريق وأظهر له الغلظة والجفاء وما فتىء مبارك يتجرع تلك الغصص والآلام منه ومن غيره الى ايام علي رضا باشا وكيل والي البصرة . فإن هذا ابلغ مباركاً في ٢٤ ربيع اول سنة ١٣٣١ أمر الباب العالي بفتح هذه الاقفال التي ضيقت عليه خناقه واطارت النوم من عينيه . وقد كان من اعظم الاسباب لاجابته الى ما طلب ، هو اعانته لحرب البلقان التي بلغت نحو احد عشر الف ليرة (١١٠٠٠) .

الاتراك يحطمون اسداد الفاو

ومن جملة الاعمال التي ارادت الحكومة الاقتصاص بها من مبارك ، ان أمرت الجند المقيم في استحكام الفاو في شعبان سنة ١٣٢٠ بتحطيم أسداد املاكه هناك . ففعل وفتح اربعين منفذاً فيها . وقد احتج مبارك على هذا الاعتداء عند عبدالرحمن حسن بك . وقال: لولا وكلاؤنا الذين لازلت اوصيهم بالهدوء والسكون امام امثال هاتيك الحوادث، لوقعت فتنة عمياء بين الفلاحين والجند ونظراً لان الجند قد اعتدوا على أملاكي وانه تعدى في عمله ذلك الحدود فأنا اطالب الان بمجازاته على اعتدائه وعلى ان لايعتدي مرة اخرى. والا فلست بمسئول عما يقع من الاضطراب والشقاق فيما بعد . وابلغ ايضاً تفصيل الحادثة لانكلترا على لسان الكولونيل ماكس قنصلها في الكويت واستحثها على القيام بوجه المعتدين ومطالبتها بالقصاص منه . وقال أنا وإن كنت في معاهدة مع انكلترا تقضي بمنعها المعتدين على المدينة واهلها ، فهناك شيء هو في نظري اعظم من ذلك ، وهو حفظ شرفي في الخارج وغل يد من حاول هدمه وهده ، فالحكومة اذا لم تحافظ عليه ولم تحطم آلات من انتصب

لتقويضه ، واعطت اذناً صماء فهذا قد يضطرني الى اخذ احتياطـات وتدبير ربما لايحمدالكل منا عقباها .

وقعة هدية [1] سنة ١٣٣٨ ربيع الاول

نهب مطني بن حلاف زعيم السعيد من الظفير اغناماً لعثمان بن راشد احد تجار الكويت . وكان مطني اذ ذاك منضماً الى سعدون باشاالسعدون لمغاضبته ابن اسويط زعيم الظفير ، فطلب مبارك الاداء وردما أخذ فما اجيب وتلاها ايضاً ان سعدوناً نفسه اغار على طائفة من مطير . وكان بالقرب منها ثلة من عريب دار فأصابها في غارته وأخذ منها ما أخذ من الاموال ، أمـا مبارك فعد فعلة مطني الاولى وهو منضم الى سعدون ، والثانية من سعدون نفسه تحرشاً من الأخير ، وهتكاً لسياج حرمته ، وتطلعا لحربه، عده كذلك وان رد ما أخذ من عريب دار بعد ان طلب منه جابر ابنه ذلك فان هذا وحده لايزيل التأثر والانفعال الذي اصابه مما جرى من سعدون وقد كان يعتبره اذ ذاك من أبنائه . لهذا سير اليه جيشاً بقيادة ابنه جابرالذي لامه اللوم الشديد على طلبه استرجاع المنهوبات . فسار الجيش ، وكان في معيته عظمةسلطان نجد ، وكثير من أهل نجد . وكذا الشيخ الغضنفر سمو الشيخ علي آل خليفة فذعر سعدون منه ذعراً اطار لبه . وود ارضاء مبارك بكل مـافي وسعه . ولكن مباركاً ذلك الشجاع المتسرع ، الذي يتأثر حتى من الوهم لم ينزل عن صهوة عزمه . حينذاك علم سعدون أن لاملجـأ من منازلة الجيش ولا بد من ملاقاته ، فتأهب للقاء ، وتقدم الى الساحة تقدم المستميت فهجم عليه الجيش الكويتي وهو في اتم اهبة واستعداد . ولكن المعركة انجلت بانتصاره عليهم وباحاطة جنده بهم احاطة الهالة بالقمر .

نعم انتصر سعدون على جيش مبارك هذا الانتصار الذي لم تزهق فيه الا ارواح قليلة من الفريقين . ولكن لايسعنا هنا الا أن نشكر سعدوناً وقومه ،

---

(١) سميت هذة الوقعة بهدية . لان أهل الكويت سلموا أموالهم لسعدون وقومـه مثل تسليم الهدية بدون حرب يستحق الذكر .

ونعترف لهم بالفضل والكرم . فانهم وقد كان في استطاعتهم ابادة الجيش المهاجم بعد ان وضعت الحرب اوزارها قبضوا أيديهم عن القتل وساعدوا المنقطعين منه في ارجاعهم الى وطنهم ولم يخيفوا احداً ، اويلحقوابه ضرراً .

وبالأسباب التي انخذل بها مبارك في الصريف انخذل بها جيشه في (هدية) بل كان الاعجاب هنا أظهر . فقد توهم الكثيرون من الجند انهم سائرون للنزهة او مسافرون للتجارة ، فأثقلوا حقائبهم بالدرهم والدينار لابتياع ماسينالون من الغنائم والاموال . ومنهم من استعد ايضاً بالاصباغ لتمييز مايشتريه عما يشتريه سواه .

جابر وصقر يهجمان على الظفير

لم تلن عريكة مبارك بعد تلك الهزيمة وفقده ذلك الجيش العظيم بل شرع يستعد لسعدون بغارة لاتبقي ولا تذر وأخذ يجلب الآلات الحربية التي هو في حاجة اليها من الخارج وضاعف التكاليف على اهل الكويت . ثم جهز ابنه جابرا وصقرا آل غانم بجيش كان في معيته سمو الامير الحالي (الشيخ أحمد آل جابر الصباح) في ذلك الوقت . والشيخ ابراهيم بن جابر آل فاضل وعبد العزيز بن حسن لمباغتة الظفير شمالا وأخذهم على غرة . غير أن الجيش بعد أن سار خطوات قليلة من (الجهرا) استولى الذعر من اللقاء على عبد العزيز بن الحسن . فاشار على القائدين بالرجوع وقال إن الجند الذي أمامنا قوي كثير وجيشنا قليل ضعيف فضربا برأيه الارض وصمما على الوصول إلى العدو مهما كانت الحال . وقد سار الجيش بهمة ونشاط ولم يثنه أي لوم وتأنيب ، وعندما ترك (جابدة) [1] خلف ظهره أمره القائدان بإفراغ ما معه من ماء على وجه الارض وقالا له ان الماء في احضان العدو الذي سترونه قريبا . وسنشتبك واياه في القتال ثم شرع جابر ينصح للجيش بقوله (سنلاقي العدو غدا وسننزل واياه ساحة الوغى فعليكم بالصبر والثبات . ليكون لكم

---

(١) جابدة ماء من المياه الشمالية .

الفوز والنصر عليه . ومن لا ينصح منكم فليس له عندنا إلا القتـل) اما صقر فقال وأحسن في المقال قال مخاطبا لجابر بعد ان انتهى من كلامه . (انكم في الحقيقة لم تجمعوا الجند إلا لمثل هذه الايام العصيبة ولا شك انه سيبذل فصارى جهده في ذلك وسيضحي بالنفس والنفيس . ولكن الواجب يقضي عليكم ان لا تنظروا غدا الى ما يناله من الغنائم والاموال من عدوه) فقال جابر نعم لقد قلت الحق ونطقت بالحكمة ثم ساروا ينهبون الارض نهبـا ووجهتهم العدو وعندما أبصروا ابله التي ملأت الفضاء وضاقت منها البيداء وليس معهـا الا قليل من الرجال وجدوا أهلها في غفلة عما فوجئوا به فاغاروا عليها صباحا وفي مقدمتهم صقر ولكن صقرا وحده صرف همته قبل كل شيء الى قتـال الحامية والإجهاز عليها فكان كلما اجتمعت عليه شتت شملها بسيفه وسنانـه وهكذا الى ان قتل وجرح كثيرا منها وانهزم الباقون تاركين ما وراءهم غنيمة باردة ، أما بقية الجند فاشتغل بنهب الاموال وسرق الابل عن القتال فأساء صقرا عملهم ذلك اساءة كبرى حتى أوشك أن يقتل حامل الراية الذي كان في مقدمتهم .

سعدون يوسط ثلاثة من الوجهاء في الصلح

اضطرب سعدون بعد هذه الحادثة اضطرابا جعله يتخوف سوء العاقبـة فانتدب إلى مبارك ثلاثة من الوجهاء الأفاضل : حمد العسفـاني وابراهيم بن دامغ . وعثمان بن شارخ . ليستعطفوه في حقن الدماء وفي الكف عن القتال ولكن مباركا كان في عنفوان غضبه سيما بعد ذاك الانتصار فما راق له سعي هؤلاء ولم يدر في خلده إجابتهم وقد أراد ان يظهر لهم استعداده الكافي لمقاومة سعدون . فأمر في ذلك اليوم باخراج المدافع الحربية أمام النـاس ليوصد في وجوههم الباب الذي جاءوا لفتحه . وقد كان الامر كذلك فـان أولئك الفضلاء بعد أن بحثوا معه وجدوا منه تصلبـا عظيما ، اضطرهم الى الرجوع أدراجهم ، يظهر لنا أن سعدونا بعد ان علم بفشل هؤلاء ترجى من علي اسعاد بك ، وكيل سليمان نظيف والي البصرة أن يخابر مباركا بشأن الصلح ، فإن

الاخير قد كتب اليه في جمادى الأولى سنة ١٣٢٨ كتاباً يرغبه فيه بذلك فأجابه مبارك بقوله: «اني اجبت سعدوناً عن كتابه الذي هو في صحبة الحاج حمد العسافي وأرسلت صورة الجواب الى احمد جلبي الصانع . وخلاصة ما اريده من سعدون والذي سيكون عليه الصلح ان يرجع كل ما أخذه من جيش ابني جابر والا فلا صلح » .

توسط حسين جلال بك في الصلح بين مبارك وسعدون

لقد استحكمت حلقات العداء بعد فشل الوفد الاول وبقيت الحال كذلك مدة تزيد على ثمانية اشهر فكان كل من الاثنين قد قام بنهاية ما عنده من قوة واستعداد . فمبارك بقواته في الجهرى وسعدون قد التف حوله كثير من المنتفك والظفير وغيرهما وخيم في ام المدافع . وأخذ كل واحد ينظر صاحبه بالنظر الشزر . ويترقب فيه الغفلة والفرصة هناك هب بعض الغيورين[1] لتلافي الخطر والسعي في حقن الدماء . وكان في مقدمتهم المكرم المفضال احمد باشا الصانع متصرف البصرة اليوم فشرع يجس نبض حسين جلال بك ويستطلع رأيه ورغبته في الصلح بين الاثنين . فوجده متأثراً مما بدا ومتأسفاً على ما وقع وراغباً الرغبة الأكيدة في عقد الاصلاح بينهما . وأخيراً انتدبه لسعدون . وأصحبه بكتاب اليه يحضه فيه على قبول الصلح وعلى الكف عن الاعتداء فسار احمد باشا الصانع الى سعدون في ام المدافع . وقد طفق بعد تسليم الكتاب له يرغبه في الصلح تارة ، ويخوفه من مبارك وقوته أخرى ، حتى اقنعه ، ثم أقامه سعدون نائباً عنه في تلك القضية فقفل راجعاً الى البصرة وبعد ان ابلغ الوالي بكل ما جرى كتب الوالي في ٢٤ محرم سنة

---

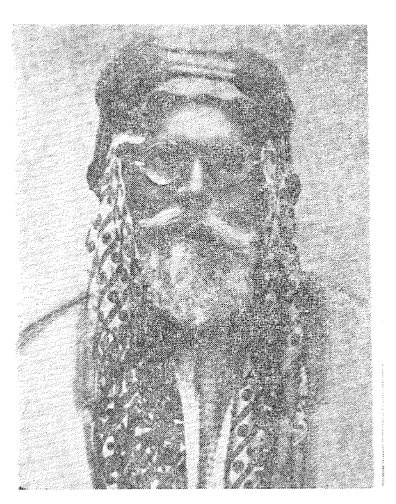
(١) اخبرني صديقنا المفضال الحاج احمد المنيس . انه هو الذي نبه المكرم احمد باشا الصانع الى سعيه عند الوالي وانه امتنع اولا لمغاضبة مبارك اياه غير انه تمكن من اقناعه بما أدلى من الحجج وقال ايضاً ان مبارك اراد اشتراط انسلاخ الظفير من سعدون في اثناء البحث بأمر الصلح قال فأشرت عليه بترك ذلك . وقلت له ان زعماءهم سيبادرون بالمثول بين يديك في الوقت الذي يبلغهم فيه خبر الصلح .

١٣٢٩ ، الى مبارك كتاباً بشأن الصلح طالباً منه التنازل عمـــا يدعيه من الحقوق على سعدون ، وصحبه المكرم احمد باشا الصانع وفي معيته صاحبنا المحترم الفاضل الحاج أحمد المنس وقد سار الاثنان الى مبارك في الكويت وحلا ضيفين كريمين على بساطه . وقابلهما بالحفاوة والاكرام . واظهر الرضا بالمهمة التي انتدبا انفسهما لها والتنازل عما كان يطالبه به سعدون ثم رجع هذان الفاضلان إلى البصرة بعد ان حلا عقدة الشقاق . وقد اصحبهما مبارك بكتاب الى الوالي بتاريخ ٢٧ محرم جواباً بالكتابة . كما اصحبهما بكتاب إلى سعدون ايضاً وفيه بعد قبول الصلح يطلب منه ان يأذن بسفر حمود بن سويط ونافع بن ضويحي اليه في الكويت . وبذلك رجعت المياه إلى مجاريها . وانقشعت السحب المتلبدة في سماء الفريقين ولكن يظهر لنا ان مباركاً لم يقبل الصلح إلا ظافراً . وان مرجل غضبه على سعدون لا يزال يغلي مما تركه يفتش خفية عن الطرق التي تعدمه الحياة وتزهق منها روحه . وتقلع اقدامـه من ارض العراق وكان اول شيء قام به ان جهز خالداً (ابو شويربات) من زعمـــاء مطير في صفر سنة ١٣٢٩ ليغير على المنتفك والظفير وهم آمنون وكانت نتيجة غارته ان استولى على كثير من اموالهم .

اما سعدون باشا فانه رفع الامر الى ناظم باشا والي بغداد وشكا اليه هذا الاعتداء الذي لم يفته أنه من تدبير مبارك وان حاول مبارك اخفـاءه فأبلغ ناظم باشا تلك الشكاية إلى مبارك فأنكر ان يكون له بها علم ، او ان له يداً في تحريكها وقال إن تلك الفكرة هي من مطير وعشائر نجد والعداء بينهم والظفير لا تزال ناره مستعرة وكتب مبـــارك ايضاً الى جلال بك في البصرة ينفض عنه غبـــار التهمة التي ألصقها سعدون به وقال ان (ابو شويربات) الذي اعتدى عليه قد اعتدى على اطراف الكويت ايضـاً فأنا وسعدون في الشكوى من اعتدائه مشتركون .

هجرة تجار اللؤلؤ من الكويت[1]

لسبب سيأتينا ذكره هجر جملة من تجار اللؤلؤ الكويت الى البحرين



المرحوم السيد هلال المطيري

وجنة أيام مبارك وكان شملان بن علي وهلال المطيري وابراهيم بن مضيف .

(١) نقلت هذه القصة بتفاصيلها عن المكرم المفضال شملان بن علي بن سيف احدا قطابها والقائمين بها. وقد حرصت على اخذها عنه لاني لا زلت اجد تفاوتاً عظيماً في نقل الحوادث بين من وقعت عليهم ومن ينقلها عن سواهم سماعاً .

هم الزعماء لتلك الحركة والقادة .

أسباب الهجرة

ضاعف مبارك بعد «هدية» التكاليف الحربية على اهل الكويت كما علمت سابقا . فبادروا بما امروا به . ولكن أحدهم ، وقد كان مرجل حقده يغلي



شملان بن علي

على اولئك الفضلاء أثار حفيظة مبارك عليهم بما افتراه من الكذب والزور . وبما لفقه من الافتراء والاختلاق . فقال له انهم لم يخرجوا رجــالا صالحين للقتال ولا بادروا بامتثال أمرك المطاع استهــانة بك واستصغارا لقــدرك . فساء مباركا هذا التصريح وأجج نار الغضب في قلبه حتى أضمر لهم الاهانة والاحتقار ، ومعاكستهم في امورهم ومصالحهم. فأعلن منع الغواصين في ذلك العام . وفي الغوص حياة الكويتيين وثروتهم . ثم ما زال بطل الرواية بعــد أن ربحت صفقته في هذا المنع ينوع الكذب عليهم ولا يألو جهدا في أذيتهم.

صرح اذ ذاك في مجلس ضم الامير الشيخ احمد آل جابر (الحاكم الحالي) وهلال المطيري وناصر آل بدر وابراهيم بن مضيف بقوله : الواجب المؤكد أن تخص تلك التكاليف بتجار اللؤلؤ دون سواهم . فاه بهـذا القول الجائر الذي اربدت منه وجوه القوم ، سيما هلال فاسمع الرجل من الكلام الحاد الخشن ما زاد التهابه وحقده عليه وعلى اخوانه حتى صمم على تضحية الصدق والشرف في مذبح الانتقام . علم بعزم هلال واصحابه على الشخوص الى مبارك في (السرة) لمفاوضته بأمر الغواصين ، فطير اليه رسالة طرزها بالكذب ، وحشاها بالزور وقد وصلت الرسالة الى مبارك قبل وصولهم اليه فتركت قلبه يغلي من الحنق ويضرب اسداساً بأخماس من التأثر . وبينما هو كذلك واذا بهم قد أقبلوا وفي مقدمتهم هلال ، فقال مبارك لأحد خدامه بعد ان جلسوا : «هات ماء بارداً لهم ليطفئوا به حرارة عطشهم.» قال هذا متهكماً بهم وبحركتهم التي قاموا بها، وقد فهم القوم تغيره لا من كلامه وحسب ، بل من وجهه المربد ومن حركاته المضطربة وارتعاشه المتوالي . لهذا لم يروا مفاتحته فيما جاءوا لأجله خوفاً من تعقد الأمر وزيادة إشكاله ، بل رأوا ازالة ماعلق بذهنه ان يعرضوا عليه استعدادهم لاستبدال الرجال بسواهم إن كانوا غير صالحين للقتال . ولكن مباركاً عندما حاولوا فتح هذا الباب أوصده أمامهم وابتدأهم بالبحث فيما حدا بهم للمثول بين يديه . فقال بعد كلام طويل : «إنكم ارغيتم وأزبدتم من منعي للغواصين هذا العام وانا في الحقيقة ما تظاهرت في المنع إلا لمصلحتي ومصلحتكم معاً . انتم تعلمون ان العدو امامكم وعلى ابواب مدينتكم .ونحن في حاجة الى ان نظهر امامه بمظهر القوي النشيط ، ولا ريب ان شهرة المنع تزيدكم قوة في عينيه ويترك فرائصه ترتعد من الخوف والفرق .» وبذلك قنعوا ثم رجعوا من حيث أتوا . وقد تظاهروا بالرضا والاستحسان لما فاه به، رجعوا ولم يصبهم من قنابل غضبه إلا شظايا لاقيمة لها . وقد ساءت سلامتهم ذلك الواشي وكدرته نجاتهم من قنابله المهلكة التي رماها في طريقهم فطفق يبحث عن طرق أخرى ليلقي بها عليهم ويخمد انفاسهم ويولجهم في ظلمات الرموس. فقال يوماً أمام مبارك وقد احاط به ثلة من اولئك التجار الكويتيين :

أطال الله عمرك قد نصحوا فيا أمرت الا ثلاثة : هلال المطيري ، وشملان بن علي ، وابراهيم بن مضيف ، وهلال أعظم الثلاثة عناداً واكثرهم جرماًفحرك بهذا الافتراء ساكن غضب مبارك عليهم حتى اعتزم على رميهم بما يزعجهم في مجلسه العام ففي يوم وقد اجتمع الثلاثة ينتظرونه في ذلك المجلس ،على عادتهم أرسل اليهم من يأمرهم بانتظاره هناك وعـدم مغادرتهم المجلس قبل مجيئه . فأحس شملان اذ ذاك بالشر وشم من هذا الامر رائحة الانتقـام ، فاشار على صاحبيه بالانصراف قبل وقوع ما يحذرون ولكنهما لم يسمعا لنصحه ولا قبلا مشورته فانصرف هو وحده فتركهما في انتظار مبارك الذي امطرهما بعد أن جاء، بوابل منغضبه مما هرى اللحم وأوهى العظم وكان من جملة ماقاله لهلال: « لاينبغي لمثلك ان يرفع أنفه أو يتظاهر بالعظمة والكبرياء وأنت من أحد أجلاف مطير ، واحد أسافلهم ، من سقطهم وجئت الى الكويت فقيراً لاتملك قطيراً فأقمت فيها تحت ظلنا وأنخت في حمانا وحمايتنـا حتى كنت الآن اكبر المثرين فيجدر بك وهذه ترجمتك ان تزور بجانبك عن الطـاعة والخضوع . » ثم التفت الى ابراهيم صاحبه . واسمعه قريباً من ذلك . وكان من بعض ما وجهه اليه أن قال : « لا تظن انك من رؤوس بني هاجر وأعاليهم بل أنت من اراذلهموأذنابهم الساقطين ، ألا تعلم بان اباك سابقاً كان خادماً عند عليبن سيف » ثم اتبـع هذا بالتهديد الشديد والوعيد الاكيد .

وأما شملان فقد رجع الى المجلس ولكن بعد أن نفث مبارك سمه وبعدأن سكنت عاصفة غضبه ، فلم يسمعه اذ ذاك ما يكره ، ثم تركوا المجلس جميعا وفرائصهم ترتعد من الخوف ، تفرقوا وقد قبضوا أرواحهم بأيديهم . غادروا المجلس ، وهم يلتفتون خلفهم يتسمعون النداء . غادروه ثم تمالأوا على الهجرة الى حيث يأمنون على انفسهم واموالهم من مبارك الظالم المستبد ، والغشوم الجائر . تمالأوا على ذلك ولم يطلعوا أحدا من إخوانهم . غير أن شملان قال لصاحبيه بعدما عقدوا العزم: «اننا سنهاجر من بلدنا، ونهجر اخواننا واصحابنا. فاذا ما ندم مبارك فيما بعد على هفوته واعترف بذنبه وجاء اليـنـــا معتذرا

فلا يسعنا هنا إلا إجابته لان لنا في الكويت أقـــارب وأموالا واصدقاء »
فاستحسنوا ما قال . فسافروا الى الغوص في ذلك العام وقد تعـاهدوا على
ما سمعت . غير أن شملان رجع الى الكويت لأخذ بعض المهات وعـــاد في
الحال . وفي نهاية الغوص أظهروا عزمهم لإخوانهم الغواصين وافسحوا المجال
لمن يستأخر منهم فبقي بعض ورجع آخرون . ذهب هلال وابن مضيف الى
البحرين وبقي شملان ومن تبعه في (جنة) .

فجاءت الأخبار الى مبارك بما قام به هؤلاء فعلم بغلطه الذي وقع منه وعلم
بخبث المتسبب فيما جرى وغشه فندم على ما فرط منه وأسف أسفـــا كبيرا
ولماذا لا يأسف ويندم وهؤلاء المهاجرون يكونون نصف الكويت هم واتباعهم ؟

ندم مبارك على هجرة القوم والطرق التي سلكها لارضائهم

استعمل مبارك طرقا شتى لارضائهم فألـّف اولا وفدا من ناصر البـــدر
وحسين بن علي وفارس الوقيان وأصحبهم برسالة تتضمن الاعتذار لهم ويحثهم
فيها على الرجوع إلى وطنهم وتناسي الخطأ الذي وقع منه . فلم يلبوا دعاءه
ولم يرجعوا كما أراد لأنهم لم يروا الوفد والكتاب كافيين لتنازلهم فبقوا هناك
ينتظرون ما يأتي به الغد .

أما مبارك فجهز وفدا ثانيا مؤلفا من سالم ابنه ومن حسين بن علي فساروا
بمركب بخاري الى (جنة) حيث شملان وراشد ابو رسلي واحمد المنـــاعي
واخوانه وسعد أخو ناهض وصالح المسباح وقد أظهر سالم بعد أن اجتمع بهم
شديد تأثره بما حصل وترجى من الكل غض النظر عما مضى فأظهروا الاقتناع
بما قال إلا شملان فانه لم ير البت الا بعد استطلاع رأي صاحبيه وقـد حبذ
سالم رأيه وسار هو واياه وحسينا لمقابلتهما في البحرين وهناك عرض سالم على
هلال المهمة التي جاء لاجلها فقال لا بأس ولكن أحب ان يكون ذلك بحضور
(الشيخ عيسى آل خليفة) ولما اجتمعوا بالشيخ المذكور قال هلال لا أرجع
الا بعد أن يتعهد لي الشيخ عيسى بأن لا يجري علي اعتـــداء في الكويت

من أحد . اما الشيخ عيسى فأعطاه ما طلب بعد ان علم برضاء سالم بذلك . ولكن هلالاً وقد ربح تلك الصفقة زاد طمعه فقال لسالم: « وعلى شرط أن من يرشني بماء ترشونه بدم.» فارتبك سالم في الجواب لان الطلب جائر وتفرقوا على لا شيء ، الا أن سالما أوقف الامر على رضاء ابيه وقال لهلال اني ذاهب الى الكويت وسأعرض اقتراحك على والدي فاذا ما قبله بادرت بالكتابة اليك فاعتزم سالم على العودة ببقية المهاجرين أما شملان فلم يصمم على مرافقتهم إلا بعد أن عرف رضاء صاحبه بسفره دونه .

وصلوا إلى الكويت وشرح سالم لأبيه ما جرى فلامه اللوم الشديد على توقفه وعلى عدم البت فيما طلب وفي الحال أمره ان يكتب اليه بقبول ما شرط غير أنه في تلك الآونة جاء كتاب من هلال إلى (جابر) يعتب فيه على أبيه مبارك لانخداعه بمدح أو ذم خدامه واصفائه لما يقولون فيه.أيضا هبته جميع ما يملك في الكويت من ابل وغنم ونخل لجابر فأساء مباركا ذلك الكتاب واضطره الى أن يتحول عن عزمه فمنع سالما مما أمره به وقد خيل لهلال ان لا مقر له في الكويت بعد هذا وانه لا يحسن به سكناها وقد صدر منه ما صدر فاستقدم أهله منها الى البحرين ولم يبد مبارك أقل تمنع في سفرهم ولكن شملان تلطف بتخطئة مبارك في عمله بالمرة الثانية وقال له ان وجود هلال في البحرين فيه ضرر عليك وعلى بلدك فان البلد تنتفع من ثروته بما لا يقل عن خمسين الفا من الروبيات يبذلها للفقراء والمحتاجين زيادة على ذلك فبقاؤه هناك يكون مركزا لمن يريد الهجرة اليه من أهل الكويت فالرأي ان لا تفرط فيه مهما كانت الحال .

مبارك يسافر الى البحرين لارضاء هلال

علم مبارك أن نظر شملان صائب فعزم على التساهل مع المهاجر وعلى أن يرجعه الى بلده مهما حمله من تنازل فقال لشملان ما مضى فات وسأبحث فيما بعد في حل مرض ـ وأخيرا رأى انه لا يتم له ما يحاول إلا بسفره الى البحرين بنفسه فسافر في مركبة مشرف إليها بعد أن سافر الغواصون . وقداصطحب

معه شملان وابراهيم بن مضيف غير أنه تظاهر بعزمه على زيارة الشيخ عيسى آل خليفة . سار الى البحرين كما أراد وعندما ارسى في مينائها خفّ للسلام عليه حكام البحرين والوجهاء. ثم أوعز بعد هذا الى شملان وابراهيم بن مضيف أن يجسا نبض هلال ليقفا على رغبته في الرجوع . اما هما فلم يجدا بعد البحث عقبات إلا طلبه أن يرضيه مبارك نفسه أمام حاكم البحرين . وقد استسهل مبارك هذا الطلب ، فأرضاه بعد أن اجتمع به عند الشيخ عيسى وأبنائه حمد ومحمد وعبد الله وبعض أكابر الكويت . ارضاه بعد ان تشفع بالحاضرين في رجوعه الى وطنه وانه هناك لا يقابل الا بالتجلة والاحترام وبذلك أضاع مبارك على هلال ما عزم عليه من شروط وتحفظات .

مبارك يتخوف على كاظمة من الاتراك

حوالي سنة ١٣٢٩

تناقل الناس أخباراً في الكويت ان الاتراك اتفقوا مع الالمان على ايصال سكة الحديد البغدادية إلى كاظمة فاضطرب مبارك من تلك الاشاعة وخشي ان تتغافل انكلترا عنها كما تغافلت عن بوبيان واخواتها فشرح لها الامر واظهر ما يكنه ضميره من التطير والاضطراب وطلب منها اتقاء لما كان يخافه احد ثلاثة امور : اما ان تستأجر كاظمة منه لتحميها وتحمي ما حواليها من الأراضي ، واما أن تأذن له بتأجيرها على من يشاء من الحكومات ، واما ان تعطيه صكاً بحمايتها من جميع الدول بما فيهم الاتراك . وقدم بذلك كتاباً إلى شكسبير قنصلها في الكويت بتاريخ ربيع ٢ سنة ١٣٢٩ .

أما هي فقد أجابته على لسان رئيس الخليج العربي بتأمينه على الكويت وعلى حدودها التي تدخل في ضمنها كاظمة وانها ستقوم بحماية ذلك كله ما دام مبارك محافظاً على شروط المعاهدة وقد عجبت من اضطرابه ومن تصديقه بتلك الاشاعة فأجابها بأنه لم يرتب في نصح الحكومة ولا في قيامها بالواجب معه ولكن الذي دفعه الى هذا التخوف الأسئلة التي توجه اليه من أهل الكويت بعد ان قرأوا في الجرائد ما قرأوا من امر الاتفاق .

ابن سعود يهم بغزو سعدون وعربانه

في جمادى ٢ سنة ١٣٢٩ بلغ الحكومة العثمانية عزم ابن سعود على غزو عربان الشمال فاستفهم يوسف باشا وكيل والي بغداد من مبارك عما أشيع فكتب مبارك اليه ينبئه ان ابن سعود كان عازماً على غزو (ولدي سعدون) فمنعته عنه وعن جميع عربان الحكومة الملية وقد اطاع لما اردت وذهب الى اطراف الزبير وهناك اجتمع برجال من الحكومة العثمانية ودارت بينهما ابحاث استنار بها الفريقان .

اعانة مبارك لحريق الآستانة

حصل حريق هائل في الآستانة ، احدث اضراراً عظيمة . وترك الالوف بلا مأوى ولا سكن فكتب والي البصرة حسين جلال بك في شعبان سنة ١٣٢٩ ، الى مبارك يستعطفه بالمساعدة لاخوانه المنكوبين وقد اجاب مبارك الاستعطاف وقدم خمسة آلاف ٥٠٠٠ ليرة بواسطة المرحوم سعود الخالد الخضير في البصرة .

وسام من الحكومة العثمانية لمبارك

الذي يظهر لنا ان هذه الإعانة من مبارك تركت الحكومة تعطف عليه فقد ورد اليه كتاب من والي البصرة حسن رضا باشا في ذي القعدة سنة ١٣٢٩ يخبره فيه بانعام الحكومة السنية عليه بالوسام المجيدي ، من الدرجة الاولى ، وفي ١٥ صفر سنة ١٣٣٠ وصل الوفد الذي يحمل الوسام الكويت يرأسه العلامة الاستاذ عبد الملك الشوان مفتي البصرة . وفي يوم وصوله اقيم له احتفال بهيج بين القصرين على ساحل البحر .

اعانة مبارك لطرابلس الغرب

وقد قدم مبارك ايضاً ثلاثة آلاف ليرة ٣٠٠٠ عثمانية اعانة للحكومة في حرب طرابلس الغرب ، واصحبها بكتاب إلى حسن رضا باشا والي

البصرة الذي استعطف مباركاً في تلك الاعانة بتاريخ ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٥ . وهو يتضمن تعلقه بأذيال الدولة وتمنيه من صميم قلبه ان يكون لها الفوز على اعدائها وقال بأنه لا يدخر وسعاً في معاضدتها وان لديه ما لا يقل عن ستين الف مقاتل مـــا بين فارس وهجان بما فيهم ابن سعود واهل نجد وقبيلة عنزة وقد ورد اليه كتاب من الوالي المذكور بوصول مـــا تفضل به بتاريخ ٢٦ صفر سنة ١٣٣٠ وقال بأن نصفها صرف للمجـــاهدين والآخر للأسطول العثماني .

أهل الجبيل ومبارك

الجبيـــل بلدة حديثة العهد على ساحل الخليج العربي جنوب الكويت وكان أهلها من الساكنين قطر ولكنهم نزحوا عنها لاضطهاد حكامها إياهم . وقد جاءوا أولاً الى مبارك في الكويت وطلبوا أن يكونوا تحت حمايته خارج البلدة . أما هو فأجابهم وعين لهم سكن إحدى قرى الكويت ونظراً لأنهم يريدون الاستقلال بالحكم والابتعاد عن الاستعباد، فقد رفضوا اقتراحه وتركوه وبلده الى ان القوا عصا التسيار في الأرض التي اسسوا فيها الجبيل البلد المعروفة اليوم تحت حماية الحكومة العثمانية اذ ذاك .

أما مبارك فقد علم بخطئه في إفلاتهم من يده .وعلم بأهمية البلد التي اسسوها وعلم انها اذا ما اتسعت ستزاحم الكويت في تجارتها . وربما قضت عليها ، فود اذ ذاك لو يجعلها قاعاً صفصفا ، ويعدمها الحياة ، وهناك شرع في بعض الوسائل التي ستضيق عليهم الفضاء وتضطرهم الى تركها ، فأوعز الى بني خالد يهددونهم ويخيفونهم في بلدهم . ولكن من طرف خفي وقد أبلغ أهل الجبيل الأمر الى حسن رضا باشا في البصرة فاحتج في شعبان سنة ١٣٣٠ على ما قام به مبارك ، وعلى اعتدائه فأنكر مبارك أن يكون له في تلك الحركة يد . وقال عن اسباب تلك الاشاعة : انه ارسل علي آل خليفة آل الصبـاح مع قوة لتأديب العجمان واسترداد ما أخذوه من أهل الكويت . فانضمت اليه طائفة من بني خالد فتوهم أهل الجبيل انهم المقصودون بتلك الغـارة فطاروا

بالخبر قبل ان يتثبتوا ، ثم كيف يعقل ان أعتدي عليهم وهم كانوا من المتعلقين بي وكانوا يراجعونني في بعض شئونهم وهم في قطر . هذا ما كان يقوله مبارك والقارىء النبيه الفطن لاتخفى عليه الحقيقة في ذلك .

قتل سيف آل الرومي

في سنة ١٣٣٠ سافر سيف الى مغاصات اللؤلؤ للاتجار وكان جل بحارته من الصومال الانكليزي وقد حدا بهم طمعهم الى قتل الرجل والفرار بسفينته الى (الجنة) من حد ايران واخذ ما فيها من دراهم ولؤلؤ .

أما مبارك فقد خابر شكسبير قنصل انكلترا في الكويت بتلك الفاجعة التي اعتبرها من أعظم المصائب عليه . فكانت النتيجة اشتراك الاثنين بارسال رجال يتعقبون الاشقياء على رأسهم صاحبنا الحر الفاضل عيسى القطامي ، واصحبهم القنصل بكتاب الى معتمد الحكومة في الجنة . وقد سار بعضهم في مركب بخاري وبقيتهم في سفينة شراعية فادركوهم في كلات وقبضوا عليهم وعلى الاموال التي اغتصبوها ثم ساقوهم الى الكويت . وفي صفر سنة ١٣٣١ أمر مبارك بقتلهم رمياً بالرصاص في (صفاة) الكويت على رؤوس الاشهاد .

زيارة هاردنك حاكم الهند للكويت

اشتعلت الحرب العامة ودخل الاتراك معمعتها وجرى ماجرى من احتلال الانكليز البصرة واخراجهم الحكومة العثمانية منها . فأرادت انكلترا اذ ذاك أن تجس نبض أمراء العرب وتعرف أهواءهم في تلك الحرب العالمية الكبرى . وما يضمرونه لها من جرائها . حتى إذا ما وجدت منهم ميلا إليها جمعت كلمتهم تحت من تراه من المجاهدين لها والناصحين في خدمتها ومن كان له الاثر الظاهر في معاضدتها أرادت ذلك فضربت موعدا لاجتماع ابن سعود وخزعل خان وحاكم البحرين .. وسلطان مسقط في ضيافة مبارك بمدينة الكويت لتوسطها وأهميتها .

ضرب الموعد هناك وقرر ان الذي سيتولى الرئاسة فيه هاردنك حاكم

الهند وفي يوم الأحد ١٥ ربيع اول سنة ١٣٣٣ وصل هاردنك الكويت فقابله الشيخ جابر والسير برسي كوكس الذي جاء من البصرة لملاقاته ، والكولونيل (اقرى) القنصل الانكليزي في الكويت على ظهر الباخرة .

اما الشيخ مبارك فلم يذهب اليه هنـــاك إلا يوم الاثنين ثم نزل الحاكم المدينة بعد الظهر من ذلك اليوم لإعادة الزيارة على مبارك ولم يحضر من الامراء في الكويت اذ ذاك الا سمو الشيخ حمد بن الشيخ عيسى آل خليفة حاكم البحرين . اما ابن سعود فمنعته عن الحضور واقعة أجراب التي وقعت بينه وبين ابن الرشيد ، وصدت خزعلا وتيموراً ثورات رعاياهما التي كانت قائمة إذ ذاك فأجل الحاكم البحث إلى وقت آخر مناسب . غير أنه لم يشأ ان ينفض هذا الاجتماع من غير استفـادة منه فأراد ان يذكر مباركاً بفضل الحكومة عليه وعلى رعيته وبما نالته من الامن والراحة اثناء الحرب وتمتعهـا بالارباح الطائلة دون سواها . اراد ذلك لعل مباركاً ينقاد ويطيع الحكومة اذا مـا حاولت منه مأرباً ، ومآربها فيه وفي بلده كثيرة وقد أحس مبارك بما يجول في خاطره وتفرس بما سيقوله له ، فود ان يكون هو البادىء بالحديث ليسد أمامه الباب الذي يريد فتحه وبعد جدال بين الاثنين سمح الحـاكم ان يقول مبارك كلمته الوجيزة وهي بيت من الشعر :

المستجير بعمر عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

أراد مبارك بهذا البيت أننا لم نجف الاتراك وقد جمعتنـا واياهم جامعة الدين القوية الا لطمعهم فينا وقد اخترنا المعاهدة مع انكلترا لتصد بعدلهـا وانصافها الاعتداء عنا ، غير ان ما يبديه بعض معتمديها من الطمع فينا وفي بلدنا يكاد يحقق فينا معنى هذا البيت الجاهلي.. واننـــا لم نفر من الرمضاء (اي الاتراك) الا الى النار (اي الانكليز) وقد فهم الحاكم ما يرمي اليه مبارك فقال : « لا يا حضرة الامير ليس للحكومة طمع فيك ولا في بلدك ولم تأت الا لصد المعتدي عليكم واذا بدا من احد معتمديها شيء تكرهه فما عليك ألا ان ترفع الامر اليها وهي ستنصفك » .

عصيان الكويتيين مباركاً

في ربيع الثاني سنة ١٣٣٣ بعد احتلال الانكليز البصرة ثار الثائرون على خزعل خان وأعلنوا عليه الجهاد لشده ازر المقاتلين للحكومة العثمانية



الشيخ خزعل

وكان مع الثائرين شلة من الاتراك فاشتعلت نار الثورة ودامت مدة خشي خزعل من شرها ولم يفت مباركاً ما كان يخافه ويخشاه فأراد ان يمده بجند من الكويتيين يشد ساعده بهم . ولكن الكويتيين وقد علموا انهم سيقاتلون إخوانهم اظهروا العصيان وجاهروا بالامتناع سيما والعلامة المحدث الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ[1] وهبه المصري اذ ذاك كانا يطوفان المجالس

(١) الشيخ حافظ هذا هو الذي نذكره في سلك المصلحين من الغرباء الذين احيوا الكويت بتعليمهم وافكارهم وهو والحق يقال من الرجال الفضلاء الذين جمعوا مع العلم الواسع ، الاخلاق النقية ، وقد استدعاه اخيراً عظمة سلطان نجد اليه فلبى واجاب وبقي عنده الى هذا اليوم وقد استفاد من مواهبه العالية فرائد شعر بها حتى البعيد .

ويغشيان الاندية لتحذير الناس من الطـــاعة وان من انقاد فقد يحكم عليه بالارتداد عن الدين . فأثار ما قالاه الحماس في النفوس حتى صمم القوم على الاباء مهما كان في الامر من شدة ومهـما نزل بهم من بلاء . وذهبوا إلى جابر وقد تأبطوا مسدساتهم فقالوا له عندما امرهم بالمسير لا نسمع ولا نطيـع . فقال جابر لماذا ؟ فقالوا لان الطاعة في هذا الأمر معصيـة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.» فبهت جابر من مفاجأتهم بذلك وحق له ان يبهت فانها هي الفذة في الكويت ولم يجر فيها اختها منذ تأسست . وقد اخلد جابر الى السكوت غير انه بادر بإخبار ابيه في الفيليه بما جرى وهناك ساور مباركاً غضب شديد كاد يتميز منه سيما على ما ظنهم مدبري العصيان من الرؤساء . فشرع يتوعدهم بمـا يقض عليهم المضاجع ويعكر عليهم الصفو . وقد حاول الرؤساء بعد أن بلغهم غضبه اقناع الناس بمـا يراد منهم فما قنعوا ولا رضوا فاضطروا اذ ذاك الى ان يذهبوا بأنفسهم لعرض الطاعة عليه وازالة مـــا علق في ذهنه ، ولكنهم وقد اجتمعوا به في الفيليه اسمعهم من التأنيب القارص واللوم الشديد مـــا أطار النوم من أعينهم وزهدهم في انفسهم . ولكنه من جهة أخرى خامره شيء من الخوف للحماس الذي انتشرت جذوته بين أحياء الكويت . والذي لم يعهد له نظير في أيامه كلها فغير لهجته أمامهم وقال : «أنا لم أرد رجالاًلقتال وانما طلبت سفناً لنقل أثاث أخي خزعل وأمواله وعائلته إلى الكويت اذا احتاجوا الى ذلك فارجعوا إلى الكويت وبادروا بإرسال مـــا أريد فرجعوا وقد وقعوا بين أمرين عظيمين: ارضاء العامة بسخط مبارك أو ارضائه بسخطهم وهما خطتا خسف يصعب عليهم التخلص منها واخيراً اهتـــدوا إلى امر خدروا به الاعصاب وأطفأوا النار المتأججة قالوا ان مباركاً بل الثرى بدموعـه رحمة بالكويتيين وقال ان أهل الكويت اولادي أود لهم من الخير ما أود لنفسي واني آسف على ما أصابهم من الانزعاج وما حصل لهم من الاضطراب فخدعوا بقولهم هذا الكثيرين حتى تمكنوا من تجهيز ١٨٠ رجـــلا في ست سفن شراعية ...

مبارك والعالمان الفاضلان الشنقيطي وحافظ

رجع مبارك الى الكويت بعد أن وصلت اليه النجدة وقد أحاط خبرا بكل ما جرى فاستدعى العلامة المحدث الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ وهبه المصري الى قصره وقد كان هنالك القنصل الانكليزي في الكويت . استدعاهما ليقرعهما على ما قاما به أثناء تلك الحركة فقال بعد أن حضرا بين يديه: «من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ثم أردف ذلك بقوله أنا مسلم عثماني أغـــار على ديني وعلى دولتي ولا أحب من يتعرض لهما بسوء غير أني اتفقت مع الانكليز على أمر فيه نفع لي ولبلدي ،ولهذا لا أرضى بالطعن فيهم وان كنت لا أحبهم وديني غير دينهم . ثم قال بعد هذا مخاطبا الاثنين أنه قد ورد لي كتاب بأنكما وثالثامعكما اسمه عثمان العازم من أثاروا الناس في الكويت وحرضوهم على العصيان ضدي والكويت بلدي وأنا الحاكم فيها والذي ينازعني فيها فليس له عندي الا القتل فقال الشنقيطي : ان من أخبرك فقد أخطـأ ولم يتحر الحقيقة .

مبارك : لا بل هو صادق فيما قال .

– من هو الرجل الثالث الذي ذكر لك في الكتاب .

– لا أعرفه ولكني سأبحث عنه حتى أعرفه .

– هذا أدل شيء على كذب الخبر فانه لا يعقل أن يوجد في الكويت من يؤخذ برأيه ويسمع لقوله وأنت لا تعرفه وأمر البلد وأهلها راجع اليك وقد علمت بكل ما يجري فيها من صغير وكبير . وأما أنا فلم أسمع بشيء مما نسب الي، أنا أحد طلبة العلم وظيفتي الوعظ والارشاد والتربية والتعليم.

هذه الوظيفة عـــالية لا لوم عليك فيهـا وهنا التفت الى الشيخ حافظ فقال له « ان أبناء المدارس في الكويت يجهرون في الشوارع والأسواق بسب الانكليزي ومدح الألمان، ولا ريب أنهم لصغرهم لا يعرفون الا ما يلقنهم معلمهم فصاحب المثل يقول خذ رأي القوم من أسفهها » .

حافظ - انا لم اعلمهم شيئاً من هذا القبيل ولم القنهم من امور السياسة ولا كلمة واحدة ومع هذا فسأزجرهم عما يقولون وفي النهاية أمرهما مبارك بمغادرة المجلس وانتظاره في احدى حجر القصر ثم جرى بين مبارك والقنصل ما يأتي :

مبارك — اسمعت ما قاله الرجلان من الاعذار .

القنصل — نعم سمعته . الذي يظهر لي ان المصري مقتنع وأنه صادق فيما قال واما صاحبه فأنا من صدقه في ارتياب .

— ماذا ترى اذاً ؟

— بعد ثلاثة أيام سأعلمك برأيي ثم بعد هذا ارسل مبارك كاتبه الخاص الفاضل ملا صالح ليأذن للاثنين بالانصراف ويضرب للشنقيطي وحده موعدا بعد ثلاثة ايام فبلغ الكاتب الفاضل الاثنين ما أمربه ولكن الاستاذ الشنقيطي ارتاب من هذا البلاغ وخشي ان يكون وراءه مكيدة فرأى الحزم يقضي عليه بأخذ الحيطة لئلا يقع في الشبكة فاختفى عن العيون وهو يتسمع مايجري من الاخبار الى أن اقبل في اليوم الثالث مركب من البصرة فيه رجال من العشارة فقبضت عليهم الحكومة فبعث مبارك بأحد خدامه يبحث عن الاستاذ ولكن الخادم لم يستقص في التفتيش ولعله كان بأمر من سيده الذي لم يشأ ان يشارك المعتمد في الامر ومهما يكن فان الاستاذ علم مما جرى صدق ما اشيع عن دائرة القنصل من عزمها على القبض عليه فنأى بجانبه عن محيط الكويت وزم مطاياه الى الزبير وحضر هناك واقعة الشعيبة المشهورة .

مبارك ومدبرو حركة العصيان

ان مباركاً أثار تلك الزوبعة حول هذين الفاضلين تمهيداً لما سيفاجىء به مدبري العصيان من الكويتيين ، فبعد أن انتهى مما قصصناه عليك استدعى من كان له يد في تلك الحركة فأسمعهم من التهكم ما ضيق عليهم الفضاء الواسع ومن السخرية ما عرفوا ان ليس في استطاعتهم الوقوف امام تياره الجارف .

واتبع هذا كله بضريبة فادحة لولا تشفعهم ببعض المقربين اليه لقاموا بحملها صاغرين وصمم مع هذا على معاكستهم والتنكيل بهم فاطلق من السجن كل من لهم عليه حق وضيق مجال الشكوى على من لهم عليه شيء من الحقوق بمقدار ما أفسحه لسواهم .

مبارك وخزعل علي

كان الكويتيون الذين يسافرون الى العراق ، او الى هنديان ومعشور في السفن الشراعية عرضة لاعتداء اللصوص ، ولإنزال البلاء بهم تقتيلا ونهبا . ومضى وقت ليس بالقصير وهم يئنون من تلك الفظائع ، ويتوجعون وكان مبارك يتقلب لما يصابون به على شوك القتاد . وعلى أحر من الجمر ولكن ماذا يصنع بمن ينهب الأموال والارواح ، ثم يهرب الى حيث لايبصره المبصرون ؟ أعيت مباركاً الحيل في دفع هذا الشر المريع . فرأى أخيراً أن أحسن وسيلة تدفع شبحه المخيف في هوة العدم والنسيان ، إحكام الولاء مع الشيخ خزعل خان لما له من السلطة التامة عليهم وعلى من يلوذ بهم ، ولما له من القوة على صد اعتدائهم ، فأسرع الى مصافحته ، وعقد الصحبة معه سنة ١٣٢٠ في أثر حادثة الحاج حمد المنيس التي سيأتينا الكلام عليها .

وبذلك زال عن الكويتيين ما كانوا يحذرونه وشرعوا يجنون ثمرة الاتحاد اليانعة وبذلك كان الاثنان كالاخوين الشقيقين لايألو أحدهما جهداً في حماية صاحبه والذود عن حوضه والسعي وراء مصلحته . بنى خزعل قصراً لأخيه في الفيليه يقيم فيه اذا ما أمها لبعض مهماته فبنى له أخوه مبارك قصراًبجانب قصره في الكويت بل وافسح له المجال في بناء قصر آخرفخمخارجها،الى غير ذلك مما يدل على قوة الاتحاد بين الاثنين وتفاني بعضهما في منفعة صاحبه .

مبارك وابن سعود

كان مبارك من الدهاء بحيث يرسل نظرة الى البعيد كما يرسلهاالى القريب . ويحسب لصديقه اعظم ما يحسب لعدوه ، ويحذر من الاول أشد من الثاني على

حد قول الشاعر :

احـــذر عـــدوك مرة واحذر صديقك الف مره
فلربمـــا انقلب الصديق فـكان أعلم بالمضره

كان يعلم ان ابن سعود اذا ما تم له مايريد في نجد انه سيشرع بتوسيع نفوذه وسلطانه واستئصال شأفة من يقف في وجهه ولو كان مباركـاً صديقه وحميمه . كان يعلم هـذا منه لان طبيعة الملك تقتضيه واطماع الملوك الكبار لاتخرج عن دائرته ومبارك يعلم ان صاحبه واحد من اولئك لافراسة وحدسا، بل عشرة واختباراً غير أنه لم يبح بشيء مما كان يخالج ضميره اذ ذاك لانـه كان في حاجة كبرى اليه والى تأليفه . إلا انه قد جعله نصب عينيه وأخذ يراقب حركاته عن كثب . وقد مضى ردح من الزمن وظاهر الاخـاء ضارب اطنابه بينهما فابن سعود لايلقبه إلا بأبيه الكبير . ومبارك لاينعته إلا بابنه البار . ولكن في أخريات الأيام تجهم وجه الاخاء وتكدر صفو السلم واخذت الألسنة تقذف حممها وتخرج الضمائر مـاتكنه وتخفيه حتى كاد الامر يفضي الى حرب بين الاثنين لولا معاجلة المنية مباركاً .

اسباب التغير بين مبارك وابن سعود

لأسباب عديدة حصل هذا الانقلاب العظيم بين الأميرين وقد يجهل تلك الاسباب كثير من أهل الكويت ، ويودون الاطلاع عليها والوقوف على حقيقتها فإنجازاً لرغبتهم سأجلوها عليهم هنا ، وان كنت ارى السبب الحقيقي هو خوف كل منهما من استفحال امر صاحبه او طمعه فيه واتخذ هاتيك الاسباب ذريعة لتبرير عدائه . اما البادىء بالعداء منهما والذي يستحق اللوم في ذلك قبل صاحبه فهو مبارك عند انصار ابن سعود . وابن سعود عند اتباع مبارك وبيد كل من الفريقين براهين يحتج بهـــا على خصومه . اما انا فسأورد ماقاله الفريقان هنا كله خدمة للحقيقة التي انشدها . تاركاً الميل والتشيع الى أحد الحزبين جانباً وتاركاً المجال الواسع للقارىء في النقد والتقريظ .

ما يقوله انصار ابن سعود

يقول هؤلاء ان مباركا هو المبتدىء بالعداء وذلك لأنه عقد اتفاقا مع خصم ابن سعود اللدود عبد العزيز الرشيد في شوال سنة ١٣٢٣ على يد خـالد باشا العون في زيارته للكويت تلك السنة . وكان من جملة مواد الاتفاق ان مباركا يلازم الحياد فيما يدور بينه وبين ابن سعود من الحروب . ويتبنى في ذلـك الاتفاق فوز ابن الرشيد وانتصاره على عدوه وتلا هـذا ان مباركا كتب الى ابن الرشيد يحرضه على غزو ابن سعود وأفهم اهل نجد بتخليه عن نصرته. وقد تبع هذا ايضا الدور الذي مثله مبارك في الوقت الذي تقرر فيه اجتماع الوفد التركي برئاسة السيد طالب باشا النقيب بابن سعود في الكويت للبحث معـه بشأن القطيف والأحساء بعد احتلال ابن سعود لهما فان مباركا عارض اولا في عقد المؤتمر في الكويت ثم اجتمع ثانيا بالوفد التركي وأخـذ يشرح له نبذا من أعمال ابن سعود المختلفة لمصالح الدولة وأبان له غلط الحكومة العثمانيـة في تقديرها قوة ابن سعود بأكثر مما تستحق ، وتأسف لكون الحكومة لم تفوض اليه عقد الصلح معه وقال لو أنها فوضت اليّ ذلك لاجبرتـه على الخروج من الاحساء والقطيف ثم أخذ بعد هذا الخداع يحذر ابن سعود ايضا من الاصغاء الى مطالب الوفد وقبول شروطه ويضعف قوة الحكومة العثمانية امامه [1] وكان آخر الادوار التي مثلها مبارك على مسرح المكر الدور الذي قام بـه في تجهيز ابنه سالم ومن معه من آل الصبـاح الى الاحساء نصرة لابن سعود على العجمان . فقد سيره بجيش عرمرم في رمضان سنة ١٣٣٣ وقال له اني لم ارسلك لقتال العجمان ولا نصرة حقيقية لابن سعود وأنا جهزتك صورة أمـام الناس ثم حذره أشد التحذير من الاشتباك مع العجمان في قتال . وقد علم ابن سعود

---

(١) يقال ان مباركا لم يمثل هذا الدور الا بدافع من انكلترا التي ترى اتفاق ابن سعود مع الاتراك ضررا على سياستها في الجزيرة وازهاقا لأملها بالاتفاق معه سيما وقد أخذ نفوذه يمتد الى قلب الجزيرة.

بذلك بل علم بلوم مبارك الشديد لسالم بعدما سار الى ساحة الوغى وبعدما اشتبك مع العجمان في بعض الوقائع فقد قال له في عتابه : قد نهيتك فلم تنته وحذرتك فلم تسمع . أنت لست تابعا لابن ولا هو بأفضل منك وأكبر فإياك إياك ان تعود لمثل ما عملت فمثل هذا التـلاعب يضطر ابن سعود الى التغير على مبارك .

هذا ما يقوله أنصار ابن سعود في الاعتذار عن إمامهم . وهذا ما يدلون به من الحجة على خصومهم أما المتحيزون إلى مبارك ، فمع كونهم يرون لديهم أجوبة مقنعة لمحاججيهم فانهم يعتقدون أيضاً أن بيدهم من البراهين ما تقوى بها عارضتهم في ميدان الجدال .

ما يقوله أنصار مبارك

يقول هؤلاء ان المبتدىء بالاعتداء في الحقيقة هو ابن سعود وذلك : أن ابن سعود ارسل مع احدى القوافل النجدية معتمدين لقبض الرسومات على الاموال التي تخرج معها من سوق الكويت . ولا ريب في ان هذا مجحف في حق الكويت واعتداء على سلطة مبارك فيها وكان هذا قبل اتفاق مبارك مع ابن الرشيد . ولعل هذه الحادثة هي التي حدت بمبارك الى ذلــك الاتفاق حيث علم منها بما كان يضمره ابن سعود له ولبـــلاده من هضم الحقوق والاستهانة بالواجبات : أن الحكومة الانـكليزية رغبت بالاجتماع بابن سعود في الكويت ، فكلفت مباركا بتبليغه الامر . وبعد أن بلغه أجاب : أخبر الحكومة بذلك فتعيّن الاجتماع في ٥ ربيع أول سنة ١٣٣٣ برئاسة هاردنك حـاكم الهند كما تقدم . وهناك أخذ مبارك يستحثه بالكتب والرسائل على الحضور ويحذره من أن يصده أي مانع سيما ابن الرشيد فان الاشتغال بمحاربته يرفعه في أعين الانـكليز والاتراك . ولكن مع هذا فقد وصل هاردنك في اليــوم الموعود ولم يصل ابن سعود لاشتغاله بخصمه ابن الرشيد في واقعة (اجراب) التي انخذل فيها امامه وقتل فيها (شكسبير) في ربيع اول سنـــة ١٣٣٣ فأحدث هذا تغيرا في نفس مبارك على ابن سعود وذلك (١) لخلفه الوعد .

(٢) لمخالفته نصيحته .

(٣) لانخذاله في تلك الواقعة . اضف الى هـذا الخجل الذي اعتراه امام انكلترا من خلف ابن سعود الوعد .

(٤) ان مباركا كتب اليه كتباً عديدة فيها الحض على ابن الرشيد [١] وعلى الحكومـة العثمانية التي تمسك بأذيالها ، ويقول فيها ان الحكومة ذاهبة لامحالة ، وان الغلب سيكون لخصومها الانكليز في ميدان الحرب ويخبره أيضاً بعزمه على الغارة على شمر بعد ان يأتي (سيف العتيقي) أحد رجاله الذين ارسلهم الى ابن الرشيد الى اسرار أخرى غير ذلك أمره ان لايفاتح بها احداً حتى اقرب قريب اليه ، وان يرميها في قعر الظلمة ، ولكن ابن سعود مع هذه الوصية الأكيدة ، تركها فيحقيبته مع أوراقه العادية ، فغنمها منه ابن الرشيد في حادثة (اجراب) وقد قرأها ابن الرشيد على سيف العتيقي في حائل بعد ذهابه اليه في المرة الثانية ، فاستشاط مبارك غيظاً لهـذا الأمر الذي لم يدر أهو تفريط من ابن سعود اوله من ورائه مآرب أخرى . ولم لايستشيط وقد سبب هذا انكشاف أسراره ، وحدا بابن الرشيد الى ان يأمر عربانه بالغارة على أطراف الكويت ، وقطع سبلها ، حتى قامت بعدة غارات واخذت قافلة خارجة من الكويت لأهل الزلفى .

(٥) ان مباركاً يدعي انه سمع من صاحب الدولة السيد طالب باشا النقيب نقلا عن ابن سعود انه قال : لايمكنني الاتفاق مع انكلترا الا بعد ان تسمح لي بقطر ومسقط وعُمان ، وبعد ان تراجع مباركاً إلى حدوده الاصلية .

(٦) ان ابن سعود شرح لابن مبارك واقعة (اجراب) على غير حقيقتها فقال بانتصاره على خصمه ابن الرشيد وبانخذاله امامه في الميدان . ثم اردف

---

(١) المراد به احد امراء آل الرشيد الذين تولوا بعد قتل عبدالعزيز آل الرشيد صاحب الاتفاق الذي تم بينه ومباركاً كما تقدم . وقد كان مبارك لدهائه يلبس لكل زمان لبوساً بل تراهوهو يحرض ابن الرشيد على ابن سعود ويحرض ابن سعود ايضاً في نفس ذلك الوقت على ابن الرشيد يمثل تلك الادوار تحت طي الخفاء . وهكذا كان يتلاعب مبارك بالرجال والابطال .

هذا طلبه من مبارك سلاحاً وخيلاً وإبلا. وقال ليس هذامن حاجةالىماطلبت، ولكن الغرض الذي أرمي اليه ان تكون لك الشهرة الطيبة والمعروف والجميل امام أهل نجد والا فالسلاح في (الرياض) صنـــاديق في وسعنا عد الجراد دون عدد الجنود ، وقد فهم مبارك من هذا ان ابن سعود يتغفله ويستبهله وانه أهل لان تنطلي عليه الحيل وتخفى عليه الحقائق ، بل شم منه رائحة انكاره فضله السابق الذي عرفه أهل نجد وسواهم . وقد حدا هذا كله بمبارك الى أن يوقفه على خطئه فيما قال برسائل بعث بها اليه شديدة اللهجة .

(٧) ان العجمان بعد حادثة الجراب أظهروا العصيـان على ابن سعود ، وكان هو إذ ذاك في نجد فود لو ينضم اليه الجيش الكويتي ليشتد بـه ساعده في الهجوم عليهم ، فترجى من مبارك ان يساعـــده بالجيش الذي كان يقوده الشيخ احمد آل جابر .. والشيخ علي آل خليفة وان يكون في انتظاره في موضع عينه هو . وقد أجابه مبارك ، وامر الجيش بأخذ الأهبة ، وانتظار ابن سعود بذلك الموضع ولكن ابن سعود مع هذا كله أخلف وعده وصارالى الاحساء تاركاً الجيش الكويتي وحده في تلك السباسب والقفارولم يفت مبارك الخطأ الذي ارتكبه ابن سعود في خلفه الوعد بل ولم يفته ايضـاً ان الغرض الذي حدا به الى الخلف،هو رغبته أخيراً في ان لايكون لمبارك يد في تأديب العجمان وانزال النعرة من رؤوسهم ، لئلا يتبين من ذلك ضعفه أمامهم ، وقوة مبارك الذي علم بما كان يضمره له .

(٨) ان الشيخ عبداللطيف آل عبدالرزاق[1] كان له اربعـة وعشرون

---

(١) هذا الفاضل الكريم هو أحـد رؤساء بيت آل عبد الرزاق في الكويت . وقد نزح اخيراً الى بمبي وقام فيهـا وعائلته وكان يتعـاطى هناك الاشتغـال باللؤلؤ وغيره . وهو اليوم من اعظم الملاجىء لتجار اللؤلؤ في بمبي وقد حصل على ثروة طائلة وشهرة حسنة وهو من الرجال الفضلاء الكبار الذين يعتمد عليهم في المهمات . تولى رئاسة النادي الذي اسس في بمبي بسعي الاستاذ الكبير الزعيم التونسي الشيخ عبدالعزيز الثعلبي وقد سمعت من هذا الاستاذ الفذ المدح العاطر . والثناء الجميل على هذا الكريم المفضال وسمعته يقول ان له يداً ومعرفة في تاريخ الهنـد تؤهله لان يكون مرجعاً للباحث عنه وعن أحواله .

الفاً من الروبيات طلباً على ابن جمعه في القطيف . وكتب مبارك كتابين إلى ابن سعود الذي استولى اخيراً على أموال ابن جمعه يستحثه على اعطاء الكويتي حقه . فلم يجبه إلا بعد ان اتبعهما بثالث ، وقد قال ابن سعود في الجواب إنا سنعطي صاحبكم حقه من ثمرة نخل ابن جمعه لا غير . ولكن مباركاً قال ان صاحب الدين لا يقبل إلا نقوداً . ولا ريب في ان مثل هذا الجواب ومثل هذا التباطؤ يحدث ضعفاً بين أخوين لا فضل لأحدهما على الآخر فكيف به وهو من ابن سعود مع مبارك بهذا يحتج انصار مبارك على مناظريهم ، بل ويجيبونهم على بعض ما احتجوا به آنفاً بما احتج به مبارك نفسه على ابن سعود . وقال له بعد ان بلغه العتب الذي كان يوجهه اليه في عدم رضاه عقد المؤتمر في الكويت وفي عدم استحسانه دخولها في المساعي التي كان يبذلها لتعرقل اتفاقه مع الوفد التركي. (انا ما امنعك من دخول بلدي وقت الشدة والخوف . فكيف ولا خوف ولا شدة على ان عدم الرغبة في دخول الكويت هو في الحقيقة منك لا مني فانك كتبت إليّ كتاباً وهو محفوظ الى الآن عندي تعتذر فيه عن دخول البلد لخوفك من تكليف اهل نجد الموجودين فيها . واما عن الاتفاق فانا لما عرضت عليّ بنوده [1] ورأيتها ثقيلة قلت للسيد طالب النقيب ابن سعود لا يمكنه قبولها . هذا ما يقوله مبارك ويحتج به انصاره ولكن لا أظن أن أنصار ابن سعود يعجزهم هدم هذه الاحتجاجات التي عرفوا منها مقدار مراوغة مبارك وخداعه . ومهما يكن ، ومهما جلبنا من الحجج والبراهين للفريقين ، فان حبل المودة قد رث اخيراً او تحطمت حصون الولاء والسلم ، واخذ كل من الاميرين ينظر صاحبه بعين العدو اللدود وشرع يستعد له بما في وسعه وطاقته فاستدنى مبارك العجمان الذين وقعت بينهم

أما ابنه الاديب الفاضل محمد فقد برهن على غيرته في تأييد المشاريع الخيرية والمؤسسات النافعة بتبرعه للمكتبة الاهلية في الكويت بمائتي روبية ، وهو شاب حر هادىء الطبع دمث الاخلاق .

(١) وكان من اهم البنود ان يكون علم البلاد الرسمي العلم العثماني وان يكون ابن سعود والياً من قبلها يعين بفرمان شاهاني ، على ان تتعهد الدولة باستقلاله في الاحساء والقطيف وان تكون الولاية له ولاعقابه ولاعقاب اعقابه من بعده .

وبين ابن سعود تلك الحرب ، الذي كان سبب افلاته من مخالبهم جيش سالم الذي أسلفنا الكلام عليه ، فاضطرب ابن سعود مما جرى أو أوجس خيفة وشراً ، إذ علم أن مباركاً لم يمد اليهم يد الصلح والمسالمة ، ولم يجرهم الى جانبه إلا له لا لسواه ، بل علم انه سيعالجه بهم بما يكرهه وبما يقض عليه مضجعه، اوجس تلك الخيفة المدلهمة والشر المستطير فحب أن يستميله إليه ويفصلهم عن دائرة خصمه ، أحب ذلك وهو المقسم على نفسه ألا يصافحه مهما كانت الحال وأنهم لو كانوا في بطنه لأخرجهم من بين ثناياه . مال الى ذلك بكليته ولكن بعـــد ان فاتت الفرصة وبعد ان قبض عليهم اسد الجزيرة بمخالبه وانشب فيهم اظفاره وبينما هو يحرق اسنانه تارة ويعض سبابـــة المتندم اخرى ويحسب لعداوة مبارك وللتدابير التي قام بهـا الف حساب ويتخيل من جراء ذلك كله مستقبله مظلماً ، وانه على شفا حفرة من السقوط ، بينما هو كذلك وقد ضاق الفضاء واستعرت انفاسه من الجوى واذا بنبأ طـــار فملأ الآذان والأسماع ، نبأ اقامه وقد كان مقعداً وجلا عنه سحابةالاضطراب التي أحاطت همس الناعي بأذنه بان صاحبك بالامس وعدوك اليوم قد مات، وورارته الأجداث ، فكن آمنا على نفسك ومستقبلك ونم نومــــاً هادئاً مستريحاً فكاد صاحبنا يطير فرحاً وسروراً ويعلن البشائر والافراح من ذلك النبـــأ الذي لم يكن ينتظره ولكنه ملك عاطفته ، وتغلب على شعوره ، فتظاهر أمام الناس بالحزن والتأسف والتوجع والأسى . وقد تراءى للناس إذ ذاك ان سيقوم لابن سعود حظ في الجزيرة عظيم وان سيكون له فيهـا كلمة ليست لسواه ، تراءى لهم ذلك لانهم يرون من المستبعد ان يتم له مـا يريد ومبارك في قيد الحياة ويحاول انزاله الى الحضيض الأسفل ومبارك هو الذي أوصله الى ما وصل اليه في ذلك الوقت ، وهو الذي اخرجه الى عالم الوجود بعد ان كان نسياً منسياً ، سيما وقد بزه في ميدان الدهاء وفاق عليه في ضروب الخداع ، وزيادة عليه وقد اخذ باحتياطات عديدة ما سمعت ولو امهل في عمره لرأينا له دوراً مهماً يمثله على مسرح الانتقام من صاحبه الاول وعدوه الثاني ولرأينا له مهارة باهرة في تفكيك عرى البادية وأهل نجد من

حوله بفتح خزائنه الملأى بالاصفر الرنان إذ له من الثروة ما ليس لصاحبه عشر عشرها والكل يعلم ان الاخير لم يفز بها فاز به إلا بنثره الدراهم بلا عد ولا حساب والدراهم التي تستعبد القلوب وتملك الرقاب .

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان احسان

ولكن مات مبارك فكان بموته حياة ابن سعود واختفى الاول فكان في اختفائه ظهور للثاني ، وتلك الأيام نداولها بين الناس فعسى أن تكون العاقبة خيرا للإسلام وأهله ، وفيما جرى عز للعرب الأباة وعسى أن تزول الضغائن والأحقاد من القلوب وتتحقق الآمال والأحلام .

مبارك والأخلاق

لكل شخص اخلاق محمودة واخرى حظه منها الذم والانتقاد ما عدا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن الناس من تكون أخلاقه المذمومة تتلاشى في بحر المحمود منها، ومنهم من يضيع المحمود منها في فضاء المذموم الواسع ومنهم من تكون له في الاثنتين كفتان متعادلتان . إذن فمبارك من أي الاقسام هو من الاول فنرفعه على الاكف والرؤوس أم من الثاني فنرميه في زاوية الإهمال واضعين عليه صخور النقد والتقريع أم من الثالث فنرفعه تارة ونحطه أخرى .

أنا اعلم أن مباركا كغيره من الملوك له في الامرين حصة ونصيب والإنصاف يناديني هنا بأن أكون حرا بمعنى الكلمة خالعا ثوب التدليس والتلبيس ، ويناشدني أن أحدث القراء بالحقيقة الراهنة التي أعرفها عن غضنفر الكويت، خدمة للتاريخ وقياما بواجب العدل والصراحة وها أنا لبيت النداء لئلا أكون من الغاشين فليعذرني آله وأنصاره فما قلت الا الحق وما نطقت إلا بالصواب .

اخلاق مبارك المحمودة

كان مبارك شجاعا جريئا حازما ذا همة تناطح السحاب وعزم يفل الحديد

وكان ذكيا قوي الذاكرة رقيق الاحساس والشعور صاحب نفس عالية وارادة قوية ودهاء مدهش وسياسة بز بها الأقران وصبر وجلد. له مطامع الملوك الكبار وآمال الأمراء العظام ما حدثته نفسه بشيء إلا وأسرع إليه قبل فوات الفرصة ، يحب العمل ويكره الراحة ، شغوف بالشهرة ولوع بالصيت ذا عظمة وكبرياء وهيبة تدع الكثيرين في ارتعاد وتلجلج ، له هيبة في مجلسه ، وفي منطقه ، وهيبة في منظره وحركته . كان إلى السخاء منه أقرب إلى البخل وإلى الحلم اقرب منه إلى الغضب ، وإلى الديانة في أول أمره أقرب منه إلى ضدها ، حريصا على أن لا يضيع حق لرعيته ، وحريصا على أن يكون لهم ذكر في المدن والأمصار يساعدهم بالمال ويدافع عن حقوقهم دفاعه عن حقه .

اهتمام مبارك بمصالح رعاياه

كان يفتح خزائنه لتجار بلده ويمدهم منها بمئات الألوف وعشراتها ليتاجروا بها ويبيعهم قسما من تمر أملاكه في البصرة ويمهلهم بالقيمة إمهالا طويلا كل ذلك رغبة في نمو تجارتهم وزيادة ثروتهم ولقد كانت تصيبه الانفعالات العظيمة اذا ما أصيب احدهم بخسارة في الاموال والاولاد .

أفلس الشيخ عبد الرحمن آل ابراهيم في بمبي ، وكان للكويتيين عنده كثير من اللؤلؤ الثمين فأبرز مبارك من الاهتمام بما لهم من اللؤلؤ ما لم يكن يخالج أذهانهم وقد كانت نتيجة اهتمامه ان استردوا ما لهم من الاموال الطائلة في حين ضياع أموال غيرهم العديدين .

أخذ بعض قطاع الطريق بين الكويت والزبير شيئاً من الخام لبعض اليهود في الكويت فما هدأ له بال حتى عرف الآخذ وارجع ما أخذ الى صاحبه .

وحصل في أحد الايام خوف بين الكويت ونجد وفي الكويت قافلة على أهبة السفر الى نجد فيها كثير من أموال الكويتيين فذهب اليه ثلة من أهلها يراجعونه

في امرها ويستطلعون رأيه فيها فقال : اني مستعد لاخراج جيش يرافقهـا ويحميها الى مقرها ، ولولا أن جاء الخبر اليقين بسلامة الطريق لفعل ماعزم عليه.

وذهب في أحد الأعوام جملة من تجار اللؤلؤ الى بمبي لبيع لؤلؤهم هناك ولكن صادفوا نزول الأسعار وكساد الاسواق ، فـاصدر امره اليهم بابقاء لؤلؤهم عند الشيخ قاسم آل ابراهيم ... ومبادرتهم بالرجوع الى وطنهم . أمرهم بذلك لئلا يتحملوا الخسائر الباهظة بطول اقامتهم هنـاك وقد اعطاهم عندما جاءوا الكويت من ماله الخاص مايقابل قيمة اللؤلؤ ليتاجروا به ..

وفي صفر سنة ١٣٢٠ هجمت سفينة مسلحة على سفينة كويتية خارجة من البصرة الى فارس فيها أموال للحاج حمد المنيس : نقود وغيرهـا تقدر بنحو ستين الفاً من القرانات بقرب بوبيان فأخـذوا الاموال وقتلوا رجلا من أهل السفينة ، وعندما بلغ مباركاً الخـبر اسرع بالسفر الى القصبة لتحقيق أمر الجناة وأرسل تلغرافاً الى وكيـله في البصرة (عبدالعزيز افندي السالم)ليخبر الحكومة بما وقع من الاعتداء واتبعه ايضاً بتلغراف الى خزعل خان في ناصرية الأهواز يرجو منه العون في البحث والتحقيق عن المعتدين وقـد بذل مبارك في تلك القضية اهتماماً كانت نتيجته احضار الجناة بين يديه وانزاله بهم العذاب الذي يستحقونه .

في شعبان سنة ١٣٢٥ سافرت احدى البواخر البخارية من الكويت ببعض الأموال لأهل الكويت ولما ارست في المحمرة أراد مأمور الحكومة البلجيكية إنزال تلك الأموال لتفتيشها فامتنع قبطان الباخرة وقال : لابد من إرجاعها الى المحل الذي حملت منه أو الى أهلها في الكويت ، وفي رجوعه من البصرة أنزلها عند الكيني في مسقط ، فتأثر مبارك من طلب مأمور البلجيك تأثراً عظيماً وخابر الميجر ناكس في الكويت بذلك وقال له : ليس للبلجيك ولا لغيرهم حق الكشف على اموال الكويت او تنزيلها . إنما الحق لي وللحكومة الانكليزية في ذلك فاذا جاءت الاموال ووجدنا فيها شيئاً مـما هو ممنوع رأينا فيه رأينا .

هكذا ينبغي ان يكون اعتناء الحاكم بمصالح رعاياه وسعيه فيما يدفع عنهم الخسائر والاضرار ، وهكذا ينبغي أن يكون سهره على مصلحتهم وعلى تجارتهم لأن حياة البلاد بتجارتها ورقيها بثروة اهلها ، والتجار على البلاد كالغيث على الفيافي والآكام يمطرون من خيراتهم مايحيي النفوس والآمال وبأموالهم تشاد المعاهد العلمية والنوادي الأدبية وبأموالهم تتكون الجيوش التي تحمي البلاد من الأطماع وتصون الحقوق من الضياع ، إذاً فلا غرابة إذا ما رأينا مباركاً شديد الحرص على مساعدة تجار بلده، ولا غرابةاذا ما رأيناه يدافع عن حقوقهم دفاعه عن حقه .

اخلاق مبارك المذمومة

كان مبارك جباراً عنيداً غشوماً ظلوماً وكان من المستبدين الجائرين شغوفاً بجمع المال وشديد البحث عن الطرق التي توصل اليه ، حتى كان يرهق بعض الجناة من رعاياه بضرائب من المال فادحة وحتى اخترع رسوماً مستمرة فمن زيادة في المكوس الى مشاركة في الأملاك والعقارات بل كان حظه أحسن من حظ الشريك فله ثلث مابيع وأجّر من كل عقار ولو تكرر ذلك في اليوم مرات وكان ذا مكر وخداع ومراوغة شأن غيره من الملوك والامراء.جاهر في آخر أيامه بترك الشعائر الدينية والتساهل بالصلاة والصيام ومال الى اللهو والقصف والتهتك والخلاعة فاستقدم الراقصات من مصر وسوريا وأقام لهن المسارح في قصوره الشاهقة وانغمس في هذا الامر انغماسا عظيما .

ولكن الامر الغريب في هذا كله أن مباركا كان ينزل عقابه الصارم بمقترفي الآثام في الكويت التي تشبه ما يأتي من بعض الوجوه فكم سمعناه أدّب شاربا للخمر وكم سمعناه عاقب متحرشا بالمصونات وكم أشاد الناس بذكره لنفيه من المدينة بعض المتلبسين بما يندى له جبين الحياء وكم وكم مما يطول شرحه واستقصاؤه .

هذان دوران غريبان متناقضان مثلهما مبارك على مسرح الحياة في الكويت

دور برز به كالمحامي عن الأخلاق الفاضلة ودور برز فيه بصفة الولوع بالفسق والفجور وإنهما لدوران غريبان أعاد لنا بهما نبذة من تاريخ الحاكم العبيدي في مصر ، بل برز كشخص على فلم (السينما) يقوم في آن واحد بعملين متناقضين فيجيء ويذهب ويصعد وينحط لا بل نكاد نفهم منه ما انطوت عليه نفسه الكبيرة من حب التفرد في كل شيء حتى في تلك الاعمال التي استحق عليها الذم .واذا علمنا ان كثيرا من رعيته تجنبوا ركوب الخيل لانه كان يركبها وتجنبوا أزياء مخصوصة لانها كانت مختصة بآل الصباح وتجنبوا التشبه به في مجلسه لعلمهم كراهته لذلك أمكننا ان نفهم السر فيما قدمنا .ولا ريب في أن هذا من حسنات مبارك ومن الأخلاق التي يحمد عليها فالمرء لا ينبغي له ان يحارب الله من كل وجه هذا من جهة ومن الجهة الاخرى ، فان من أعظم الويلات والمصائب على الأمم والجماعات هو تفشي المنكرات بينهم وانتشارها بين صغيرهم وكبيرهم نعم الويلات المهلكة في الأموال والأخلاق وفي العقول والأجسام .

مبارك والعلم

لم يكن لمبارك ميل الى العلم ولا رغبة في المعارف ، ولم ينشط لها في أيامه يوما ما. فكانت الكويت في عهده محرومة من النور ومحرومة من اسباب الارتقاء الفكري ومن وسائل التهذيب العقلي لا معاهد علمية فيها ولا مجتمعات أدبية في أرجائها هذا وايم الحق مما يسيء إلى كل مصلح غيور لان مباركا الذي عرفه الكل فيما مضى لو أراد النهوض ببلده وأخذها الى مستوى الكمال ، لتسنى له ما اراد في وقت قريب جدا لاقتداره بالمال والنفوذ والجاه . ولكنه – والأسف تلو الأسف –لم تحدثه نفسه به ولم يطمح نظره اليه فكانت مدينته اذ ذاك كالفتاة التي تستغيث بمن يورد غلتها ويقلد جيدها العاطل بجواهر العلم ولآلئه ، ولكن لا سامع ولا مجيب ، صم مبارك اذنيه عن سماع ندائها وتلبية دعوتها ، وكان الواجب عليه أن يسمع لها ويجيب فصدوده عنها نقطة سوداء تضم الى نقطه السود في تاريخه المفعم بالعجائب وهنا لا بد لنا من تعرف

الأسباب التي دعته الى قبض يده عن ترقية بلده بنشر العلوم في ربوعها .

نرى من أهم الأسباب التي منعته هو ما يقوم في ذهن كل حاكم مستبد من أن العلم معول يهد به صرح الاستبداد وسيف يحز به عنق الظلم . ومبارك له في الاثنين ولع ايما ولع . ولا يبعد ايضا أن يكون لجلساء السوء الذين أحاطوا به نصيب وافر في تمثيل شبح العلم المخيف أمامه . زد على هذا أنه لم يذق للعلم طعما ، ولم يعاشر من أهله من يكون مثالا حسنا في أعماله واقواله، مثالا حسنا في مقاصده ونواياه . فيحبب العلم إليه ويقربه الى حماه ، بل قضى عمره بين جهلاء لا يفهمون وأغبياء لا يعقلون ،وقد يكون من أقوى الأسباب أيضا انهماكه باللهو،والعلم الصحيح والخلاعة عدوان لدودان وضدان متناقضان قلما يجتمعان لرجل واحد .في آن واحد وهنا أمر واحد لا استبعد ان يكون من تلك الاسباب أيضا وهو ما كان يشاهده اذ ذاك في علماء بلده من الخمول والجمود الذي تخلل أدمغتهم وعقولهم .

ومهما تكن الاسباب التي منعته فليست هي اسباباً تزيح عنه العتب واللوم وسأحدثك هنا عن أهمها تاركاً لك المجال الواسع في بقيتها .

العلم وان كان عدواً للاستبداد وخصماً للظلم يغرس الحرية في القلوب ويعلم الناس ما يجهلون فالكل يعلم مع هذا ان من يسعى في نشره ويبذل في سبيله ما في وسعه سيكون له مقام محترم ومحبة تسكن الافئدة والقلوب ويرى الناس سيما من نشره بينهم ان له حقاً مقدساً يسهل معه بذل الاموال والارواح لأنه أنقذهم من ظالم عنيد وجبار غشوم هو الجهل المهلك. وقد حفظ لنا التاريخ كثيراً من هؤلاء الملوك المستبدين ، هذا الرشيد وابنه المأمون في بغداد وهذا عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم في الاندلس وغيرهم وهذا محمد علي[1] باشا الكبير الذي أحيا مصر وابناءها بنهضته العلمية ورفعها

---

(١) قضى الشعب في مصر على هذه الاسرة في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بزعامة ضباطه وقادته الأحرار .

الى ذروة المجد والكمال وترك اهلها يشيدون بذكره فهل هد العلم عروشهم وأزال نفوذهم كلا ثم كلا بل شاد لهم مجداً مشمخراً وفخراً لا يمحى على ان الحكام المستبدين لو امعنوا النظر فيما يجنونه بنشر العلم من الفوائد المادية والأدبية التي تفوق ما يجنونه من ثمار ظلمهم واستبدادهم لجعلوا العلم نصب أعينهم وأعطوه اهتمامهم الكبير ولغلوا أيديهم عن الجور والحيف .

لهذا فنحن نلوم مبـــاركاً على تقاعسه عن نشر العلم في ربوعه وفي العلم الحياة والفوز ونلوم جلساءه في عدم نصحه ونصحـــه عليهم من الواجبات نلوم مباركاً اللوم الشديد لانه لم يعمل كما يجب عليه ولم يعمل لرغبة ما هم في حاجة كبرى اليه فلم يبن لهم مدرسة واحدة علمية يشربون من نميرها .

اما المدرسة المباركية التي تقدم الكلام عليهـــا في الجزء الاول وسميت باسمه فليس له في تشييدها يد ولا في نفقتها درهم واحد ويلوح لنا مما نعرفه عنه انه لو استشير بأمرها قبل ان تشرئب اليها الاعناق وقبل ان يذاع خبرها في مجالس الكويت وأنديتها لكان من أكبر المعارضين لها ومن اشد الناس حرصاً على إقامة العراقيل في طريقها ، ولكن من حسن الحظ انه لم يراجع فيها الا بعد أن بتّ في شأنها وقرر انشاؤها وبعد ان كانت هي الحديث للناس . نحن لا ننكر انه بعد أن أخرجت المدرسة الى حيز العمل وبعد أن رأى الجرائد قد اطنبت بمدحه بالثناء عليه وتعليق بعض الكتاب[٢] الكبار الأمل به في ارجاع مـــا للعرب من مجد وإعادة مالهم من هيبة وسلطان ، انه تظاهر بتبرعه بأربعين (دكاناً) ولكنه تظاهر مصطنع لـه من ورائه اغراض لهذا فانه اكتفى بتلك الاشاعة ولم يتقدم لتحقيقها .

---

(٢) هو الكاتب الكبير ، امير البيان والنسب الامير (شكيب ارسلان) الذائع الصيت فقد نشر اذ ذاك هذا الفاضل مقالة ممتعة في جريدة المؤيد الغراء أفاض فيها بذكر تلك المدرسة وبالشيخ مبارك آل الصباح الذي سميت باسمه وبمدحه والثناء عليه لهمته العالية التي دفعته الى انشاء هذه المدرسة . وأناط بـه كغيره من الكتـاب الأمل العظيم في ان يكون احد الامراء الافذاذ الذين سيشيدون مجد العرب الداثر ويرجعون عزهم الغابر .

مبارك وكتابة الجرائد

علم مبارك بحاجته الضرورية للكتابة على صفحات الجرائد دفاعاً عن نفسه ورداً على منتقديه ودحضاً لحججهم وقد تعلم الحاجة الجاهل مالايعلم ، بل علم مالها من التأثير في قلب الحقائق وفي التغلب على الأفكار ، وهو إذ ذاك في حاجة كبرى الى ذلك ، في حاجة الى ان يبرهن للحكومة العثمانية تفانيه في حبها وسعيه المتواصل في خدمتها لوجود من يعمل ضده في دائرتها ويرميه بالمروق من الطاعة وبالخروج على الخليفة برميه من ذلك بما هو حق وبما هو باطل سيا ذلك الداهية الدهياء يوسف آل ابراهيم فقدانتصب امامه في الميدان واشهر عليه السلاح والقى عليه كل اثم وكل تبعة . علم مبارك لهذا بالاضطرار الى الكتابة درءا لذلك السيل الجارف فاتخذ له كاتبا مصريا كان يتردد الى الكويت والى المحمرة وقد أوقف الكاتب قسما كبيرا من جريدته لهذا الغرض ولكن يؤسفنا ان كل ما خطته أنامل ذلك الكاتب كذب صراح وافتراء محض ولا عجب فعبد المسيح الانطاكي قد عاهد نفسه ان لا يفوه بكلمة يقال له فيها صدقت . في نظرنا ان دفاعا مثل هذا لا يفيد الفائدة المطلوبة فان من انفضح امره في الكذب كانفضاح عبد المسيح حتى كان مضرب الامثال به فضرره أكبر من نفعه . ان كذب عبد المسيح فيما ينشر من أغرب الكذب الذي سمعناه وشاهدناه فانه لم يقصر كذبه على الاقوال بل جاءنا بنوع من الكذب غريب رسم منارة في الكويت مرتفعة شاهقة يخيل لناظرها انها من احدى منائر مصر او سوريا او العراق ، ورسم امام مسجدها بستانا نضيرا ملتف الاشجار وليس في مساجد الكويت كلها ما يشبه هذا المسجد ولا من بعض الوجوه .

عمال مبارك قبل ولايته

كانت اعمال مبارك قبل أن يتولى الحكم مقصورة على الغزو والحروب .

فلم يمض عليه عام الا ويخوض معركة من المعارك ويقوم بغزوة من الغزوات .

ففي كل عام أنت جاشم غزوه تشد لأقصاهـــا عزيم عرائكا

وهذا يدلنا على نفسية مبارك وعلى ما كان يميل اليه وبهذا وحده يحكم له بالشجاعة والإقدام ويحكم له بعلو الهمة وصرامة العزيمة . واليك مــا وقفت عليه من غزواته اذ ذاك .

مبارك وماجد الدويش

اغار ماجد على عرين دار العوازم من قبائــل الكويت في ملح وكان (دعيج آل الصباح) بينهم فخفّ الكويتيون لنصرتهم ولكن بعــد ان قضى الله الامر وأصاب الدويش منهم ما أصاب واخذ ما أخــذ من الغنائم والاموال . اما مبارك فتطير من عمل ماجد وعده اعتداء فظيعا يستحق عليه العقاب الصارم ، وذلك لأن مباركا كان قد أعطاه قبل غارته ما يسد وطره ولأن من أغار عليهم لم يعتدوا عليه فيكون ماأصابهم به جزاء لاعتدائهم زيادة عليه فهو لا يرى هذا الاعتداء الا على آ ل الصباح انفسهم لا على قبيلتين من قبائلهم ومبارك لا يطيق الصبر على مثل هذا وان صبر عليه سواه . لهذا رماه بجيش كثيف من الكويتيين والعربان كان هو قائده بنفسه وقد صحبه في (الردينيات) فأغارت عليه أولا خيل عنزه ولكنها لم تفعل شيئاً ، ثم تقدم زعيم العوازم ابن مساعد وتبعته عشيرته ولم يصغوا لمنع مبارك إياهم عن الإقــدام ، فكانت النتيجة انهزام الدويش تاركا خلفه من القتلى والجرحى والأموال شيئاً كثيراً.

غزو مبارك على الصميد [1]

وقع بين الصميد وبين ابن سويلط زعيم الظفير قتال لا ندري مــا سببه فاعتدوا عليه وضيقوا الخناق فـــاستصرخ ابن سويلط اذ ذاك بآ ل الصباح فأنجدوه بجيش كان مبارك هو القائد له وبه رجحت كفتــه على منـــاوئيه

(١) الصميد : طائفة من الظفير .

وانتصر عليهم .

غزو مبارك على السعيد [1]

اعتدت هذه الطائفة على أطراف الكويت فنهبت منها أموالا عظيمة وامتنعت أخيرا عن إرجاع ما أخذت فسار اليها مبارك في زمن أخيه محمد وقد هجم عليها في الخنقة وأصلاها نارا حامية .

غزو مبارك على بني هاجر [2]

اعتدى أفراد من بني هاجر على سفن في البحر لأهل الكويت وأخذوا ما فيها من طعام ومال فسار اليهم مبارك بمن اعتاد تقويم الأود بهم ومعه قبيلة العجمان وزعيمهم (راكان) المشهور ، وبين الاحساء والقطيف اقتص منهم وأذاقهم العذاب الاليم .

غزو مبارك على سليمان المنصور [3]

في أحد الايام الخالية حدث بين الحكومة العثمانية وسليمان نزاع لا نعرف حقيقته فأمرت محمد آل الصباح بغزوه . أما هو فجهز اليه جيشا بقيادة أخيه مبارك ، وقد كره مبارك خوض غمار الحرب معه ، ولم يود الاشتباك وإياه في قتال . فكان لهذا يقدم قدما ويؤخر أخرى الى أن وصل سفوان وهناك بعث الى سليمان من ينذره خفية ليفر من أمامه وقد كان الامر كما أراد فان سليمان عندما جاء النذير مال عن وجه الجيش وذهب الى حيث يأمن على نفسه . وبفراره من أمام الجيش أمرت الحكومة مباركا بالرجوع .

أولاد مبارك

لمبارك من الاولاد جابر وسالم وقد ملكا بعده كما يأتي، وصباح وفهدوناصر

(١) السعيد : طائفة من الظفير أيضاً .

(٢) بني هاجر : من عربان الجنوب .

(٣) سليمان المنصور هو أحد زعماء المنتفك ، القبيلة المعروفة التابعة للحكومة العراقية.

وقد انتقلوا الى رحمة الله وحمد وعبد الله وهما باقيان الى اليوم .

سمو الامير الشيخ حمد

كان مبارك يحبه حبا جما لم يمنحه أحدا من أبنائه العديدين . وقد أقام لزواجه في الكويت حفلة لم تعهد الكويت لها نظيرا في أيامها كلها ، حفلة سارت بذكرها الركبان وقامت الكويت لها وقعدت في ربيع ثاني سنة ١٣٢٦ وقد قدم الشيخ ناصر [١] الى أبيه مبارك قصيدة يهنئه فيها بزواج أخيه . ويمدحه فيها ، ستأتي في باب الأدب .

سمو الشيخ ناصر

كان رحمه الله شاباً ذكياً ذا فطنة وقّادة ، وحافظة قوية ، نادرة ، وقد لقب لذلك (بكعب الاحبار) ذا شعور رقيق واحساس لطيف ، اشتغل بطلب العلم على أيدي اساتذة في الكويت فتحصل على شيء من العلوم الدينية لفقه والعقائد وغيرها وعلى شيء من العربية . وأما استاذه الحقيقي فهو هو نفسه الطموحة ، وهمته العالية التي كانت ولاتزال اذ ذاك تدفعه الى التوسع في العلوم والمعارف والبحث والتنقيب ، حتى بلغ الى درجة لا اغالي اذا قلت انه لم ينلها في الكويت من ابناء جنسه احد ، ولولا الخوف من ان ارمى بالمبالغة فيا أقول لقلت ولا أحد ممن ضمتهم الكويت من طلبة العلم ايضاً ، نعم فالشخص الذي ادهش الاستاذ الكبير السيد رشيد رضا بأبحاثه ومعلوماته ليس بالرجل الصغير ، قال الاستاذ في مجلته الغراء مجلد ١٦ ص ٣٩٨ عن هذا الشاب النابه بعد ان اجتمع به في الكويت عام رحلته مايأتي : « انزلني مبارك في قصره الجديد الذي هو قصر الامارة وتولى مؤانستي ومجالستي في عامة الاوقات نجله الشيخ ناصر رئيس لجنة مدرسة الكويت لانه هو الذي يشغل عامة اوقاته في مدارسة العلم ومراجعة الكتب حتى صار له مشاركة جيدة في جميع العلوم

(١) نظرا لان الشيخ ناصر لا يد له في الشعر فقد استعان بأحد أفاضل الكويتيين بهذه القصيدة .

الاسلامية واقمت في الكويت اسبوعاً كنت كل يوم مـــاعدا يوم البريد القي خطاباً وعظياً في اكبر مساجد البلد فيكتظ الجامع بالناس وكان يحضر مجلسي كل يوم وليلة وجهاء البلد ، من اهل النفوس، وحب العلم يسألون عما يشكل عليهم من أمر دينهم . وأما الشيخ ناصر فكان يسأل عن دقائق العلوم في العقائد والاصول والفقه وغير ذلك على انه لم يتلق عن الاســـاتذة فهو من مظاهر الذكاء العربي النادر ا هـ » .

وكان رحمه الله أعمى البصر ولكنه نيّر البصيرة .

ان يأخذ الله من عيني نورهما　　　فان قلبي مضيء ما به ضرر
أرى بقلبي دنيـــاي وآخرتي　　　قد يدرك القلب ما لا يدرك البصر

وقد انصرفت همته الى التأليف فاشتغل بوضع حاشية على شرح السيوطي لالفية ابن مالك ولكنه لم يكملهـا وكان اكبر معين له على المطالعة والبحث سكرتيره الخاص صاحبنا الأديب الفـــاضل سليمان افندي العدساني الذي لازمه الى وفاته بتجاربه ومعلوماته .

وكان رحمه الله في اول امره ذا تقى وصلاح وعفة ونزاهة وميل شديــد للعبادة حتى لقد كان يكثر نفل الصلاة وصيـــام التطوع . وكانت له رغبة في العلوم والمعارف . مما ترك الكويتيين اذ ذاك يستبشرون بـه ويتأملون منه خيراً لوطنهم المنكود الحظ .

ومن غرائب هذا الشاب النابه أنه كان في ابتـداء أمره يرى في شيخ الاسلام ابن تيميه رأيه في الزنادقة والملحدين . وقد جرى نزاع طويل في هذا الصدد بينه وبين بعض الاساتذة الفضلاء في الكويت . اوشك ان يفضي إلى ما لا تحمد عقباه . ولكن هذا الشاب الراحل عـلم كثيراً بفطرته السليمة خطأه الذي ارتكبه اولاً . بل علم بغش من كان يلقنه تلك التعاليم الزائغـة فكان بعد ان استنارت بصيرته يرى ان ابن تيميه في الحقيقة هو شيخ الاسلام. وإمام الانام وحامي حرمة الدين . توفي في صفر سنة ١٣٣٦ .

الحاكم الثامن

الشيخ جابر الثاني بن مبارك آل الصباح

تولى بعد وفاة أبيه في ١٢ محرم سنة ١٣٣٤ . كان جابر من الحلم بحيث يغض النظر عن كثير من الهفوات ، ومن سلامة الصدر بحيث لا يعرف الحقد ولا البغض وتواضعه حببه إلى كثير من رعيته . وبعده عن الظلم والجور رفعه في اعينهم الى مستوى الاكبار له فيه من دماثة الاخلاق وطلاقة الوجه ما جذب اليه القلوب الناضرة ، وأمال الافئدة المعرضة إلى جانبه .

اول باكورة اعماله اعفاؤه الكويتيين من ضريبة الثلث على العقارات التي أثقل بها أبوه مبارك كواهلهم وارجاع بعض البيوت المغصوبة الى اربابها .

اشتهر قبل ولايته بالامساك الشديد فود الناس بعدها ان يخلع ذلك الثوب ويتجرد من تلك الصفة وقد قدر الله تعالى له التخلص منه والبعد عن حماه ، فانه ما كاد يقبض زمام الحكم ويطل على خزائنه الملأى بالاكياس المكدسة ، الا وطار طائر البخل من قلبه الى حيث لا يبصره ولا يراه ، فبسط بالخير يده المقبوضة وأرخص بما كان يعادل منه النفس والروح وبذلك غرس محبته في القلوب فأثمرت شجرتها الاخلاص له ، والتفاني في خدمته .

جابر وابن سعود وخزعل

في محرم ١٣٣٥ اجتمع السر برسي كوكس بهؤلاء الامراء في الكويت وكان الشائع على الألسنة إذ ذاك ان الغرض من هذا الاجتماع هو توحيد أمراء العرب تحت رايةواحد من زعمائهم، وهو حلم ظاهرهلذيذ وفي صالح العرب . ولكن هل الامر كذلك وقد تناقل الناس شيئاً مما دار فيالمجلس من الحديث. فابن سعود قال أنا عدو للاتراك وهم لي اعداء سأطاردهم ولو وحدي لاني لا أذكر منهم الا الشر لي ولآبائي من قبل فقد قتلوا من قتلوا منهم ومثلوا ببعضهم اشنع تمثيل ، وضرب خزعل ايضاً على هذا الوتر . اما جابر فقال

قولاً اكبره الناس لاجله فقال ولم يتجاوز الحد ، قال نحن مسلمون فاذا ما اجمع المسلمون على شخص فنحن له من الطائعين . ثم قلد كل من الشيخ خزعل والسلطان ابن سعود في هذا الاجتماع (نيشانا) من الحكومة البريطانية.

جابر وابن الرشيد

لم يحدث بين الأميرين شيء يستحق الذكر وكانت الصلة بينهما متينة جداً ، غير ان ابن الرشيد نزل قريباً من (الجهرى) بجيشه ، فخشي جابر ان يكون جاء محارباً فاستنفر الكويتيين عموماً وقد نفروا في الحال الى (الجهرى) براً على الابل والخيل ، والحمير والأقدام ، وبحراً في السفن الشراعية ثم اتبعهم جابر بما يحتاجون من اطعمة وذخيرة وخيام ولكن ابن الرشيد عندما علم بما حدث في الكويت وعلم بحضورهم ارتحل من مكانه وابتعد عن الجهرى ، وقد قيل انه لم يجىء محارباً ولم يقصد الكويت ولا اهلها بسوء وانما كانت الجهرى في طريقه فكان مروره عليها اضطراراً .

جابر وتعلق الكويتيين به

كان حكم جابر على الكويتيين سعيداً وأيامه مباركة انهالت فيها الأرباح الطائلة عليهم ، وسيروا تجارتهم الى الشاسع من الامصار الى نجد والحجاز والى الشام والعراق بل والى الآستانة ايضاً ، سارت الى تلك الجهات في الوقت الذي ضرب الحصر البحري على سوريا فلا من الهند ولا من اوروبا يأتي اليها إلا نزر لا يسد الرمق وكان مع هذا يواسي ويسلي ويعين ويعارض ويسعى السعي الحثيث في راحتهم ويحوطهم بما كان يحوط به نفسه وذويه من جراء ذلك تعلق به الكويتيون تعلقهم بآبائهم المشفقين . ولا غرو فانهم لم يروا منه إلا الشفقة والحنان والعطف والرحمة .

ولقد ضجت الكويت بأسرها وشق عويلها عنان السماء يوم نعي اليها ذلك الشيخ الجليل ، عويل محرق وزفرات اججت النار في الفضاء ، وعبرات سقت اليابس من الثرى .

ان جابراً عاش سعيداً بين قومه ومات حميداً ولم نر في ايامه مـا يوجب الانتقاد إلا شيئين احدهما جموده رحمه الله عن الاصلاح وعدم اهتمامـه بنشر العلم في بلده وهو الرجل السليم الصالح والسخي الكريم . ان هذا ليحزننا وايم الحق ويضطرنا الى تأنيبه فيما فرط به ولكن اذا لمناه هنا فلومنا لجلسائه اعظم وأشد ، اذ قد يكون له من النسيان عذر واضح ولكن مـا عذرهم وهم عالمون ذاكرون . نعم قد يكون نصيبه من اللوم اعظم لو نبه فلم ينتبه وذكر فأعرض بوجهه اعراضاً . ثانيهما : تغافله عن تطهير البـلاد من الفساد وكان في استطاعته ذلك لان بيده امرها وله دون سواه الكلمة النافذة فيها. توفي رحمه الله في ربيع الأول سنة ١٣٣٥ .

اولاد جابر : ـ لجابر من الاولاد سمو الامير الجليـل الشيخ أحمد آل جابر وحمود .

الحاكم التاسع
الشيخ سالم بن مبارك آل الصباح

في ربيع الاول سنة ١٣٣٥ تولى الحكم بعد وفاة اخيه جابر ، كان سالم من العفاف بحيث لم يتحدث حتى ألد اعدائه بما يوجب القدح في عرضه وكان عدواً لدوداً للفسق والفجور، كثير الصمت حتى ليظن انـه عن عي ، حليماً ولكن في رياض حلمه أشواكاً من الغضب مؤذية يتهرى منها اللحم ويتحطم العظم لايعتني بلباسه ولا بمجلسه ، له المام يسير بالنحو وشغف بمطالعة الكتب الأدبية وله ميل الى حفظ الأشعار العربية ، وبعض المسائـل الدينية ، كثيراً مايناقش جليسه ويسأله اذا كان ذا علم وأدب محافظاً على شعائر الدين ولكنه لم يحج. له شجاعة نادرة المثال لو اقترن بها بذل وسخـاء ورأي وتدبير ونظر في عواقب الامور واطلاع على مجرى السياسة لقلت ولا اعد مبالغاً فيما أقول انه يعيد للكويت اياماً احسن من ايام ابيه التي لازلنا نتلهف عليها سياو قد كان له من التقى والصدق والديانة مالم يكن لأبيه الذي عرفناه من ترجمته .

أول اعماله تخفيضه الجمرك الى اربعة في المائة واسقاطه جمرك الخارج وتطهير

البلد من الفسق حتى رتب مختارين في الأحياء لازالـــة ذلك الدنس فلهجت الالسنة بالثناء عليه لما أبداه من الغيرة على الآداب العامة والاخلاق الفاضلة ، وقد تقدمت اليه اذ ذاك بقصيدة اعلنت فيها شكري على ماعمل ثم تقدم اليه بعدي أربعة من الفضلاء: استاذنا الشيخ عبدالله بن خلف والشيخ علي بن سليمان والشيخ يوسف بن حمود والفاضل خالد بن محمد الفرج فنوهوا بذكره واعلنوا شكرهم على سعيه الحميد ، وهمته المحمودة بقصائد غرر تنشيطاً له وتشجيعاً ، ولكن المؤسف أن حضرته أبدى في آخر الأمر تغافلاً في هذا الامروصدوداً.

مبارك وسالم ومد التلغراف

في رجب ١٣٣٠ طلبت انكلترا من مبـارك بواسطة (شكسبير) رئيس الخليج العربي آنذاك ان يسمح لها بمد التلغراف من العراق الى الكويت فأجاب بان الحكومة لها أن تفعل ماترى فيه مصلحة للعموم ، ولكن اود ان تقدم لي تفاصيل عن هذا المشروع الجديد فوعدته به في الوقت الذي تبتدىء فيه بالعمل ، وقد تأخر الأمر الى ايام سالم في جمـادى الاولى سنة ١٣٣٥ راجعته الحكومة بذلك ، فتثاقل في اجابتها ولم يعط اذنا صريحاً بميله الى ماطلبت منه ، ولكن نظراً الى ان معارضته فيها شيء من اللين ، فقد اتخذتها الحكومة كالحجة وشرعت بانشائه في ذلك التاريخ وفي أيام سالم تم وانتهى .

تزكية ابن سعود للعوازم وسفر هملتن اليه

العوازم من قبائل الكويت ومن التابعين لآل الصباح الذين مازال سلطان نجد يحاول فصلهم والقبض عليهم ، ويتحين الفرص لقضاء مآربه منهم ، وقد رأى الفرصة قد حانت في أيام سالم للضعف الذي كان يعتقده فيه فأرسل هناك عماله لقبض الزكاة منهم وهو عالم أن ليس له حق في ذلك ولكنه اراد جس نبض سالم ليكون على بصيرة مما يحاول ، أما سالم فاحتج على هذا الاعتداء لدى (هملتن) معتمد بريطانيا في الكويت . وفي محرم سنه ١٣٣٨ سافر المعتمد الى ابن سعود لبعض المهمات ، وهناك افضى اليه باحتجاج سالم وابدى له خطأه

فيما عمل فاعتذر عما جرى بأنه لم يأمر العمال بذلك ، ولم يبعثهم للعوازم اصلا فالخطأ انما هو اذاً من العمال لاغير وقد يكون هـذا وقع من سوء الفهم ، ثم أخذ ابن سعود بعد هذا يتألم من ابقاء سالم قبيلة (العجمان) في الكويت وهو يعلم أنهم من ألد أعدائه وطلب من محدثه مفـاوضته بشأنهم والالحاح عليه في ابعادهم ابقاء للصداقة القديمة ، فتقبل المعتمد أمر ابن سعود بالقبول ثم رجع الى الكويت في ربيـع الأول فدار البحث فيهـا بينه وبين سالم في اعتذار ابن سعود عن تزكية العوازم وفي طلبه منه فصل العجـمان من حمايته ، فتظاهر سالم بقبول العذر وفي إبعاد (العجمان) إرضـاء لصاحبه وتبـع هذا ان كتب الى ابن سعود ايضاً في ربيع الاول مع فارس الوقيان كتاباً يشكره على اعتذاره وعلى حرصه في ابقاء الصداقة القديمة بين آل الصباح وآل سعود . ورجع فارس الى الكويت في ربيع الثاني وفي معيته (عبدالعزيز الرباعي) مندوباً الى سالم من جهة عظمة السلطان وفي اثر وصول الاثنين الكويت وصل رؤساء العوازم اليها . اما العجمان فقد انفصل (هملتن) من الكويت قبل ان يبت بأمرهم ، ولكن خلفه (قبطان لاخ) قام بتكميل المهمة فأعاد البحث مع سالم وبين له ان الحكومة ترى ارتحالهم الى أطراف العراق وبقاءهم هناك سنة كاملة على شرط أن لايحدثوا حدثاً ولا يقوموا بشيء من الاعتداء فاجاب سالم ولم يمانع ثم ارتحلوا الى العراق وهناك عينت الحكومـة معاشات لبعض زعمائهم وكانت النتيجة أخيراً انضمامهم الى عظمة السلطان في نجد ...

سالم والحصار

كانت الكويت كما قلنا آنفاً في ترجمة جـابر مصدراً تجارياً لبعض البلاد أثناء الحرب العامة وقد بقيت الحال كذلك الى ان وشى بالأمر بعض المفسدين الى انكلترا ونبهها الى ما كانت عنه غافلة .. وبالطبـع ان هـذا يسيئها ولا ترضى به فأرسلت في ربيـع اول سنة ١٣٣٦ المستر (بل) رئيس الخليج العربي الى الشيخ سالم في الكويت فابلغه ان الحكومة عازمة على جعل موظفين من قبلها في الكويت للاشراف على مـا يخرج منها من السلع والبضائع الى سائر

الجهات ويكون الموظفون تحت اشرافه فرفض سالم هذا الاقتراح وأصر على عدم قبوله وقال: لايمكنني الرضوخ له مهما كانت الحال لان بلدي اولا ليست بمعادية لانكلترا حتى تضرب بهذا النطاق من الحصار . ثانياً : أنا من الساهرين على مصلحة الحكومة فيها وعلى ما يعود عليها بالنفع . ثالثاً : أنا أتعهد الآن – وحدي – بان لايخرج من الكويت شيء الا بعلم من معتمدها هناك ثم لايصح أن تلقى المسئولية على بلدي فيما يصل الى المدن المحاربة من السلع والبضائع تخرج منها الى نجد وغيرها من الاقطار التي لامحظور من وصولها اليها فلامانع اذاً من ان السلع التي رئيت في تلك البلاد هي من نجد أو من سواها لا من الكويت . فقال الرئيس ان الحكومة مصممة على ما أرادت ومعتزمة على اجرائه باية حالة واذا لم ترضخ لارادتها فستمطرك وبلدك بوابل من القنابل التي تتعرض منها الى خطر هائل قال : أما أنا فلا استطيع وحدي البت في قبول هذا الطلب وفي الكويت من آل الصباح ووجهاء البلد من يجب علي أخذ آرائهم في مثل تلك المعضلة فاذا لم تسمحوا لي بمراجعتهم فافعلوا ماشئتم ، فقال الرئيس : لابأس من مراجعتك من تشاء منهم وقد راجع سالم آل الصباح والوجهاء فيما بعد وشرح لهم الامر وطلب آراءهم فاظهروا أشد الامتناع وقالوا : ليس في وسعنا القبول ولو ألجأتنا الضرورة الى هجر الوطن فابلغ الرئيس امتناعهم وما قالوه وهناك ابدى الرئيس فتوراً فيما اراد وتظاهر بتحوله عما كان قد هم به ، إذ علم ان الحصول على مايريد لايتسنى الا بضجة كبرى في الكويت للحكومة غنى عنها في مثل تلك الأيام التي هي في حاجة الى جلب العواطف وعدم التنفير ، تظاهر بذلك وبتسكينه الزوبعة التي أثارها بنفسه ولكن بعد ايام قلائل ارسل السير برسي كوكس الى الشيخ سالم كتاباً لين اللهجة يرجوه فيه بكل لطف قبول ما اقترحته الحكومة له .. ويقطع له التعهدات الأكيدة بان تلك الهيئة التي ستعين لذلك الغرض هي مؤقتة الى انتهاء الحرب وان الحكومة ستعوضه عن النقص الذي سيلحق ببلده من جراء الحصار فقبل سالم طلب السير برسي كوكس وهو الطلب الاول الذي رفضه وما ذاك إلا لأن لِلين أثراً في النفوس ليس للشدة ، سيما النفوس الأبية الجبارة

التي ترى النار ولا العار . بعد هذا أرسلت الحكومة قبطان (امكلم) من البصرة مأموراً للحصار في الكويت ولكن تحت نظارة الشيخ سالم وإشرافه وقد رتب الامير معه رجالاً وابقى نقطاً في منـــافذ الطرق وضربت الخيام هناك وكان اول اعمال (امكلم) أن منع قافلة كبيرة قـــد أخذت أهبتها في السفر الى نجد وحجز اموالها العظيمة في قصر نايف داخل المدينة مـدة تزيد على سبعة أشهر كانت في خلالهـا عرضة للامطار وللشمس ولولا تشفع أهلها بسلطان نجد لبقيت الى أمد بعيد قد تكون فيه هباءمنثورا. ضربت الحكومة الحصار على الكويت ، فلا ترد اليها الأطعمة والحاجيات من الهند إلا بمقدار ولا تخرج منها الا بجوازات ، لا للمسافرين وحسب بل حتى من يؤم أطرافها وضواحيها وكاد التضييق يصل الى تفتيش البيوت واحصاء ما فيهامن الأموال التجارية لولا ما حصل في الكويت من الضجيج العظيم . وقد كلف الشيخ سالم ابنه سمو الامير الجليل الشيخ عبدالله السالم مهمة الحصار والاشراف على مايخرج من البضائع ، فقام سموه بها خير قيام ، قيام يذكر فيشكر ،واستمر الحصار الى ١٦ صفر سنة ١٣٣٧ ثم رفع ودفعت الحكومة للشيخ سالم تعويضاً كما وعدته ربعماية وسبعة وثمانين الف روبية . وفي جمـادى الثانية من تلك السنة أهدت اليه نيشاناً وحضر في الكويت لتقليده اياه المستر (بل) الذي هدده اولاً .

سالم والشنقيطي

علمت ما حدث للاستاذ الفـــاضل في ترجمة مبارك وقد انتهى به الامر اخيراً إلى الاقامة في عنيزه من بلاد القصيم ، الى ان وقعت الهدنة ثم سافر الى الكويت بعد حث من اصحابه وقد وصلها في شعبان سنة ١٣٣٧ وكان الحاكم اذ ذاك الشيخ سالم فذهب هو والأديب الفـاضل مرزوق الداود آل بدر للسلام عليه في الشعب ولكن الشيخ سالم فاجأهما هناك بتحقير لم يكن لهما في حساب ، كان خارج القصر فبادر بالقيام الى داخله عندما ابصرهمـــا مقبلين وقد تشاءم الاثنان مما وقع وشعرا من سالم بتغير وانفعال ولكنهما استسلما

للقضاء ، وسلما الامر الى بارئه وجلسا ينتظرانه على احر من الجمر . وبعد هنيهة ظهر ولكن بوجه عبوس وأسارير مقطبة وعينين يطير منها الشرر وكان رده عليهما السلام ضعيفاً جداً ثم جرى بينه والاستاذ ما يأتي :

سالم – من اين جئت ومن ارسل عليك وأحاطك بحمايته .

الاستاذ – جئت من القصيم ولم يرسل عليّ أحد وليس أمامي عدو حتى آخذ لي منه أماناً .

سالم – أيسوغ لك ان تجيء الى بلدي وانا الحاكم فيها ولا تنبئني بذلك فكأنك بعملك هذا تقول ان الذي يخشى منه (وهو مبارك) قد مات ولم يخلف بعده من حقه أن يخاف منه ويحذر.

الاستاذ – أنا لم أخرج الا خوفاً من الحكومة الانكليزية لا من مبارك .

سالم – الحكومة الانكليزية موجودة الآن فكيف اذاً أتيت .

الاستاذ – جئت بعد ان حصلت الهدنة التي تخول كل شخص الرجوع الى وطنه ولو كان سياسياً وهنا اراد الفاضل مرزوق الداود البدر الكلام فبادره سالم بقوله ماذا تريد أن تقول ؟ أنا اعرف أنكم الذين جهزتم الرجل (الاستاذ) في سفينة الى كاظمة ايام أبي ، وانتم الذين حرضتموه على الفرار . فأنا الآن لا اسأل عنه احداً غيركم وانتم المطالبون به دون سواكم . ثم امر أحد خدامه بالذهاب إلى بعض مقربيه لابلاغ قنصل انكلترا في الكويت بمجيء الاستاذ وان ذلك من نفسه ثم امرهما بمغادرة المجلس ، وهو على نهاية من الغيظ والحنق ، فقاما يتعثران باذيال القلق والاضطراب ، وفي اليوم الثاني ارسل سالم الى الاستاذ بعد ان جاء الى الكويت فقال مخاطباً اياه اني احترم العلم واهله ولولا ذلك لعاقبتك عقاباً شديداً تكون فيه عبرة لمن بعدك ولكني سأغض النظر عن معاقبتك الآن غير اني لا اطيق بقاءك في بلدي وعليك ان تغادرها بعد ثلاثة ايام ، واذا ما ذكرت لي بعدها في اي محل فسأحرقه عليك وعلى من معك ، فقال الاستاذ: البلد بلدك ولا يمكنني البقاء

فيها الا باذن منك وبرضاك غير اني ارجوك تأجيل ذلك الى رجوع القافلة التي جئت معها ولما لم يجد منه الا تشدداً وتصلباً اضطر الى السفر للزبير . ونزل هناك في ضيافة الشيخ ابراهيم بن عبدالله آل ابراهيم شيخ الزبير وهو فيها الى الآن .

أما قنصل انكلترا في الكويت فقال عندما ابلغ خبرمجيء الاستاذ : « ان هذا الرجل اولاً ليس بمقيد في دفتر من تحاذر الحكومة منهم ، وثانياً أنه أقام هذه المدة في نجد وهي بلاد مسالمة لنا وثالثاً انه لم يأت بشيء مخل بالسياسة اثناء اقامته هناك . ورابعاً ان الوقت الآن وقت هدنة فهو ولو كان تركياً او من الاعداء لما كان لنا عليه من حق . وغاية ما يمكنني ان اعمله معه لو تعود الحرب كما كانت ان ارجعه الى المكان الذي جاء منه. بقي النظر فيه لك وحدك فاعمل ما تراه يوافقك . » وقد ظل سالم يتتبع الاستاذ حتى بعد سفره الى الزبير فانه ارسل الى حكومة البصرة يخبرها بأن الاستاذ من اهل الحركات ومن المهيجين فسأل الحاكم السياسي الشيخ ابراهيم عن الاستاذ هل هو في الزبير ؟ فقال نعم ، فقال ايضاً أين نزل ؟ قال في ضيافتي فقال سمعت انه من المهيجين فنفى الشيخ ابراهيم عنه ذلك وقال انه كان قد قام مع الاتراك في اول الحرب ظناً منه ان الحرب دينية وان كثيرين مثله كانوا على هذا الاعتقاد ، ولكن بعد ان تبين له أن الحرب سياسية لا دينية ترك القتال وفر بوجهه الى نجد واقام فيها إلى وقت الهدنة ، وأما خروجه الأخير من الكويت فليس هو لأمر سياسي وانما هو لمنافسات بينه وبين بعض طلبة العلم ليس إلا ، فاقتنع الحاكم بما سمع .

ان هذه الحادثة من سالم وهو الرجل الصالح التقي لمحزنة جداً بل لنراها من أعظم سيئاته سيما والاستاذ لم يأت ما يستحق عليه هذا العقاب الفظيع فنعذره فيما فعل ، نعم إن سالماً توهم اموراً جسمها له تخوفه ، اموراً لو فرضنا انها صحيحة فلا تبرر ما عمل ، اذ ليس مثل الاستاذ اهلا للطرد والنفي ، وهو العالم الفذ والمحقق البحاثة والتقي الورع ، وهاك الاسباب

التي هي أقصى ما يمكن ان يعتذر بها المعتذرون عن سالم .

(احدها) توهمه ان يكون بين الاستاذ وبين الامير الجليل الشيخ احمد آل جابر تواطؤ واتفاق عقد في السنة التي حج فيها الأمير واستصحب الاستاذ معه من عنيزه الى مكة المكرمة ولكن هذا التوهم في غير محله فلا تواطؤ ولا اتفاق .

(ثانيها) يرى سالم أن من حقوقه أن لا يقدم امثال الاستاذ ممن لهم شخصيات بارزة الى بلده من غير ان يستأذنوه وهذا ان كان حقاً صحيحاً لسالم فليس يوجب ما اجراه مع الاستاذ .

(ثالثها) ان سالماً قد التف حوله بعض المنتسبين للعلم ممن كان يرفع علمهم فوق كل علم وعقيدتهم فوق كل عقيدة وقد كانوا يتخوفون من مزاحمة الاستاذ لهم بما له من علم واسع واطلاع غريب اذا وطئت اقدامه الكويت ، وما زالوا لهذا التخوف يرمونه عند سالم بفساد العقيدة ويوحون اليه ان إبعاده من محيط الكويت امر واجب وطاعة من اعظم الطاعات . وهكذا لا زال الدجالون يرمون المصلحين .

والى هذه الحالة المؤلمة يشير صاحبناالأديب الفاضل سليمان افندي العدساني بقصيدته الغراء التي قدمناها كاملة في غير مكان .

ان الكويت لبعدكم كادت ابلواهـا تميد
فاصفح لماضيها وغض الطرف عن ذاك البعيد

الى ان يقول :

عجبي لقوم أغضبوك أمـا بهم رجل رشيد
آذوك لما أن دعو تهم الى أمر مفيد
هذي السفاهة أغضبت رب الخلائق والعبيد

وفي النهاية نسأل الله لسالم العفو والمغفرة من هذا الذنب فان سالما والله

لعزيز علينا وكبير ان يصدر منه مثل ذلك .

سالم وابن سعود

لم تستحكم حلقات العداء بين آل الصباح وآل السعود في يوم مـــا مثل استحكامها بين سالم وابن سعود ، ولم تحدث معارك مخزيـة ذهبت فيها أنفس عديدة وأرواح ، مثل تلك المعارك بين هذين الاميرين على ان سالما في هـذا كله لم يمثل دور السياسي المحنك أمام خصمه ليقضي عليه وقد كان في وسعه ذلك ، لو كان كما قلناه في وصفه ، ولكن لسياسته الخرقاء أنزل به ابن سعود من الخسائر ما طارت به الاخبار شرقا وغربا .

أسباب العداء بين الاثنين

كان للعداء الذي حصل بين الأميرين اسباب عديدة يتشبث كل منهما بما يبرر به عمله وبما يرمي به التبعة على صاحبه . وانـــه هو الذي اضطره الى ذلك . أما أنا فسأسلك في هذا الفصل المنهج الذي سلكته في بحثنا المتقدم في ترجمة مبارك متجنبا كل ما يشتم منه رائحة التحزب مفسحا المجـال لارباب النقد والتمحيص .

ما يقوله أنصار ابن سعود

ينزه هؤلاء ابن سعود من الاعتداء ويرمون سالما بقنابله ويرونه بلا استثناء هو الباغي ويعتزون على خصومهم ببراهين عديدة نلخصها فيما يأتي :

احدها ــ ان ابن سعود لقي من سالم صدودا وإعراضا في زيارته الكويت أيام جابر ، وهذا أول شيء اثار حفيظة ابن سعود على سالم .

ثانيها – وقوف سالم في وجه ابن سعود عندما أراد الإجهاز على العجمان بعد حادثة الإحساء وبعد أن أصلح معهم سالم بأمر أبيه .

ثالثها – ايواء سالم للعجمان وقبضه عليهم وهو يعلم أنهم من ألد اعدائه .

رابعها – نفرة سالم من مذهب الوهابيين وعقده لبعض معتقديـه مجالس

الوعظ التي يرميهم فيها بفساد العقيدة وبالجهل والتعصب وهو شاهد .

خامسها – تمييزه لوفود ابن الرشيد بالحفـــاوة والإكرام على وفوده وهو يعلم ما بين الاثنين من العداء المتفاقم . هذه هي الأسلحة التي يقاتل بها أنصار ابن سعود أتباع سالم . وهذه هي البراهين التي يدلون بها في ميــدان الشجار والجدال . فهل يسلم بها أنصار سالم وأتباعه ، ويرونها من المتانة بحيث يصعب عليهم هدمها وإبطالها ؟ أم ماذا يقولون فيها ؟

ما يقول أنصار سالم

يقول هؤلاء لأتباع ابن سعود ان ما احتججتم به ليس بأهل لان يقــام له وزن أو جدير بأن يسقط به اللوم والعتب عن ابن سعود ، سلطان نجد ، او ينفي عنه إثم الاعتداء على سالم ورعيته وعشائره وبلدته . على أن الحجج التي بيدنا أقوى واعظم والبراهين أمضى وأحدّ ، وها هي فانصتوا لها واسمعوا :

احدها – الجفاء الذي أظهره ابن سعود للكويت وأهلها والسعي الحثيث ضد مصلحتها وهو الغريق بإحسانها ، المشمول بنعمة حكامها ووجهائها يوم أن كان صفر الكفين من الحكم ، ويوم أن قبض على صولجانه بيده ، وجفاء مثل هذا يبدر من عظمته وهو والكويت كما علمت لا بد وأن يحدث أثرا سيئا في النفوس ، ويبعد ما بين القلوب من محبة واتحاد ويلقي على عظمة السلطان المسؤولية الكبرى فيما عمل لان الواجب يقضي عليه والحالة هذه ان يقابــل سيئات الكويت لو كانت بالاغضاء والتجاوز .

ثانيها – تزكية ابن السعود للعوازم وهم من قبائــــل الكويت كما مضى واعتذاره بخطأ اعماله ليس بشيء وكل من عرف دهاء الرجل لا تخفى عليــه الحقيقة التي يريد عظمته سترها .

ثالثها – تكفير الاخوان لاهل الكويت وسالم في معيتهم وشدتهم اذا ما ولجوا أسواقها واختلطوا بأهلها .

رابعها – المراوغات التي أجراها ابن سعود مع مبارك والاعتداءات التي

وجهها اليه أيام حياته وما يؤذي الاصل يؤذي الفرع طبعا . فبهذه الاسباب وبالاسباب التي سيأتينا الكلام عليها تكون الحجة القوية والعذر الواسع لسالم لو كان هو المبتدىء بالحرب التي ثارت بين الأميرين فكيف وهو مع هذا كان مخلدا إلى الراحة متفيئا ظل السكون ، ولم يبد منه أي شيء يسبب إراقة الدماء ويشعل نار الحرب الضروس التي فاجأه بها خصمه ورماه بقنابلها النارية متظاهرا أمام الناس بالأسباب التي أسلفنا لك ، والتي لا يغنيه الاعتماد عليها فتيلا عند من يعرفه ويعرف حنكته السياسية نعم اذ الحقيقة الناصعة التي لا غبار عليها أن ليس للحرب التي صارت إلا سبب واحد خفي لا غير وإن تعددت الاسباب الظاهرة وتناقلتها ألسنة الناس .

ذلك أن الاستيلاء على الكويت كان هو هم ابن سعود الوحيد وشغله الذي أقلق راحته وأزعج باله ، لعلمه أن نجدا بدون الكويت لا تساوي قلامة ظفر ، ولم يزل لهذا يترقب طلوع فجر الفرص التي تسهل عليه اقتناصها والقبض على تاجها فجاءت أيام سالم التي رآها من أحسن الأيام لتنفيذ خطته وقضائه من الكويت ما يريد ، علما منه أن صاحبنا ليس أهلا للثبات أمام دهائه ومعرفته ، وأمام حنكته وتجاربه ، ولكنه مع هذا لم يشأ أن يتظاهر بالابتداء بالعداء (وكان قادرا على ستر ذلك) لئلا تكون الحجة القوية التي لا يمكنه ردها عليه فشرع ينوع الأسباب التي تثير سالما ويكثر التحرش به من طرف خفي بعد أن نصب الفخ في الطريق وكان أول شيء قام به أن أمر ابن شقير في رجب سنة ١٣٣٨ بالبناء في أرض هي من حدود الكويت الجنوبية . وقد أرسل سالم الى ابن شقير عندما بلغه الخبر من يمنعه ولكن ابن شقير قابل الرسول بكل برودة ورفض أمره رفضا باتا إلا أن يأتيه بأمر ممن كانت له الكلمة النافذة عليه ثم تلا هذا أن أوعز ابن سعود أيضا إلى طائفة من مطير بالغارة على أطراف الكويت وقطع سبلها ومنع الغادي والرائح منها . ومطير هي من القبائل التابعة له التي ليس بوسعها مخالفة أمره قيد شعره فشرعت تشن الغارة تلو الأخرى كما أمرت اثارة لسالم

وتحرشا به وكان إذ ذاك أحد شيوخها في الكويت ، فــلم يطق سالم الصبر بعدما جرى وبعدما اضطرمت النار في قلبه فطرد ذلك الشيخ من مدينتــه محتجا عليه بما عملته قبيلته وما قامت به من الاعتــــداء وأسمعه من اللوم والتأنيب ما خرج به من الكويت مغاضبا ومناصبا لسالم العداء وقــد أحس سالم اذ ذاك ان ابن سعود له إصبع عاملة في الأولى والثانية فرأى أن يأخذ بشيء من الاحتياط والتحفظ لئلا يندم ولكنه وياللاسف احتياط انقلب عليه.

أرسل الشيخ دعيج بن سليمان القائد البري على رأس سرية الى فيــــافي (قرية) وأمره ان يضرب خيامه بين عربان الكويت القاطنين هناك وقــد أرسله لأمرين لإدخال الرعب أولا في قلب ابن شقير الذي شرع في بناء (قرية) عله يتحول عن عزمه وثانيا ليحمي عربانه من اعتداء الإخوان ظنــا منه أن اسم سرية لسالم بن مبارك آل الصبــــاح ستحميهم وتضرب بينهم والمعتدين بسور من حديد وأنهم لا يتجاسرون ان يدوسوا لسالم أمير الكويت خطــة مهما كان ضعفه . قاس أيامه بأيام أبيه ولكن (فاتك الشنب) انه قياس مع الفارق فمبارك كانت تهاب من ذكره العربان وتخشى سطوته الاسود لغــاراته المتوالية التي كان يخوضها بنفسه والتي ليس لسالم واحدة منها .

سار الشيخ دعيج كما أمره سيده وقد أوصاه أن لا يحدث حدثا إلا بأمره ولا يقوم بعمل الا باسترشاده . سار ثم هناك بين العربان ضرب أطنابه وأناخ ركائبه ، فعلم ابن سعود إذ ذاك أن الفرصة قد حانت لإنزاله بخصمه العذاب الاليم ، بل علم بقرب تقويض خيامه وقطع شأفته ، وان لم يتظــاهر بذلك أمام الناس . ذلك لأن القبيلة التي أعلن سالم عليها الحرب من مطير في إمكانها مع من يلتف حواليها من القبائل جعله اثرا بعد عين ، وقطــع الطرق التي يسلكها .

واقعة حمض

بعد أن سار الشيخ دعيج إلى «قرية» كما علمت وأقام بين عربان الكويت

المتفرقين هناك ، وأوعز ابن سعود من طرف خفي الى فيصل الدرويش بالهجوم عليهم جميعاً ، صحبهم في ٢٨ شعبان سنة ١٣٣٨ وأنزل بهم تلك الصواعق المحرقة التي التهمتهم التهاماً ، والتي لاندري على من تكون مسؤوليتها . أعلى سالم الذي قيد القائد بسلاسل أمره ؟ أم على القائد الذي جاءه النذير فما سمع لندائه ولا انصاع وقوفاً عند امر مولاه ؟ يلوم الناس الاثنين على ماجرى . وسالم اشدهما ، لتدخله في الشؤون الحربية في الأماكن الشاسعة وهو في قصره وبين أهله وأولاده ، وليس هو مع هذا بالعارف بقضاياها ولا بالفقيه باحكامها . قد يعذر سالم بعض العذر لو كان من المعرفة بحيث يسترشد به المسترشدون في مشكلات الحروب ومعضلاتها ، فيقال رجل لايرى الكفاءة في غيره فله الحق أن يشارك سواه في رأيه ويقيده بما يراه صالحا .

وقعت هذه الواقعة في اليوم الذي وقعت فيه حادثة الشعيبة بين الاخوان وشمر وأنصار سالم لايشكون أن جيشها المجهز واخوانها المهاجمين لم يتقدموا الا بأمر من سلطان نجد الذي له الكلمة المسموعة بينهم . ويقولون نحن نعرف الحقيقة واضحة وان عظمته ارسل (شويشاً) احد خدامه بكتاب إلى الدويش قبل وقوع الواقعة ليصده عن القتال ، فقد قيل ان (شويشاً) كان حاضراً في اطراف الجيش قبل هجومه وبقي هناك ينتظر لمن العاقبة . وبعد أن وضعت الحرب اوزارها وانتصر الاخوان على خصومهم ، أقبل كالمذعور وهو يحوقل ويسترجع على ما جرى ، والسياسيون لايلومون عظمته على ماعمل . فالحكم يتطلب الدهاء والمكر ويقتضي الخداع والمراوغة ، وانما يلومون سالماً على إهماله وتفريطه وهو يعلم أن أمامه داهية ينام الناس وهو يقظان ويتنسم المترفون وهو في نصب ، يلومونه اللوم الشديد لان من لم يكن كما قال الشاعر:

اذا لم تكن ذئباً على الأرض اطلسا كثير الأذى بالت عليك الثعالب

بل كان عرضة للفناء والاضمحلال . عرضة للهلاك والدمار . وهدفا للجور والاعتداء حتى من أقرب قريب اليه ، وأحب الناس له :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لايظلم

نعم ان ذلك الاهمال الذي جرى من سالم ، أفقده قوة عظيمة من جيشه ومالاً وفيراً لايعد ولا يحصى .

بناء سور الكويت في رمضان سنة ١٣٣٨

في أثر حادثة حمض التي أولجت الخوف في الأفئدة ، وأطارت النوم من الأعين صمم سالم على إحاطة المدينة بسور منيع ليصد عنها الهجمات ويطفىء به جمرة الخوف التي اتقدت ، ويخفف من الوساوس التي ساورت الناس إذذاك وازعجتهم ، ولم يقبل فيما رأى أخذاً ولا رداً ممن دهشوا من تصميمه وعدُّوه قضاء على حريتهم التي كانوا بها متمتعين ، وقد اشترك الكويتيون عموماً في بنائه وبذلوا همة عظيمة يندر مثلها ويكفي انه لم يمض عليه الا شهران حتى كان سوراً كاملا ، وهو من الطين الخالص إلا أبراجه فمن الطين واللبن معاً ، أحد طرفيه في شاطىء الجون الشرقي والآخر في الشاطىء الغربي ، وله أربعة أبواب منها باب (نايف) و (البريعصي) و (بنيد القار) طوله نحو خمسة أميال تقريباً وقد قام الاهلون بنفقته كلها ولم تمدهم الحكومة ولا بدرهم واحد.

وفد الى ابن سعود

في أثر تلك الحادثة ايضاً ، بعث سالم على أهل الشورى من وجهاء البلد ، ليتعرف آراءهم فيما وقع ، وما هو المنهج الذي ينبغي المسير عليه ؟ وبعد بحث طويل ، ومناقشات متعددة قرروا إرسال وفد الى ابن سعود برئاسة عبدالعزيز الحسن ، وعبدالله آل سميط ، يشرح له ماجرى من الدويش ويستطلع رأيه فيه ، ويطلب منه رد ما أخذ وما نهب .

فسار الوفد في ١٢ رمضان يؤم الرياض عاصمة السلطان ابن سعود ، وبعد أيام قلائل حلوا رحابها ، ثم مثلوا بين يدي عظمته للقيام بمهمتهم . وهناك شرع يلوم سالماً ويعتب عليه فيما كان يتظاهر به ضده ، وقال : « انه اساءني بتمييزه لرجال ابن الرشيد عدوي اللدود ، وكذا في عدم مراجعته اياي فيما يجري من الاعتداء على أطراف الكويت من البادية وسواهم ثم أخذ يبدي

اعتذاره عما جرى من الحوادث الأخيرة ، فقال أمـا اعتداء الدويش فليس لي فيه يد . وقد حاولت قبل وقوع الحادثة صده ولكن الله قضى ما أراد .

وها أنا الآن بعثت اليه من يستل الأموال التي نهبها من يده لترتد الى اهلها ثم إني مستعد إلى إجابة سالم في كل مايريد اذا ما سألني بحق الولاء القديم الذي بيني وآل الصباح ، حتى ولو بالخروج من الاحساء التي امتلكتها (بحسامي) وحتى بان تمتد حدود الكويت الى سور الرياض ، أما أن ادعى بـأن له علي حقاً واجباً يتحتم القيام به ، فأنا لا أقر له به ولا اعترف لا في القبائل ولا في الفيافي والقفار وملك آبائي القديم يشهد لما أقول .» ثم بعد أن رمى ابن سعود سالماً بما سمعت بين يدي وفده الذي لزم الصمت كتب اليه كتاباً فيه من الاجحاف بواجب الكويت وفيه من الاعتداء على حقوقها الظاهرة مايعرفه كل من وقف عليـه فقد علق فيه رد المنهوبات التي اخذها الدويش على أن يتنازل له سالم عن العشائر التي تحت يده ، وعلى أن لايخرج من الكويت جيشاً مقاتلا .ثم اعطاه ناصر ابن فرحان الذي اصطحب الوفد في رجوعه ، وقـد حل الكل ربوع الكويت في شوال .

ومن غرائب الاتفاق أن ناصر بن فرحان في يوم وصوله شرع يملي على سالم في مجلسه العام خبر انتصار الاخوان على شمر في حادثة الشعيبة وبين له الخسائر التي لحقتهم من أيدي الاخوان وما كاد ينتهي من حديثه حتى أناخ وفـد ابن الرشيد ركائبـه مبشراً بانتصار شمر في نفس تلك الحـادثة فأخذ زعيمه يقص الخبر على القوم ولكن بعكس ماسمعوه اولاً ، فـاصغى سالم بجميع جوارحه الى المحدث واستلذ روايته المزورة، وبدا البشر على محياه ضد ما اصابه من الحديث الأول فعد ابن فرحان ذلك إهانة من سالم مقصودة وميلا ظاهراً لابن الرشيد ولقد يكون سالم معذوراً في هذا الميل أو مضطراً اليه بعد ان علم بما يحاوله ابن سعود منه وبما يطالبه به من التنازل عن حقوقه وعلى كل فقد جرت بين الاثنين مناقشات لم تسفر عن نتيجة ولم تزد الامر إلا تعقداً واخيراً اجاب سالم ابن سعود على طلبه بقوله : « امـا طلبك تنازلنا عن

العشائر وان لانخرج من الكويت جيشاً مقاتلا ، فهذا مع كونه اجحافا بحقنا ما كنا لنتصوره من حضرتكم وهو مخل بشرفنا الذي كنا على يقين من حرصكم على المحافظة عليه . واما مانهبه الدويش فلا نعذركم في عـــدم ادائه وانتم تعلمون انه من المعتدين ثم اننا على اتم استعداد لمساعدتكم والقيام بما يسركم وسترون منا من الاكرام اعظم مما رأيتم سابقاً ». وأعطى الكتاب ناصر بن فرحان الذي سافر في آخر شوال وفي معيته مبارك بن هيف وهلال مندوبين من سالم الى ابن سعود . ساروا جميعاً وبعد ان وصلوا الرياض وسلم ناصر الكتاب الى ابن سعود وهمس بأذنه بما شاهد وسمــع في الكويت استشاط غضباً وتميز حنقاً واكثر اللوم على سالم وذويه وانتهز ماجرى فرصة لتبرير إعلانه الحرب ، حيث علم أن ستكون له حجة قوية على خصمه الذي تظاهر بمـــا قصصناه . فقال لرسوليه كلمته الصريحة في ذلك ، ومـــا كاد يلفظها عظمته حتى طارا بها يجاريان الريح ويسابقان الطير الى ان رميا تلك القنبلة في (صفاة الكويت) فسمع لها دوي عظيم وصوت مزعج أيقظ النائم ونبه الغافل ولكن من حظ الكويت الذي لازالت تحاط به من نشأتها أن تأخر اعلان الحرب الى ان تم بناء السور الذي هو من حسنات سالم فقد كان للكويت منه قوة منيعة لولاها لأصيبت بنكبة عظيمة . أمــا سالم فلم يبد عليه شيء من الخوف والخور أمام ذلك النبأ الخطير – بل شرع يستعد بهدوء وسكون فاستدعى قبيلة شمر وكانت اذ ذاك قاطنة على (سفوان) فاجابت وانزلها (الجهرى) مغدقاً عليها الأموال الطائلة . ثم رأى ان تكون فاتحة اعماله غزو ابن شقير في (قرية) وأخذه على غرة فجهز له جيشا بقيادة الشيخ دعيج بن سليمان ، وضاري ابن اطواله ، أحد زعماء شمر وبينما كان الجيش سائراً انفلت منه احد الموالين للاخوان خفية وذهب نذيرا لابن شقير وقومه وبذلك علم الجيش الصعوبة التي سيلاقيها من هجومه فرجع أدراجه .

سالم والحكومة الانكليزية

في ذي الحجة سنة ١٣٣٨ قدم سالم الى انكلترا احتجاجاً على تعديات ابن

سعود وعلى طمعه في الكويت وحدودها ومحاولته ضم عربانها اليه وفي إصراره على عدم تسليم منهوبات الدويش في واقعة حمض ، فأجابته الحكومة بأنها ستعين مميزاً ليميز الحدود بين الكويت ونجد على شرط أن يقبل الاثنان ما يحكم به وانها ستبت في الامور التي رفعها اليها ثم طلبت منه قبل كل شيء أن يكف عن الاعتداء على ابن سعود ورعاياه وان يقدم لها المواد التي يريد البحث فيها مبيناً ما يقبله منها وما يرفضه فقدم لها ما طلبت ولكن حصل فيها شيء من التعديل . (١) ان تمتد حدود الكويت من جزيرة العمار جنوباً الى قرب انطاع وإلى وبره واللهابة والقرعة واللصافة الى حفر الباطن وشمالاً إلى جبل سنام وسفوان وام قصر (٢) ان كلا من الحاكمين هو المسئول عما يجري في حدوده من تعديات العرب الساكنين هناك (٣) اعطاء العشائر الحرية التامة في الانضمام الى اي حاكم يرونه أقدر من غيره على حمايتهم وحفظهم من الغارات والاعتداءات ويدفعون له دون غيره زكاة اموالهم . (٤)اذا حدث شيء من الغارات بين البادية او نزاع فالفصل فيه للحاكمين انفسهما إلا إذا عجزا فيرجع الامر اذاً الى وكلاء الحكومة في الكويت والبحرين . (٥) تكون التجارة حرة بدون معارض .

سالم والسر برسي كوكس وفلبي

في ١٥ محرم سنة ١٣٣٩ وصل كوكس وفلبي الكويت بعد اجتماعها بابن سعود في العقير فشرع سالم يتظلم أمامهما من تعديات ابن سعود ومن أعماله التي كان يوجهها الى الكويت ولكن فلبي قاطعه قائلا : « انت المعلن الحرب ابتداء على عشائره وانت المعتدي عليه وعلى عربانه وها أنت قد بعثت بجيش الى القرية لتهاجم عشائره هناك وهم آمنون » فأسكت سالم وقد أخذت الحدة منه مأخذها ، وقال لا كلام معك وليس لك أن تتفاضل بالحديث أو تخوض فيما لا يعنيك فأشار السر برسي كوكس الى فلبي بالسكوت.

حادثة الجهرى

في أثر الاجتماع الذي حصل بين كوكس وابن سعود في العقير أمر ابن

سعود قائده المشهور فيصل الدويش بمهاجمة الجهرى فهجم عليها صبيحة الأحد ٢٦ محرم سنة ١٣٣٩ بنحو أربعة آلاف من الاخوان ولم يكن في الجهرى إذ ذاك إلا نحو الف وخمسمائة مقاتل أما الاخوان فقد أصيبوا في هجومهم ذلك بما أضاع رشدهم وتركهم حائرين وسط الميدان ، ولكن ماذا يصنعون وقد وقعوا في شبكة لا خلاص لهم منها فالارض بيضاء بلقع لا عوج فيها ولا أمتا ، والهلاك ملازم لهم إن اقبلوا أو أدبروا ، غير أنهم أخيراً صمموا على الإقدام مهما أصابهم ومهما نزل بهم وقد فعلوا إلا انهم تباعدوا عن الجهات التي ذاق الكثير منهم الحمام منها واسرعوا الى جهة من القرية ظنوها خلواً من المقـــاتلين ولكنهم هناك وجدوا رجالا أشداء اشتركوا وإياهم بمعركة تشيب لها الولدان . كان الاخوان فيها يتساقطون بلا عد ولا حساب ، وكاد يقضى على بقيتهم لولا نفاد ذخيرة الكويتيين الامر الذي جعلهم يركنون الى الفرار ويدعون معتصمهم مدخلا للاخوان الى القرية .

أما أنا فكنت مع ثلة من الاصحاب امامنا فرقة من الاخوان صبغنـــا الارض من سواد جثتهم ولم يبق منهم إلا افراد يعدون على الاصابع أطلقوا لانفسهم عنان الهرب فحصل لنا اذ ذاك فصل قصير من الراحة كنا نتساءل فيه عن حقيقة الواقعة وفيما نحن كذلك ، واذا بعبدالكريم بن سعيـد أمير الجهرى قد أقبل علينـا وليس عليه من اللباس الا سرواله ، وعلائم الدهشة والاستماتة ظاهرة في وجهه ، فسألناه عمـــا وراءه فقال قضي الامر ودخل الاخوان القرية وانتشروا في شوارعها وبساتينهـا فانجوا بانفسكم فانهم منكم قريبون وهناك طفقنا نعدو إلى (القصر الاحمر) لا يلوي احد على أحـد وكنت وحدي اقفز من جدار الى آخر ومن بستان الى سواه حتى ابصرت في أحد البساتين رجلا اصيب برجله وهو يقوم ويسقط ، فنبهني الى وجود أحد الاخوان في ذلك البستان فوقفت برهة أتطلع اليه ولمـــا لم أره أدبرت وعنـد ذاك اطلق عليّ طلقتين وقاني الله من شرهما أحدهما وقعت عن يميني والاخرى عن يساري ونظراً لاعتصامه بما يقيه من ويلات عدوه فقد تركته

وشأنه وذهبت الى القصر وجئته قبل ان يغلق فوجدتـــه مكتظاً بالرجال والنساء والاطفـــال وعلى وجوه الكل امارات الخوف ودلائل الذعر وهم بحالة تفطر الاكباد وتذيب الفؤاد فمن واضع يديه على خديـــه ومن ماسح دموعه بيديه ومن متضرج بدمائه او معلق يده المكسورة على عنقه ، مشهد مريع أيقن الجميع بعده بالهلاك العاجل ، علموا ان الاخوان بعـــد احتلال الجهرى لا يغادرونها وانهم سيظلون محاصرين لهم إلى أن يضطروهم على التسليم والذي زاد تخوفهم أن ليس في القصر ما يسهل عليهم تحمل الحصار فان كان فيه ذخيرة وطعام فليس فيه إلا بئر واحدة ماؤها ملح أجاج يزيـد الظمآن عطشا ، وفي القصر ما يزيد على ألف نسمة .

تيقنت الهلاك كما تيقنوا ،فأسفت على موت‌لا شهادة فيه ولا عز وقد كان اهتمامي بالامر كبيرا فذهبت الى (سالم) في إحدى حجر القصر وهناك وجدته مضطجعا وعلى شفتيه ابتسامة أعياني فهمها أهي ابتسامة اليأس ؟ وقد يكون لليأس ابتسامة كما للأمل . أم ابتسامة الأمـــل بالفوز والنجاة ؟ أعياني فهم حقيقتها ولكن قرأت في وجه الرجل سورة الشجاعة النادرة والثبات‌المدهش ورباطة الجأش الذي يعز وجودها ، وجدته لم يكترث بتلك الحادثة المفجعة ولم تحدث فيه انفعالا كما أحدثت في سواه وجدته وهو في ذلك القصر المحاط بالأعداء وكأنه بين أهله وخدامه في مغناه ، وقد يظهر للمتفرس فيه انه‌واثق من نجاته فقلت يا لها من صفات جديرة بالزعيم الكبير .

ابصرني اذ ذاك فقال ما عندك يا (فلان) فأعلمته بما خالج ضميري فقـال حسنا ما رأيت ولكن الوقت حره شديد فلننتظر الى المساء ثم رأى إذ ذاك ان يرسل الى الكويت من يستصرخهم فأرسل مرزوقا ومرشدا الشمري على أجود ما في القصر من الخيل وخرجا منه على حين غرة من الاخوان ولقـــد أحسن سالم بما صنع فان الإخوان ما كادوا يبصرون الفـــارسين الا وشملهم الخوف وأحاط بهم الفرق‌سيما وقد اصيبوا بخسائر عظيمة في الذخيرة‌والأرواح ضعضعت قواهم وأنزلتهم على شفا حفرة من اليأس والذي زاد ذعرهم مـــا

أبصروه من السفن الشراعية التي أقبلت من الكويت فبذلك علموا بقرب حينهم ولكنهم دبروا حيلة تخلصوا بها ، ذلك أنهم ارسلوا مطلق بن مسعود الى سالم ليعرض عليه الصلح فقال له بعد اجتماعه بـه أن الاخوان صمموا على مهاجمة القصر ليلا ولكن الدويش وعالمهم ابن سليمان لم يسمحا لهم الا بعد رفضكم الصلح وفي عزم الدويش ان يأتي اليكم بنفسه ليفاوضكم بذلك ثم سأله سالم عن حقيقة الواقعة فقال: « انكم قتلتم كثيرا من الاخوان وبقي منهم كثير ومصيبتهم العظيمة هي بنفاد الذخيرة من حقائبهم . »

مضى الرجل بعد أن علم برغبة سالم بالصلح وجاءنا بعده (منديل بن غنيمان) أحد اقارب الدويش نائبا عنه فقال لسالم ان الدويش يريد مسالمتكم وهو يدعوكم الى الاسلام وترك المنكرات والدخان وإلى تكفير الأتراك فان أذعنتم لما اراد وقبلتموه أسلمكم على القصر وما فيه والا فسيرخص للاخوان بمهاجمتكم فأجابه سالم بقوله أما الإسلام فنحن مسلمون ولم نكفر يوما مـا لأن الاسلام مبني على خمسة أركان ونحن نحافظ عليها ونزيل من المنكرات ما في وسعنا ازالته ولم يثبت عندنا ما يوجب تكفير الأتراك وقـد جرى ذكر عالمهم ابن سليمان في اثناء الحديث فقال سالم أنا أحب ان يـأتي ليبحث مع فلان (كاتب هذه السطور) فليتفضل فقلت أنا لابن غنيمان اني أود ان يضمني واياه مجلس لنتجاذب وإياه أطراف الحديث في المسائل الخلافية فعسى ان يجيء لتحقق الامنية .

غادرنا ابن غنيمان وما بت في شيء مما جرى ولم يظهر أيضـا شدة من رفض سالم لما طلب وبعد هنيهة من ذهابه سمعنا رميا متواصـلا قرب شاطىء البحر فقلت : قتال بين الاخوان وبين اخواننا من أهل السفن وبذلك ترجح لدي أن الإخوان خدعونا بما حصل فأعلمت سالما بما رأيت ورجوته فتـح الأبواب لنصرة اخواننا المقاتلين ولكنـه قال لي انهم سيدافعون عن انفسهم بأنفسهم .

غربت شمس ذلك اليوم ولم يجيء الينا أحد فأخذنا الاستعداد للهجوم وبعد

أن مضى هزيع من الليل هجم الاخوان وهم رافعون الأصوات بقولهم(ابراهيم يا عمود الدين محمد يا رسول الله هبت هبوب الجنة وين انت يا باغيها) هجموا وهم متأبطون المعاول وحاملون الفؤوس ولكنهم ما كادوا يتقدمون خطوات قليلة حتى أصيبوا بما لم يكن لهم في حساب اصيبوا بسوقهم وارجلهم من فوهات صغيرة فيأسفل القصر فرجعوا خائبين خاسرين وقد أثخن فيهم القتل والتجريح .

صعب على الدويش رجوعهم فتظاهر بأن سيكون هو حامل الراية بنفسه في الهجوم الثاني وأوعز الى احد مقربيه أخذهامنه اذا ما تقدم ولكن حيلته لم تطل عليهم فقد انكشف لهم الغطاء اثناء الهجوم فنكصوا على أعقابهمومع هذا فإنهم أعادوا الهجوم مرة ثالثة وكان حظهم على منوال ما سبق .

انبلج الصباح من اليوم الثاني وكانت مصيبتنا من العطش اعظم من كل مصيبة ، مصيبة بلغ بنا اليأس من جرائها أشده ونفد منا ماء الجلد والصبر ولكن مركبا بخاريا خلفه سفن شراعية أبصرناه اذ ذاك خفف علينا شيئا من تلك الوطأة الثقيلة وكذلك ما تخيلناه من اقبال النجدات البرية وفيما نحن كذلك وقد رششنا بماء الأمل والحياة اذا بعالم الاخوان عثمان ابن سليمان قد أقبل لتكميل حديث الصلح فانفرد به سالم في أحد أبراج القصر وفي معيته الشيخ علي آل خليفة (وكاتب هذه السطور) فكان من حديثه لنا ان قال ان الاخوان هموا بالهجوم عليكم البارحة ولكني قلت ان فعلتم قبل ان تيأسوا من قبولهم الصلح فقاتلكم ومقتولكم في النار ومقتولهم في الجنة صارحنا (هذا العالم التقي) بما سمعت ولم يستح من الخداع وقد اردت أن ابثه اذ ذاك ملاحظات على قوله ولكن أرجأته إلى أن يدور البحث بيني واياه وقد كان كتاب من الدويش يتضمن جل المواد التي اشترطها ابن غنيمان آنفا وهو غير مختوم فسلمه الى الشيخ وطلب منه الجواب على ان يكون مختوما ولكن سالما أجابه عن مواده شفهيا بمثل ما أجاب به ابن غنيمان وقال اني سآمر (فلانا) (كاتب هذه السطور) بالجواب من غير ختم لان كتاب الدويش كذلك وهنا

سأل ابن سليمان عني فقلت له : « أنا عبد العزيز آل الرشيد حنبلي المذهب سلفي العقيدة ولا أكتمك أنا سررنا أولا من اقبال الاخوان على الدين ورجونا ان يكون على ايديهم تقويم أوده ونشر الاخلاق الفاضلة وعلى أيديهم ازالة المفاسد والمنكرات ، حتى لقد كان بعض علمائنا ينادي بمدحهم على رؤوس الاشهاد ويقول هم النزاع من كل قبيلة الذين ورد فيهم الحديث ولكن خابت فيهم الآمال أخيرا لما احدثوه من قتل النفوس وسبي الأموال ، فان هذا قد صورهم بصورة المتوحشين الذين لا يعقلون من الدين شيئا وبذلك نفر الناس منهم ونأى عنهم حتى محبوهم بمقدار ما تقربوا منهم وما ذاك إلا لأنهم خالفوا تعاليم الدين باستعمالهم الشدة والقسوة والإسلام دين رفق ولين وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة في ذلك.كانت عنده أم المؤمنين عائشة رضي‌الله‌عنها فجاء إليه نفر من اليهود فقالوا السلام عليكم فقالت وعليكم السام واللعنة » وما كدت انتهي الى هذا الحد من الحديث حتى قال لي يا (فلان) لسنا في وقت بحث ولم نأت لمذاكرة ولقد صدق (فان ملامح وجهه ولهجته يشرحان لنا الخوف الذي أصابه والاضطراب الذي غشيه بل ويشرحان لنا حقيقة الخداع الذي اتصف به (وهو العالم الديني) فيما قال أغلق امامي بابا كنت اعلل نفسي بفتحه نعم أغلقه ولكني بقيت منتظرا ما سيفوه به سالم من الكلام على النقط التي سيكون مدار الصلح عليها فانتظرت وانتظرت وعندما يئست تجاسرت بحضرته فقلت لابن سليمان على أي شيء سيعقد الصلح قال على القصر وحده وما فيه قلت لا بل عليه وعلى الجهرى معا وإلا فلا صلح فقال ولم يمانع لا بأس ولكن أمهلونا ثلاثة أيام . فقال حضرة الامير هنا ، نحن اذا تمّ الصلح بيننا والإخوان فسنسمح لهم لا بثلاثة أيام وحسب بل بثلاثة أشهر وزيادة ثم قال مخاطبا لابن سليمان ايضا ، لماذا هذا القتال بيننا وكلنا مسلمون موحدون ، وأمامنا عدو لدود يريد القضاء علينا جميعا ? هيا بنا لنرمي الضغائن والاحقاد ونكون يدا واحدة عليه ، وهذه فكرة جميلة تدل على صدق سالم وإخلاصه ولكن أقول ان التصريح بها امام مثل هذا الرجل يدل على السذاجة والبساطة ، وقد أكثر سالم القول هناك بما لا أحب ذكره الآن

ثم جاء اثناء ذلك من أخبره بأن احد الاخوان استاق بعيرا مما كانت تحميه نار بنادقنا فالتفت سالم الى ابن سليمان كالمنكر عليه هذا العمل وهذا الاعتداء من الاخوان فاستغرب ولكننا لما قمنا واياه أبصرنا الامر كما قيل بل وأبصرنا في أبط الغاصب سرقة اخرى عند ذلك رفع ابن سليمان طرف عباءته فقال (أيها الإخوان إن أموال اهل الكويت عليكم حرام وما كاد الغاصب يسمع الصوت حتى ترك البعير وولى هاربا فقلت في نفسي ، ما أعظم وزرك يا ابن سليمان وما أثقل حملك يوم القيامة ! في استطاعتك منع الاخوان عن الاعتداء بطرف عباءتك ثم لا تفعل وفي وسعك القبض على أيديهم عن سفك الدماء ونهب الاموال بكلمة تخرج من فيك ثم تضن بها إنك والله لمن الظالمين بل عليك اثم تلك الدماء العزيزة وعليك مسؤوليتها يوم لا ينفع مال ولا بنون .

قضى ابن سليمان هذا الدور كما سمعت وأراد تمثيل دور آخر عند انصرافه فانه قال لسالم اسمح لفلان (كاتب هذه السطور بالذهاب معي الى الدويش) ولكن سالماً لم يجبه إلى طلبه ، أما أنا فكان ودي اجابته لولا علمي بخداعه فيما طلب ذلك أن الاخوان كانوا في خوف شديد من مطاردتنا إياهم إذا ماارتحلوا فارادوا ان يتخذوا رهينة بأيديهم تمنع عنهم ما كانوا يتخوفون وقد رأوا القبض عليّ أحسن رهينة .

ذهب ابن سليمان ليخبر الدويش بما تم ، وما هي الا بضع دقائق حتى أقبل علينا فزعم أن الدويش رضي وأنه سيرحل بعد الظهر من ذلك اليوم وقد انتهز الاخوان فرصة الهدنة فهجموا على سفينة على شاطىء البحر مملوءة أطعمة فأخذوها ولما احتج سالم على ابن سليمان قال : ان نهبها كان قبل تمام الصلح وان كان بعده فدعوها طعمة للاخوان فهم أحوج بها منكم .

انصرف ابن سليمان عنا الى اخوانه وما كادوا يبصرونه حتى ابتدروا الرحيل الى الصبحة تاركين من قتلاهم ما لايقل عن ألف وخمسمائة وحملوا من

الجرحى عدداً كثيراً ثم خرجنا من القصر بعد ارتحالهم لنستنشق الهواء الطلق ونقف على كثير من القتلى الذين استشهدوا في سبيل الله والوطن وان أنسَ فلا أنسَ منهم ذلك الشاب النبيه الفاضل الشهيد المرحوم علي بن شملان بن علي آل سيف فقد أراد القضاء ان يذوق الحمام في تلك المعركة، ابصرته منطرحاً على الأرض وهو متوسد احدى يديه كالنائم المشتغل باحلامه اللذيذة أبصرته وقد عفر التراب وجهه فلم أملك عبرتي[1] على فضله الجم وعلى حريته وعبقريته. حقاً انه لم يؤثر في نفسي منظر مثل ذلك الشهيد ، وهنا رأينا الواجب يقضي بمواراته بثيابه ودمه الذي سيشهد له يوم الحساب ورأيناه على ملة الله ورسوله قائلين في ذمة الله انت يا علي ، لقد علقنا عليك آمالا كبيرة ولكن أبى الدهر إلا أن يفجعنا بك قبل تحقيقها ، انا لمحزونون على فراقك ولكن ما الحيلة والقضاء لايغالب ، فانا لله وانا اليه راجعون .

رجعنا الى القصر وبتنا فيه ليلتنا تلك وفي صبيحة اليوم الثالث خرجت

---

(١) وقد رثاه شاعر الكويت بقصيدة عصماء مؤثرة منها :

وهيهات اني بالتصبر بعدما ... تولى على طاهر الردف اظفر

الى ان قال :

وقل لذاك الشهم دمع أذيله ... ولو أنه مثل اليواقيت احمر
ففي كفه بحر يمد رغائباً ... فياليت ذاك البحر ماكان يجزر
ابا يوسف شوقي اليك يشبه ... ويصره بين الضلوع التذكر
أبا يوسف فداك لو افتدى ... من الموت انسان يجل ويكبر
ولكن هذا الموقف شيء مقدر ... وما حيلة الانسان فيها يقدر
أبا يوسف تهنيك دار دخلتها ... ويهنيك فيها سلسبيل وكوثر
أبا يوسف والله أفتأ دائباً ... انظم فيك الشعر مدحاً وأنشر
الست سليل الشهم شملان من غدا ... به يزدهي ربع المعالي ويفخر
ربيع اليتامى والارامل غيثهم ... إذا ثار للا محال والجدب عثير
ألم ترن الكل يذكر فضله ... وذو الفضل بين الناس بالخير يذكر
وحق له ما قد اتى من مؤرخ ... لعلى جنات الخلود مبشر

ايضاً وجملة من الاصحاب لنشاهد بقية المعارك الشاسعة فذهبنـــا الى الموضع الذي حطمنا فيه تلك الفرقة من الاخوان كما قصصت أمرهـــا آنفاً فلم نجد أثراً لقتلاها هناك ، فقلت سبحان الله أكانت عيني اذ ذاك ترى مالاحقيقة له من جراء الهول الشديد ، بقيت في حيرة لا أدري كيف التعليل أو التوفيق بين اليوم والامس ، وفيما انا افكر واذا بنسوة أقبلن علينافقالت لنا إحداهن بدون سؤال ان الاخوان ملأوا الآبار والعيون من جثث قتلاهم وأخفوا كثيراً منهم تحت الرمال وماترونه على وجه الأرض قليل من كثير فحلت بمـا قالته لنا الإشكال .

ورجعنا الى الكويت وتركنا من قتلانا في فيافي الجهرى نحو ثلاثمائة شهيد وقد شاء الله ان يشاركنا اخواننا في البلدبعض ماحصل لنا من الخوف والذعر سمعوا في أطراف الكويت رمياً متواصلا في الليلة التي ارتحل فيهـا الاخوان من الجهرى فظنوه منهم وانهم مالوا اليهم بعد ارتحالهم فضجت البلدمن اقصاها الى اقصاها بالنخوة وشرع الناس يتأهبون ويستعدون ، ومـا هي الا هنيهة حتى علموا ان طائفة من العجمان لما اقبلت على الشعب أطلقت النار من بنادقها فرحا بسلامتها من حومة الوغى .

أقام الاخوان على الصبيحة أياماً وقد فتك طيب الجهرى بكثيرمن جرحاهم ثم بعثوا وفداً الى سالم ليستأذنه في دخول البلد للامتيار منها وليرسل معهم رسولا الى السلطان ابن سعود وقد اجتمع الوفد بقنصل انكلترا في الكويت فسأل القنصل زعيمهم أكان هجومكم من انفسكم أم بأمر من ابن سعود ؟ فقال: ابن سعود هو الذي أمرنا بذلك وهو الذي زودنا بالسلاح والذخيرة .

رجع الوفد ولم يتحصل على شيء وقد تكاثرت الأقاويل والاشاعـات بعد خروجه عن قوات جديدة لابن سعود جاءت لتنضم الى الدويش ولتقوم واياه بهجوم آخر على الكويت فاضطر سالم اذ ذاك الى الاستنجاد بالحكومة وطلب معونتها وقد اجابته ولم تتأخر فارسلت الى مياه الكويت المدفعيتين (لورنس) و(اسبيكل) وطيارتين من العراق ، وقد حلقت احدى الطيارتين على الاخوان

فرمت عليهم منشوراً [1] تنذرهم فيه بالضرب اذا اعتدوا على الكويت مرة اخرى وتأمرهم بالارتحال فارتحلوا بعد هذاالانذار من الصبيحة وبذلك سكنت الزوبعة في الكويت واطمأن الناس .

وعلى كل فحادثة الجهرى كانت لنا وعلينا وفيهـا يقول ابن عثيمين أحد شعراء نجد من قصيدة طويلة يمدح فيها السلطـان والاخوان وفيصلا ويعرض بسالم واهل الكويت نثبت ابياتاً منها هنا ليحكم القراء بما تقتضيه .

سقها من البلد المعمور متخـــذا — دليلك الجدى ان لم تهدك النصب

ســلم على فيصل واذكر مآثره — وقــل له هكذا فلتفعل النجب

سيف الامام الذي بالكف قائمــه — ماضي المضارب ما في حده لعب

اذا انتضاه الامــــام في مصارعة — مضى اليها ونـــــار الحرب تلتهب

رأيس علوى علا في الدين مجدهمو — والدين يعلو بـــه لو لم يكن نسب

ومن تبوأ بالدار الـــتي بنيت — على التقى والهدى اكرم بهم (عرب)

---

(1) وهذا نص المنشور وقد رأينا نقله بلفظه ليكون اثراً تاريخياً :

الى الشيخ فيصل الدويش وجميع الاخوان الذين معه :

ليكن معلوماً لديكم بأنه طالما ان افعالكم ضيقت على البادية وحتى على الجهرى ايضاً ، وبما ان الحكومة البريطانية لم تدع لتعمل اكثر مما هي عادتها ان تسعى بحسب الصداقة وراء الاصلاح ،فاما الآن مادام انتم تهددون ليس فقط ضد حقوق سعادة شيخ الكويت الـتي تخالف تأميننا له بل ضد مصالح بريطانيا وسلامة الرعايا البريطانيين ولا يمكن بعد للحكومة البريطانية ان تقف على جانب بدون دخولها في المسألة ثم من التأمينات التي نطق بها من مدة قصيرة سعادة الشيـخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود : كي . سي . اي آي . الى فخامة السر برسي كوكس المندوب السامي في العراق تثق الحكومة البريطانية ان افعالكم هي بعكس ارادة واوامر الامير المشار اليه ولا شك ان سعادته سينبهكم بذلك عندما يعلم بافعالـكم . فبناء عليه بهذا ننبهكم بأنه اذ تجربون ان تهجموا على مدينة الكويت فحينئذ ستحسبون مجرمين بالحرب ليس عند سعادة شيخ الكويت بل عند الحكومة البريطانية ايضاً . فالحكومة البريطانية لم تعتبر ذلك بل ستقابل هذا بافعال عـدائية بواسطة القوة التي تفتكر لائقة ، هذا ما لزم اعلامه لـكم .

تاريــخ ٧ صفر ١٣٣٩

ميجر جي سي مور الوكيل السياسي لدولة بريطانيا في الكويت

الساكنين بأرطاوية نصحوا | للدين بالصدق ما في نصحهم خلب
كذلك اخوانهم لا تنس فضلهم | هم نصرة الحق صدقاً أينما ذهبوا
أعني بهم عصبة الاسلام من سكنوا | مبايضاً ولحرب المارق انتدبوا
واذكر مآثر قوم جل قصدهم | جهاد أهل الردى لله لا (السلب)
هم أهل قرية اخوان لهم قدم | في الصالحات التي ترجى بها القرب
صب الإله على اهل الكويت بهم | سوط العذاب الذي في طيه الغضب
ظلت سباع الفلا تفري جماجمهم | كأنها شارب يهفو به الطرب
كم عاتق تلطم الخدين باكية | تقول وا حرب لو ينفع الحرب
تفآلوا باسمه المنحوس طالعه | بسالم فاذا في سالم العطب
هذا نكال امام المسلمين بكم | فان رجعتم وإلا استؤصل العقب

ما قالته تيمس الهند في حادثة الجهرى ومتعلقاتها

قالت تحت عنوان (الحوادث في بلاد العرب)(انتشار حركة الاخوان) في ١٠ نوفمبر ١٩٢٠ ان الحوادث الجارية في بلاد العرب هذه الأيام لهي مما يستلفت النظر العميق وأهمها انتشار حركة الاخوان التي تحت زعامة ابن سعود أمير نجد ولها مساس بسياسة بلاد العرب والبلاد المجاورة لهاأماالاخوان فهم جماعة من البدو وغايتهم ترقية ديانتهم والدعوة لهـا على طريقة المذهب الوهابي وقد وقع الخلف بينهم وبين البلاد التي هي تحت حكم كل من ابن الرشيد وشيخ الكويت ، وأول نزاع حصل من هذا القبيل هو ان بعض الاخوان المنتمين الى عشيرة امطير خيموا على بعض الآبار الداخلة بحدود الكويت حسب ادعاء شيخها وفي ١٠ اكتوبر هاجمت جيوش الشيخ تلك العشيرة وبعدها هجمت جيوش الاخوان على الشيخ في (الجهرى) الواقعة على بعد اميال قليلة عن الكويت وقد نجم من ذلك الهجوم خسائر كثيرة للطرفين وبعدها انسحب الاخوان وبعد انسحابهم أرسلوا رسلهم الى الكويت حاملة شروط الصلح اشترطوا بها وجوب اعتناق شيخ الكويت وأهاليها لمذهب الاخوان أما الشيخ فقد ماطل الرسل في الوقت نفسه وطلب مساعدة

بريطانيا لتدرأ خطر هجومهم على الكويت ومن الواجب عليناحسب تأميناتنا السابقة لشيخ الكويت ان نحميه من كل اعتداء لهذاارسل الرؤساء العسكريون في العراق طيارتين الى الكويت وانذروا الاخوان بأن بريطانيا مستعدة للدفاع عن الكويت بالقوة اللازمة اذا حاولوا الهجوم عليها وقد ارسلت المدفعيتان « اسبيكل ولورنس » والقيتا مراسيها بالكويت .

بعد الجهوى

بعد ارتحال فيصل الدويش من الصبيحة بما يزيد على الشهرين جهز ابن سعود اولا سرية هجمت على أطراف الكويت وبعدها في ربيع ٢ أقبـل الدويش بنفسه بجيش جرار هجم به على ابن ماجد من زعمـاء امطير شمال الكويت ففتك به فتكا ذريعا وأخذ منه أموالا عزيزة ثم أغار على الظفير وكان حظه منهم حظه ممن تقدمهم ثم خيم بعد هذا قريبا من (الزبير) فبعث اليه حاكمها اذ ذاك الشيخ ابراهيم بن عبد الله آل ابراهيم يسترد منه ما أخذ من الظفير له ولأهل الزبير من إبل وغنم ولكن الدويش رد الرسول برد خشن واستسهـل حتى اعلان الحرب على اهل الزبير .

فرجع الرسول وأبلغ الشيخ ابراهيم بما سمع وما كان من الشيخ ابراهيم إذ ذاك إلا ان ابلغ الحكومة الانكليزية بجلية الامر فارسلت في الحـال عسكرا للمحافظة على الزبير وطيارة حلقت على الدويش منذرة اياه بالعـذاب الأليم إذا لم يرتحل . أما هو فأسرع بالاجابة وما توانى ورجع من حيث أتى متخذا الجهرى ممرا له وطريقا .

وقد خشي أهلها أن يكون له أرب فيها فأعدوا له العدة ، ولكنه وقد سلم بما أصابه هناك من الويل الذي تركه يحوم في جو الخوف والحذر لم تحدثه نفسه من الدنو منها ولولا انها كانت في طريقه لتباعد عنها وسدل بينه وبـين رؤيتها الحجب والأستار .

بعد هذا أمرت الحكومة سالما بإيقاف الحركات العدائيـة ضد ابن سعود

وان لا يجعل في الجهرة قوة زائدة عما يحفظها . أمرته بذلك حيث خالت الصلح قريبا بين الاثنين ، وبدت لها أماراته . اما سالم فرضخ لأمرها ووافق على ما أرادت وقد رأى الشيخ خزعل خان ان يكون هو القائم بأمر الصلح والسعي بحقن الدماء للواجب الذي يراه عليه للكويت وأهلها فذهب الى البصرة لسبر غور الحكومة الانكليزية في ذلك ولما لم يجد منها معارضة استعد بالهدايا والتحف لسلطان نجد ثم أمّ الكويت للبحث مع سالم عمن يترأس وفد الصلح ، وبعد مداولات بين الاثنين فيمن يكون الرئيس تعين سمو الامير الجليل الشيخ احمد آل جابر الحاكم الحالي(وكان هو ولي العهد اذ ذاك)وفي معيته (كاسب) ابن الشيخ خزعل وعبد اللطيف باشا المنديل والأديب الفاضل عبد العزيز افندي السالم آل بدر ، وقد تركنا بقية البحث عن هذا الوفد الى ترجمة سمو الامير الجليل الشيخ أحمد لأن اخباره لها تعلق عظيم بترجمته هناك .

توفي الشيخ سالم في اثناء غيبة الوفد .

أولاد الشيخ سالم

لسالم من الاولاد : الشيخ عبد الله ، والشيخ علي ، والشاب النبيه فهد، وصباح وكل هؤلاء موجودون ، ودعيج وقد توفي .

سمو الشيخ عبد الله السالم آل الصباح

أي حديث يسرك ايها القارىء عن الامير الخير ، أحديث اخلاقه وهي كالشمس النيرة في الفضاء سخاء وكرم وحلمٍ وعقل ، ومباسطة للجليس بما يؤنسه وأخذٍ بعضد الضعيف المظلوم وتعطف على الاقارب والاصحاب وبذل في سبيل العلوم والمعارف ! أم حديث مواهبه النادرة التي لبس منها تاجا وضاء أصبح منه كعلم في رأسه نار . ذكاء غريب وفطنة وقادة وفكر في المعضلات سديد ونظر في عواقب الامور بعيد ، وادب غض يحكي الروض باكره الحيا . انظر الى سعادته وهو يبحث معك في الشعر فتراه يطربك منه

بما رقّ وراق ويشنف سمعك بما عذب وطاب ، فمن غزل رائق الى حماس يستثير العواطف إلى حكم تحرك أوتار القلوب ، يتخلل ذلك نكات بديعة ونوادر غريبة . أما الشاهد من الشعر فهو أطوع له من بنانه ، له في النحو نصيب وافر وولع محمود ، حتى لقلما يجمعني واياه (حفظه الله) مجلس الا ويفتح بابه بنفسه ، ويجري في ميدانه شوطاً بعيداً ، فتارة يسأل كالمستفيد واخرى كالمستشكل . له حافظة قوية حتى ليعد على صغر سنه مصدرا تاريخيا للكويت وحوادثها ، وانك لتسمعه يسرد لك الحكايات الطويلة في ذلك مما لا تدور في خلد كثيرين من الطاعنين في السن وله في الحركة الفكرية والعلمية في الكويت يد من أعظم الأيادي وأنصعها ، بل هو في الحقيقة من أقوى أركانها التي تتفيأ ظلا له وتحتمي بجاه وتأمن به من غوائل الدهر ونوائبه ، يحادث كل زائر بما هو في دائرة علمه فمع التاجر بما يلذ له من أخبار التجارة ومع السياسي بما يرتاح اليه من أخبار الدول وأحوالها بنظرات صائبة وآراء صادقة . أما العالم الديني فينتقل معه من بحث الى آخر ومن مسألة الى أختها حتى كأنه زميله وشريكه في التحصيل .

سمو الشيخ علي السالم آل الصباح

هو من فضلاء آل الصباح النبلاء ، ومن اهل الذكاء والادراك له ميل للادب وذويه ، ورغبة في مجالسة أهل الفضل ، وحرص شديد على الاستفادة منهم . ولقد أحسن كل الاحسان في انتخابه لصاحبنا الاديب الفاضل مشاري بن حسن آل بدر جليساً له وسميراً لعلمنا بالاخلاق العالية التي اتصف بها ذلك الصديق المحترم ، وبالادب والفضل الذي برّ به كثيراً من اقرانه وسمو الشيخ علي في حاجة كبرى الى مجالسة هذا الفاضل وعلى شاكلته من أهل الصدق والاخلاص للاستفادة منهم وقد أسند الى حضرته فضل كثير من الخصومات التي تقع في الكويت ، وفوض اليه امر القيام بهذا الواجب المهم الذي لازال الكويتيون يعترفون له بالفضل في قيامه به اذ هو مع تصديه لما سمعت كان يتقبل القضايا التي ترفع اليه بانشراح صدر ، وينظر فيها بغاية من

الدقة والتأني ، مع الحرص الشديد على ان تكون احكامه على نهج الصواب والحق وفقه الله واخوانه للسداد .

الشاب النبيه فهد بن سالم آل الصباح

هو شاب ذكي تلقى مبادىء الفقه والعقيدة والنحو والصرف والجغرافيا وغيرها في المدرسة الأحمدية في الكويت ، وكان هو أحد أفراد البعثة العلمية التي سافرت من الكويت الى العراق لطلب العلم ، ولكنه وحـــده أقام في المدرسة الرحمانية في البصرة ، وأما رفاقه فسافروا الى بغداد ودخلوا الكلية الأعظمية هناك كما سيأتي ، ويعجبني من هذا الشاب طموح نفسه للرحـــلة في طلب العلم الى البلاد القصية . فعسى الله ان يحقق امنيته فالشوق وحده يكفي لتذليل الصعاب . فكيف اذا انضم معه استعداد وذكاء ؟

الحاكم العاشر
الشيخ احمد بن جابر آل الصباح

في ١٤ رجب سنة ١٣٣٩ بعد قضاء الأمير مهمة الصلح بين عمه وابن سعود كما سيأتي ، وبعد رجوعه الى الكويت تقدم اليه الكويتيون فبايعوه بالإمارة طائعين وقد اختاروه على ما سواه لأخلاقه التي كان بها فذا بين آل الصباح .

أخلاق الامير وصفاته

كان من التواضع بحيث لا يحرم الفقير الضعيف ما يوليــه الغني القوي من تعطف والتفات على ما له من مكانة سامية وعز مشمخر وإنها لصفة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم يغضي عن كثير من الهفوات وهو قادر على الاخذ بها وإنزال أربابها إلى الدرك الاسفل والعفو عند المقدرة من اجل ما يتحلى بــه الملوك ، له محيا بشوش ضحوك جذاب ، صبور على الشدائـد والمكاره وحتى في أعظم المصائب يمنح زائريه احتفاءه حتى يخيل لكل واحد أنه هو بيت القصيـــد. لا يحب تكدير أحد من رعيته مهما كانت منزلته ، له ولع بمطالعة الجرائـد والمجلات ونفرة من الظلم والاستبداد وله عقل واسع ونظر في عواقب الامور .

حدثت في أيامه مشاكل عديدة لولا حلمه النادر وتأنيه المحمود لصارت الكويت في مآزق ضيقةقد تقضي عليهاوعلى مستقبلها وتوقعها في شرك لا سبيل للتخلص منه ويحتسي الناس منها كؤوسا أشد مرارة من الصاب والعلقم وأمر مما شربوه في أيامهم السالفة وهذه حقيقة لا يعرفها الا من درسها درسا دقيقا وفحصها بميكروسكوب الإنصاف والروية ولم تخف حتى علىمن اتخذ الكويت ممرا له من الغرباء الأفاضل .

الامير والحج

ليس أدل على الاخـــلاص في العمل من تحمل المشاق واقتحام الاهوال للوصول اليه واذا كان هذا دليل لا يحسن انكاره فلنا اذا ان نحكم لسمو الأمير به بلا استثناء لأنه حفظه الله تعالى هو أحد أمراء آل الصبـاح الذين وفقوا لأداء فريضة الحج ولكن في عام كثر خوفه وتفاقمت أخطاره وقل الامن في سبيله وفي أيام اتقدت رمضاؤها واشتد حرها ولم يثنه هذا كله عمـــا أراد ولا استرسل في ميدان التسويف وقد كان له أن ينسى الحج الى عـام يبسم وجهه بالأمن وتتلفع أيامه بالراحة والسكون ولكن شوقه المزوج بالإخلاص حلق به في جو المنى مسرعا حتى هبط تلك الأماكن المقدسة وتشرف بهاتيك المعاهد الميمونة والشوق البالغ يسهل أمام صاحبه كل صعب ويذلل كل عقبة. تربع الامير على دست الاجلال هناك عام ١٣٣٦ ولقي من الملك حسين اذ ذاك حفاوة وإكراما لائقين بمقامه السامي وبعد أن قضى أعظم ركن من أركان الاسلام شرف وطنه باليمن والهنا والى هذا الحج المبارك أشرت بتلك القصيدة المتقدمة :

اذا رام المفـاخر لا يبالي	بمـــا يلقاه من خطر كبير
فأصعب مايكون لديه سهل	اذا فيه اكـتساب للاجور
فللحج المبـارك سار قدماً	ولم يعبـــأ بحر في الهجير
فـأدى الفرض محموداً كريماً	زكي القلب مغسول الضمير

انا والامير

لانعلم أن أحداً من حكام آل الصباح اتخذ له واعظاً خاصاً في مجلسه العام، كل صباح يفسر بين يديه الكريمتين الآيات القرآنية ويشرح الاحاديث النبوية ويبين شيئاً من الاحكام والاخلاق ، غير اميرنا المحبوب فقد شرفني للقيام بتلك الوظيفة العالية ودعاني اليها فلبيت نداءه وامتثلت امره وقدكان يصغي لما يسمع من الآيات والمواعظ اصغاء المتدبر وبقيت مدة طويلة قائماً بهذه الوظيفة الشريفة قبل ولايته .

الامير ورحلته الى لندن

ارتأت الحكومة الانكليزية بعد انتهاء الحرب العامة ان يزور ملكها في عاصمته (لندن) بعض أمراء العرب الذين بينهم واياها روابط سياسية ، احكاما لها واظهاراً لتعلقهم بها وكان من بين اولئك الامراء اميرنا المفخم في ولاية عهده .

سافر من الكويت في ذي الحجة سنة ١٣٣٧ومر على بمبي في طريقه وأقام فيها اياماً بين التعظيم والتبجيل ثم سار منها الى لندن في صفرسنة١٣٣٨وحل رحابها واجتمع هناك بملك انكلترا واهداه حصاناً عربياً وسيفاً وخنجراً مذهبين وحضر احدى جلسات البرلمان الانكليزي وبعد أن اقام اياماً ملحوظاً بعين الاجلال قفل راجعاً الى اهله ومر على مصر ومكث فيها أياماً ثم رجع الى وطنه في ربيع ثاني سنة ١٣٣٨ .

الامير والصلح

ها نحن سنفي بما وعدنا به في آخر ترجمة الشيخ سالم من الحديث عن اخبار وفد الصلح فنقول : في ٢٩ جمادى الاول ١٣٣٩ سار الوفد الى البحرين على اليخت الخزعلي وفي رحابها نزل ضيفاً كريماً على الشيخ عيسى آل خليفة، حاكمها ، ثم سار منها الى القير ومنه الى الاحساء حيث قابله الأمير عبدالله بن جلوى

بما يليق به من اكرام وبعد أن أقام هناك أياماً قليلة للاستراحة من عناء السفر سار الى السلطان ابن سعود وفي حفر العج قابله ابنه فيصل مندوباً من جهته ثم قصد (انقى روضة التنهات) وفيه وجد السلطان في انتظاره وقد أظهر له من الاكبار ما هو لائق به وأبدى بمقدمه فرحاً وسروراً وبعد تبادلهم عبارات الود تناولوا المسائل اللازمة لحسم النزاع وطلب السلطان من الامير الكفالة على عمه في قبول مايتم عليه الصلح من الشروط بلا استثناء فاعطاه الامير ما طلب وقدم نفسه عليه كفيلا ثم حرر ماجرى من الشروط التي اهمها تحديد الحدود بين الكويت ونجد وطوي بساط الماضي بما فيه .

وفي تلك الآونة وقد ازمع الوفد الرحيل نعي اليه وفاة الشيخ سالم فكاد ابن سعود يطير فرحاً من هذا النبأ ، ثم قال للشيخ أحمد : أما الآن فحيث صار الامر اليك فلا أرى من حاجة الى شروط او تحفظات فانا لك سيف مسلول اضرب بي من شئت وأنت أولى بالقبائل التي تحدت امري ولك ان تؤدب من تشاء اذا مابدر منها اعتداء على أحد رعاياك . اما حدود الكويت فانها ستمتد الى أسوار الرياض ولا أقبل أن تكون هي ما قطعنا به آنفاولك على هذا عهد الله وميثاقه ثم أخذ الورقة ومزقها ونادى المنادي بين الاخوان أن سوق الكويت ونجد والاحساء واحد ولا معارض لمن اراد السفر الى الكويت وحذرهم من الاعتداء على من ينتسب لآل الصباح. اذن للنجديين (بمسابلة الكويت والامتيار منها) ثم رجع الوفد بتلك البشارة والالسنة تلهج بشكره وشكر من كان الأصل في ذلك الصلح وتفاءل الناس خيراً بحاكمهم الجديد الذي تم الصلح على يده الكريمة .

ومن غرائب الاتفاق ان كان بيني وبعض الاصحاب اذ ذاك مذاكرة في (صلحة الاعراب) وكان بحثاً في أول اليوم الذي جاء البشير في آخره مبشراً بقرب قدوم الامير ورفقته في المبتدأ والخبر من قول الحريري :

تقول في ذلك زيد عاقل   والصلح خير والامير عادل

فأنست به وتفاءلت خيراً بعدل الامير الجديد ، وبعقله ، أما الصلح فلا

ريب أنه خير من الحرب مهما جنى المتحاربون من الغنائم والانتصار . ثم بعد أيام قليلة شرف الامير الكويت من البحرين في مركب بخاري فاسرع الى شاطىء البحر لمقابلته كثير من العلماء والامراء والاعيان وقد ذهب اليه في الباخرة الشيخ خزعل خان . والميجر (مور) قنصل انكلترا في الكويت وعمه الشيخ جابر آل الصباح وسماحة السيد رجب النقيب ،وصديقه المخلص السيد حامد بك النقيب ، وبعد أن قابلوه هناك وسلموا عليه نزل في زورق صغير ، ثم ما كادت تطأ قدمه الأرض حتى انطلقت المدافع العديدة اشعاراً بنزوله وهناك أخذ الناس يتهافتون عليه للسلام والتهنئة وهو يقابل الكل بوجهه البشوش الجذاب ومحياه الطلق والى ذلك أشرت بقولي ايضاً من قصيدة لي:

يجشم نفسه المكروه حرصاً	على قطع التنازع والنفور
ألم تره لصلح القوم أمسى	يخوض من المخاوف في بحور
ولذلة المسير يجوز خرق	به تدنو الوساوس للجسور
الى أن فك من ذا كل قيد	وزحزح كل ريب في الصدور
وأسبح قافلا والكل يبدي	له الشكر الجزيل بلا فتور
ألا يا احمد احسنت صنعاً	بصلح القوم في هذا المسير

مميزات عصر الأمير

إذا ما أردنا أن نقيس أيام أميرنا الامير الجليل بأيام من سبقه من آبائه الكرام لنسبر غور تلك الحركات فيها ، فإنا بلا مواربة سنرفع لأيامه السعيدة تاجا منيرا على رأس العلم والأدب . وننثر بين طلابه لآلىء تنير لهم المناهج المظلمة التي كانوا فيها يتخبطون ، صدقني أيها القارى فيما قلت ولا تظنه تزلفا الى سموه وإنما هي الحقيقة التي يجب أن تقال . الحقيقة التي لا يباح كتمها والا فأنبئني بربك متى نبغ في الكويت كتاب مجيدون وشعراء مفلقون تحلت الجرائد والمجلات بنفثات أقلامهم الساحرة ؟ وفي أي يوم كان للشباب الناهض صوت مسموع وحركة مستمرة ؟ وفي ي وقت تكاثرت فيه المشاريع النافعة علمية وادبية شرب الكويتيون منها زلالا أطفأ الظمأ وأنقع الغلة . وفي أي

عصر تمتع الكويتيون بالحرية التامة في نشر العلوم والمعارف؟ أنبئني بربك متى كان هذا ، وفي أي حكم وجد ؟ أنا ما أظنك مهما قلبت صحيفة تاريخ الكويت وتتبعت حوادث حكامها السابقين أن تجد فيها ما يحسن ذكره بأيام أميرنا المحبوب مهما قلنا فيه ومهما وصفه به الواصفون .

كل ما سردت هنا هو من مميزات عصر الامير على عصر ما سواه وهناك مميزات أخرى سأجلوها عليك ، وأزيدك بها علما ، اذ قد تكون عازبة عن ذهنك فأمعن النظر فيها بعين الإنصاف .

الامير والمجلس

في إبان مبايعة الكويتيين سمو الامير أفسح لهم المجال بتأسيس مجلس ينظر في شؤون البلد ومصالحها ليكون عونا له في إدارة الأمور والاحكام، وعاهدهم أن لا يبت بأمرمهم الا بتصديق المجلس عليه . وقد تأسس فعلا وانتخب له الفاضل حمد آل صقر رئيسا ، وهؤلاء الفضلاء اعضاء: الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي ، وأحمد الفهد آل خالد ، والسيد عبد الرحمن النقيب ومشعان الخضير ، وأحمد الحميضي ، ومرزوق الداود آل بدر ، وشملان بن علي بن سيف ، وهلال المطيري وابراهيم بن مضيف وخليفة بن شاهين آل غانم ، (وكاتب هذه السطور) ولكن المؤسف المحزن أن هذا المخلوق الصغير كان قصير العمر جدا فانه ما كاد يحكم حتى زهقت روحه وألحد في قبره ، وقد تضاربت الأقوال فيمن هو الملوم على إحباط هذا المشروع ، ومن الذي تلقى عليه المسؤولية في إخفاقه ، أما أنا وقد كنت واحدا من أهل ذلك المجلس فإني أنزه سمو الامير عن المسؤولية ، وقد عرف اخواني الفضلاء على من تكون المسؤولية من اهل ذلك المجلس .

الأمير والمدرسة الأحمدية والمكتبة والنادي

أما المدرسة الاحمدية التي سميت باسمه والتي كان له في تأسيسها اليد الطولى وفي مساعدتها المادية النصيب الكبير ، فإنها من لآلىء مميزات عصره ، اذ كان

لها يد قوية في ادارة الحركة في الكويت وفي نفخ روح الحياة بين اهلها . بل كانت النافذة التي يطل منها كل غريب يفد الى الكويت ليبصر ما فيها من حياة وأدب، فيشاهد هناك ما ليس له في حساب ويبصر ما يأخذ بمجامع لبه ، ويغادره وهو ينظر الكويتيين من جرائها بنظرة المعجب بهم وبنهضتهم هذا عدا احتفالاتها المتنوعة التي كان لها في تحريك الشعور واثارة الحماس اثرا جميلا لا ينكر فالاحمدية اذاً من اعظم مميزات عصر الامير وحسناته التي تضم الى حسنتيه في فتح المكتبة الاهلية ، والنادي الادبي . هذان المشروعان النفيسان اللذان لا يقلان عن المدرسة في التأثير والفائدة سيما وقد تبرع الامير الجليل بكثير مما يرد بأسمه الكريم من الجرائد والمجلات للنادي الأدبي .

الامير والتاريخ

لو لم يكن لسموه من الحسنات والمميزات الا اعتناؤه بتاريخ الكويت الذي حاز قصب السبق به دون أحد من سلفه من آبائه والذي سيخلد ذكره العاطر على صفحاته باحرف من نور لكفاه بان يرفع الى اعلى مقام في الفضل ويلحظ بعين الاجلال والإكبار ، فكيف وله من الصفات الحميدة ما قدمناه. نعم ان سمو الامير بتعطفه على التاريخ واهتمامه به أطلق السنة الشكر له والثناء عليه وترك الكثيرين يلهجون بحمده وبمدحه من صحفيين وغيرهم .

الامير والسيارات

لا ندري بماذا نميز عصر الامير الجليل أبالحركات العلمية والأدبية ؟ وقد علمت منها ما علمت. أم بالحرية ؟ وقد ضربنا لك مثالا منها . كل هذا جدير بالتمييز وفيه كفاية للتفضيل ، ولكني مع هذا سأنبئك بأمر تغتبط به كما اغتبط به عموم اخواننا الكويتيين وعدوه انقلابا عظيما في حياتهم ومن اعظم حسنات الامير الجليل التي انفرد بها ذلك هو تسهيله (ادام الله عزه) طريق المواصلات بين الكويت والبصرة والزبير حيث منح امتياز تسيير السيارات

البرية في ذلك الطريق لصاحب السعادة الحر الغيور السيد حامد بك النقيب رجل الهمة والعمل والجد والنشاط .

ففي رمضان سنة ١٣٤٣ تقدم سماحته الى سمو الامير يطلب ذلك الامتياز وما كان من سموه عندما سمع صوت هذا السيد الجليل الا ان اظهر رغبته الاكيدة في هذا المشروع وفي اخراجه الى حيز العمل فبادر. بمنحه ما طلب الى مدة خمسين سنة وهناك انعقدت شركة رأسمالها مائة الف روبية . وأبيح الاشتراك فيها لكل واحد من الكويتيين ، وانتخبت لها هيئة ادارية يرأسها صاحب السماحة السيد حامد بك ومعه أعضاء ، وسن لها قانون يحتوي على عدة مواد ، وجعل السهم الواحد فيها مائة روبية . وابتداء مسيرها في ٤ شعبان سنة ١٣٤٤ وكانت اول سيارة قطعت هذا الطريق هي المسجلة بنمرة ٢٧ في دفتر مدينة الكويت .

وقد أصبح الكويتيون الان يعدون سفرهم الى الزبير والبصرة كخروجهم للنزهة ايام الربيع ، فلا البرد القارس يؤذيهم ، ولا الشمس الحارة تؤلمهم ، واصبحوا يقطعون المسافة باقل من اربع ساعات في حين أنهم كانوا فيما مضى لا يقطعونها بأقل من ثلاثة ايام مع المشقات على انها ستحدث تغيرا مهما في احوالهم الاقتصادية سيما في معاملتهم مع العراق ، وفي الامل ايضا ان سيحال البريد العراقي إليها .

البعثة العلمية في عصر الامير

اذا لم يقنعك ما مضى من مميزات عصر الامير الجليل فهاك برهانا اخر لا يحسن بك انكاره خذه واظنك ستذعن له ان كنت من المنصفين. في عصره السعيد وحده سمعنا للبعثات العلمية صوتا وفيه شاهدنا لها حركة وحياة . في عصره دون سواه ،رأينا الشوق للعلم قد دب في نفوس القوم حتى استعذبوا في سبيله هجران الأهل والاوطان ، واستلذوا في تحصيله الم الغربة والفراق ،

هاهي البعثة العلمية من الشباب الناهض [1] قـــد خرجت الى العراق لطلب العلم هناك وللشرب من نميره العذب الزلال سنة ١٣٤٣ افليس في خروجهــا في أيامه ميزة لعصره ؟

الامير وتجار بلده

لانعلم حكاماً فتحوا خزائنهم لتجار بلدهم يأخذون منها مايشاؤون، يبيعون فيها ويشترون بلا ربح ولا فائدة غير حكام آل الصباح من الشيخ مبارك الى حاكمنا المعظم . وان لسموه الآن عند كثير من تجار بلده اموالا طائلة لو اراد سحبها منهم واخذها من ايديهم لربما وقعوا في مشكلة وارتباك تجاري عظيم .

ان هذا الامهال وتلك المعاملة من هذا الامير الشاب لمن أجل الاعمال التي يجهلها الناس ويجهلون قدر صاحبها وبالطبع لاتعرف الاشياء باضدادها .

الامير وابن سعود

زار عظمة سلطان نجد الكويت أيام الشيخ جابر آل الصباح سنة ١٣٣٥ فأحس من الشيخ سالم بضعف علم منه ان لابد من حدوث انقلاب بينهما إذا ما افضى الامر اليه وانه اذ ذاك سيظهر له مايكنه ضميره ويندفع في تياره ، وقد أسرّ السلطان هذا في نفسه ولم يبده الا لسمو الامير الجليل وتعاهد هو واياه على الاخاء والصفاء وكان الامر كما تعاهدوا عليه الى هذا اليوم ، فهما على

---

(١) هذه البعثة مؤلفة من هؤلاء الشبان الافاضل : فهد بن سالم آل الصباح الذي قلنا عنه الكلمة الماضية ، وخالد بن سليمان العدساني ، واحمد بن عمر العلي ، ومحمود بن عبدالرزاق الدوسري ، وعبدالكريم بن محمد آل بدر ، وسليمان العنزي وعبدالله المدير ولقد اكرمت الكلية الاعظمية وفادتهم وقابلتهم بالمقابلة الحسنه ، لا في ايام مديرها الاول الاستاذ العلامة الشيخ نورالدين ، ولا في ايام مديرها الثاني العلامة المفضال الحاج نعمان الاعظمي ، فجزاهم الله عن الكويت واهلها خيراً وشكر سعيهم واثابهم الثواب الجزيل . اما الذي يستحق التنويه به من اهل الكويت بعد سمو الامير لشده ازر تلك البعثة واهتمامه بمصالحها وايقافه نفسه على ماينفعها فهو مصلح الكويت الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي ولا غرو ان يقوم هذا المفضال بهذه المهمة دون اخوانه الكويتيين فانه كما قلنا عنه آنفاً هو مصلح الكويت الفذ الذي تنظر اليه في كل شدة وضيق وتؤمل منه كل خير واصلاح . فحياه الله وابقاه واكثر في الكويت من أمثاله .

جانب عظيم من الولاء والرسائل الودية تتبادل بينهما ، مطرزة بـأرق عبارة وألطف اشارة وعلى صفحاتها ينشر كل منهما مـا في قلبه لصاحبه من الصدق والاخلاص . وقد يكون اميرنا المعظم احرص الاثنين على أن يكون عمله مصدقاً لما ينطق به .

نعم وهذا امر ظاهر لايخفى فانه حفظه الله قام بمساعدات جسيمة للسلطان ومده باعانات هو في أشد الحاجة اليها كما ستعلم .

ابن سعود يستنجد بالامير في حصار حائل (1)

نفد جميع ما لدى عظمة ابن سعود من اطعمة وزاد في حصـــاره حائل فضاق به الحال ولكنه استنجد بسمو اميرنا المحبوب واستغاث بأخوته الصادقة ليمده بما يسد فيه فاقته ، ويفك عنه اغلال الضنك والضيق ، فقدم اليه سمو الامير في محرم سنة ١٣٤٠ ستين الف ريال والف كيس من الرز .

نيشان يتقلده الامير

في جمادى ثاني سنة ١٣٤٠ تعطفت انـكلترا على سمو الامير الجليل بنيشان (سي.آي.اي) وقد حصل لتقليده اياه حفلة باهرة في احـدى ساحات قصر الامير الذي على ساحل البحر ، حضرها آل الصباح ووجهاء البلد واعيانهـا وقد تقدم المعتمد البريطاني في الكويت الميجر مور بالنيشان الى سموه .

المراجعات بين ابن سعود والامير في المسابلة

في رجب سنة ١٣٤٠ كتب ابن سعود الى سمو الامير يخبره بعزمه على منع رعاياه من اهل نجد والبادية عن الكويت، وصرفهم الى مسابلة بلاده كالقطيف والاحساء والجبيل وقال له انه لم يقدم الى ذلك الا اضطراراً ، وانه ليس في استطاعته والحالة هذه ان يتنازل عما عزم عليه الا باقامة موظف من قبله في الكويت يقبض الرسومات على أموال رعاياه الخارجة ، ولكن الامير رفض

---

(1) وقد انتهى الامر اخيراً الى سقوط حائل بيد ابن سعود في صفر ١٣٤٠ .

ما طلب وبقيت الحال متوقفة الى ان جرى البحث في مؤتمر العقير عن هذه المشكلة ، وكان الفاتح له معتمد بريطانيـــا في الكويت فحرك كلام المعتمد ساكناً من ابن سعود ، غادره يرسل السيد حمزة غوث مندوبـاً من جهته الى سمو الامير ، وقد وصل السيد حمزة الكويت في رمضان سنة ١٣٤١ وهناك طلب على لسان ابن سعود من سمو الامير أحد ثلاثة امور : اما اقامة الموظف او يسلم من خزانته الخاصة ما يقابل رسوم تلك الاموال ، أو يقيم هو موظفاً من قبله يتقاضى تلك الرسوم ثم ترسل اليه. أما الامير والكثير من وجهاء البلد فأبوا قبول شيء مما اقترحه المندوب نظراً الى انه اقتراح مخل بشرف الكويت وحكامها، ومخل باستقلالها . واخيراً رأى سمو الامير أن يرسل اخاه الكريم سمو الامير الخطير الشيخ عبدالله بن سالم آل الصباح الى عظمة السلطان ابن سعود في الرياض ليفاوضه هو بنفسه في حل تلك المعضلة واصحبه من الهـــدايا اليه عشراً من الخيل والفاً وخمسمائة كيس من الرز ومـــائتي كيس من السكر وكثيراً من اكياس القهوة ايضاً فسار سمو الامير في شوال سنة ١٣٤١ وفي رفقتـه السيد حمزة غوث وقد قابله عظمة السلطان هناك باكرام وحفاوة عظيمين ، ولكن سموه لم يتحصل على شيء مرضٍ يحل الاشكال لا في الرياض ولا في الكويت واستمرت الحال كذلك الى هذا اليوم وقد افضنا في هذا الموضوع فيما سبق .

امتياز الارض المحايدة بين الكويت ونجد

في ذي القعدة سنة ١٣٤٠ طلب الميجر هومس وكيل النقابة العموميـــة الشرقية بلندن من سلطان نجد منحه امتياز الأرض المحايدة لاستخراج مافيها من معادن النفط ، ولكن عظمته لم يبت بالأمر إلا بعد مراجعة سمو الامير وعلمه بموافقته ورضاه أما الحكومة الانـكليزية فلم تبد اقل معارضة في ذلك وقد حصل التصديق على الاتفاق في رمضان سنة ١٩٤٢ .

ابن سعود يضرب رسماً على السفن الكويتية وغيرها

في رمضان سنة ١٣٤١ ابلغ ابن سعود سمو الامير وضعه رسمـاً على سفن

الغواصين التي ترسو في بلاده كالقطيف ودارين والجبيل ، ففاوض سمو الامير من يهمه امر الغوص في الكويت ليستطلع رأيهم ونظراً الى انهم ليسوا بمضطرين الى تلك البلاد والذهاب اليها اثناء الغوص فلم يهتموا بما جرى ، ولم يعيروه التفاتهم ، اما ابن سعود فما كاد ذلك العام ينتهي حـــتى اسقط الرسم الذي وضعه ، وما ذلك الا للخسائر التي لحقت اهل تلك البلاد بانقطاع اهل الكويت عنهم ، وعن المجيء الى بلادهم والاتجار معهم .

هجوم ابن حثلين والفغم على اطراف الكويت

في رمضان سنة ١٣٤٢ هجم ابن حثلين والفغم على أطراف الكويت ونهبوا من عربانها ورعاتها ما نهبوا وقد ابقى هذا الهجوم في نفس الامير وفي نفوس الكويتيين عموما أثرا سيئا حتى عرض بعض زعمائهم على سموه تعقب المعتدين ومطاردتهم . ولكن سعادته وقد عرف بالتأني الذي لا زال يحمد عاقبته رأى قبل كل شيء مراجعة ابن سعود فيما جرى فارسل (تزالا) أحد رجاله اليه ليشرح له الأمر ويستطلع رأيه . امـــا ابن سعود فتظاهر بالأسف الشديد على ما وقع . وكتب الى سمو الامير يعتذر اليه عن الحادثة ويحلف له الايمان المغلظة ان هذه الغارة على غير علم منه ، وان أثرهـــا سيكون نقطة سوداء في قلبه لا تمحى وأنه لا ينساها ولو طال الزمان ، وانها ستكون أعظم همه وسيجعلها نصب عينيه . ثم ركب ناصر بن سدحان الى المعتدين ليسترد منهم ما أخذوه ، واتبعه بابنه فيصل ليفصل بـين العوازم وبين ابن عشوان زعيم (ابريه) في قتـال حصل بينهما ، وكتب ايضا الى سمو الامير يقول له (انه لم يرسل فيصلا الا للقيام بحقكم ولمسرتكم وقد اوصيته بان يقبل كل ما يطلب إليه منكم) .

قصور الامير ودسمان

للأمير قصور عديدة فخمة منها قصران وسط المدينـة على شاطىء البحر بناهما جده الشيخ مبارك آل الصباح ، وفي ناحيتها ترفرف الرايه الكويتية

الحمراء التي كتب عليها باحرف كبيرة (كويت) .

أما دسمان فهو قصره الخاص الذي منحه عنايته وصرف عليه الأموال الطائلة ، شيده على أنقاض قصر لأبيه المرحوم الشيخ جابر وجهزه بكل ما يحتاجه من الاواني الذهبية الغالية والمفروشات النفيسة والمصابيح الكهربائية التي اذا سطع نورها الوهاج في أرجائه خلت الاقمار المنيرة في السماء او الشموس الوضاءة تخترق الحجب والاستار ، وقد نوع رياشه تنويعا بديعا ،فمن حجره ما هو مزين بالرياش الوطني النفيس ومنها ما هو مجهز بالاثاث الافرنجي العالي وقد علق على جدرانها السجاد الفارسي المحلى بالصور والرسوم ، وفي اعلاه مصباح كبير يهتدي به المسافرون ليلا ويشاهد من نحو اثني عشر ميلا وقد بنى الامير في شماله الغربي مسجدا يصلي فيه من يأوي الى القصر ومسجدا آخر في جنوبه الغربي للبدو الذين يقطنون هناك ايام الصيف وفي غرب القصر وشماله بستانان نظيران تنوعت أشجارهما وعبق اريجها يسقيان من بئرين يستخرج ماؤهما بالآلة الهوائية وقد اتخذه الامير منتجعا له في غالب أيامه ولياليه ، ويقطع بسيف مسراته عنق الهم والأسى وهو القصر الذي عقد فيه المؤتمر التاريخي في الكويت ، وجعله الكولونيل (ناكس) منزلا اذ ذاك وهو طبقة واحدة بنى الامير على أحد دورها غرفة زادته بهاء وجمالا وهو مشيد على مرتفع من الأرض في بنيد القار يشرف المرء منه على منظرين بديعين ، البحر وهناك خضرته الساحرة وسعته التي يكل الطرف دون غايتها وفيه السفن الشراعية والبخارية ذاهبة آتية ، ثم يعطف جيده الى المنظر الثاني فيمتع طرفه بارجاء واسعة من البر يمتد فيه البصر ، ويبصر الناظر هناك المدينة ومآذنها الشاهقة فكأنه والحالة هذه المعني بقول ابي نواس في النجف :

لم يخلق الله من سهل ولا جبل ... أشهى هواء ولا أبهى من النجف
حفت ببر وبحر في جوانبها ... فالبر في طرف والبحر في طرف

نظام القصر بديع ، ومنظره يطرد الهم ، وهواؤه طلق عليل وجوه صافي أصفى من عين الحمام تخترق السيارات اليه شارعا طويلا من الاثل صفت

على جوانبه صفا هندسيا بديعا .

اقوال الاجانب في سمو الامير

هذه نبذة من كلام غير الوطنيين في الامير وقد لا يتهم الاجنبي في مدحه والثناء عليه وفي ذكر اعماله كما يتهم الوطني الذي قد يكون الدافع له الحب أو المراءاة .

قال الميجر (مور) المعتمدالبريطاني فيالكويت عندما سأله الفاضلالاديب السيد قاسم أفندي الهياني صاحب جريدة الفيحاء الغراء :

س : هل انتم على وفاق مع الأمير ؟

ج — « نعم وأقول لك ان الذين لا يعرفون الامير أحمد الجابر الصباح لا يستطيعون ان يقولوا كلمتهم وأما أنا فاقولهاوأقولها عن معرفة جيدة واختبار صحيح . ان الامير أحمد الجابر من اشد المحافظين على سلامة البلاد ومصالح العباد وقد تظهر لك سذاجته وقد يقول لك بعض الناس أنه غبي وقديقولون اشياء كثيرة مؤلمة عن هذا الرجل الطيب ولكن الحقيقة التي لا ريب فيها أنه من اشد الناس حرصا على بلاده وشعبه .» وقالت الاوقات البصرية تحت عنوان (شيخ الكويت) نشرنا سابقا في الاوقات البصرية ان الشيخ احمد الجابر قد انتخب ليكون شيخا للكويت خلفا لعمه سالم الذي توفي في ٢٢ (فبروري) بداء القلب والشيخ احمد كان في نجد يوم وفاة عمه ورجع منها في ٢٤ مارس حيث حصل له موكب استقبال عظيم وكان مقبولا لدى عائلة آل الصباح وفي اليوم الثاني بعد وصوله دعي اشراف البلد الذين قبلوه ان يكون حاكمهم الجديد وصرح أنه لا يأتي امرا مهما إلا بعد مشاورتهم والشيخ احمد قد أبرز مهارة في جميع المسائل التي عهدت اليه في زمان عمه كما أنه أهل لذلك ومقبول عند العموم فنحن نهنئه على هذا التعيين ونهنىء اهالي الكويت على انتخابهم اياه .

وقال الاستاذ الريحاني في رحلته ملوك العرب :

لو كان غير الشيخ أحمد جابر حاكما في الازمة الاقتصاديـــة التي سبق الكلام عليها لما سلم الامر من حادث عدائي بين البلدين نجد والكويت ولو حدث الحادث لما اختلف اثنان في نتيجته فالفضل اذا فيسلامة الكويت وان كان على ضيق وشدة هو للشيخ احمد ذاك الرجل المسالم اللين الجانب الدمث الأخلاق. قد يختلف الناس فيهذه الخطة السياسية خطة اللين والمسالمة ، وفي الكويت من لا يستحسنها ولكنهم إذا ما ذكروا سياسة سلف الشيخ أحمد ونكبة الجهراء يتيقنون ان في دار الحكم اليوم رجلا اقل ما يقال فيه انـــه محافظ على سلامة الكويت واستقلالها .

حديث عن حالة الكويت اليوم

زار الأديب الفاضل السيد قاسم افندي الهيماني الكويت سنة ١٣٤٤فقابل الميجر مور معتمد انكلترا هناك ودار بين الاثنين ما يأتيمن الحديث وسنثبته هنا لما فيه من الفائدة :

س – سمعت ان في عزم الدولة البريطانية احداث بعض التغيير في نظام امارة الكويت وشكل حكومتها الحالية فما هو مبلغ هذا الخبر من الصحة ؟

ج – لاصحة لما يشاع ، وثـــق ياحضرة الصحافي العربي ان الامارة في الكويت باقية على ما هي وستبقى اما اذا توفي – لاسمح الله – اميرها الحالي فالامــارة تنتقل الى احد امراء الصباح ويكون ذلك بناء على انتخاب الشيوخ والأهلين عموماً .

س – هل لحكومة بريطانيا علاقة بدائرة البرق والبريد ؟

ج – مصلحة البريد في الكويت هي الآن بمثابـة فرع لدائرة برق وبريد العراق العامة ولكنها سترتبط بعد نهاية السنة الحالية أي في اوائل سنة١٩٢٦ رأساً بمصلحة البريد الهندي .

س – ما هي علاقة بريطانيا بالكويت ؟

ج – ليس من علاقات رسمية بين امارة الكويت ودولة بريطانيا العظمى انما هي نوعاً ما تحت حمايتنا والحكومة البريطانية بعيدة عن كل تدخل يتعلق بشؤون البلاد الداخلية .

س – الى من تعود واردات الجمارك ؟

ج – الى الحكومة الوطنية وليست الرسوم الجمركية سوى ٤ او ٥ في المائة فقط .

س – اذا تعرض عظمة السلطان ابن السعود بسوء لامارة الكويت فماذا يكون موقف بريطانيا عندئذ ؟

ج – عندئذ يكون ابن السعود قد اخل بشروط المعاهدة التي تعهد فيها بالابتعاد عن كل ما يمس امارة الكويت بسوء . هذه الامارة التي سنحافظ على وضعيتها الحاضرة بجميع الوسائل الممكنة .

س – فهمت ان ابن سعود لايبيح للاخوان التردد الى الكويت لماذا ؟

ج – هذا صحيح ولكنه لاسباب جمركية فان الاخوان يأبون دفع الرسوم الجمركية .

س – الا يمكن التوفيق بين الامير والسلطان من هذه الجهة ؟

ج – لقد سعينا وراء ذلك ولكنا لم نفلح ، وقد عقدنا اجتماعاً لهذا الغرض منذ سنتين او ثلاث وبعث ابن سعود مندوبه اليه فطلب هذا المندوب ان يكون مدير الجمرك سعودياً ولهذا لم يحصل الاتفاق .

س – قيل لي انكم سترتبطون محاكم الكويت بمحاكم الهند رأساً فهل هذا صحيح ؟

ج – ومن قال لكم هذا القول؟ انه افتراء محض. ان ما اشيع ينحصر باصحاب التابعية الانكليزية من هنود وغيرهم واعلاننا هذا صريح جداً . ان الاجانب يحاكمون امامي في هذه الدائرة – دائرة الاعتماد البريطانية – واما

الكويتيون فليس لي اقل علاقة معهم .

س – هل من نهضة ادبية في الكويت ؟

ج – يوجد ولكنها لاتذكر .

س – هل تفكرون القيام بشيء من المشاريع العمرانية ؟

ج – كلا .

س – هل تعود واردات البرق والـــبريد الى الحكومة الوطنية ام للحكومة العراقية ؟

ج – تعود الى حكومة العراق ، وهذا مؤقت كما سبق .

اولاد الامير

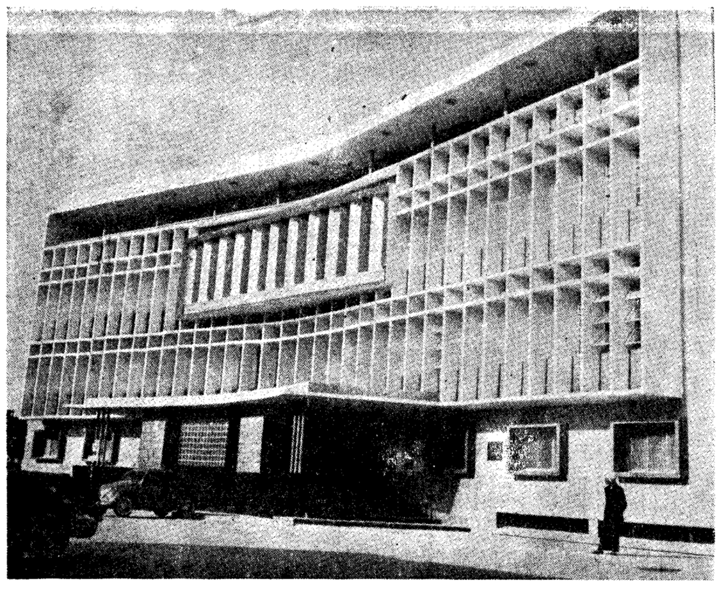
لسمو الامير من الاولاد اثنان عبدالله ومحمد وهما شابان موجودان .

الشيخ الجليل جابر بن صباح آل الصباح

وهو أخو مبارك آل الصباح واكبر الموجودين اليوم فيهذا البيت الكريم له في تأييد من يرتقي عرش الامارة في الكويت يد تذكر ، واعمال تشكر وكثير من آل الصباح يصدرون عن رأيه في جل مهماتهم ويستفيدون من معلوماته وتجاربه التي اكتسبها بطول عشرته للدهر ، راوية لتاريخ الكويت وركن من أركانه بل لعله أعظم رجل يعتمد عليه فيه يرغب كثيراً في حفظ المسائل الدينية والأحاديث النبوية ويرغب في الاطلاع على الكتب والمؤلفات، صاحب حجة في ميدان الجدال يزينه حلمه وتواضعه ودماثة اخلاقه .

ملاحظة :

ردد المؤلف كثيراً في فصول كتابه تشوقه لأن يرى في الكويت مـدارس ينهل منها ابناء الكويت العلم. ولكي يستطيـع القارىء ان يتصور مايبذل من



المدرسة المباركية

جهد في سبيل تعميم العلم في الكويت في هذه الايام نجد من المستحسن ان نضع أمامه الأرقام الآتيـــة وتطورها في مدة قصيرة من الزمن في نهضة الكويت الحديثة :

كانت ميزانية الكويت لادارة المعارف سنة ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ تقـــارب ٤١٥،٠٥٤ روبية وقد بلغت سنة ١٩٤٦ ـ١٩٤٧ الدراسية ١١٧،٠٧٦ روبية بينما منذ هـذا التاريخ القريب حتى ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ارتفعت الميزانية حتى بلغت ١٥٤و٢٦٧،٦٠٤ . وبينما كان عدد المدارس سنة ١٩٣٦ـ١٩٣٧مدرستين ابتدائيتين فقط فهو في سنة ١٩٥٩ـ١٩٦٠ كما يأتي :

الصبيان :

١٧ مـدرسة ابتدائية ، ١١ ـ ابتدائية متوسطة ، ٦ ـ متوسطة ، ١ ـ ثانوية ،٤ - مهنية .

البنات :

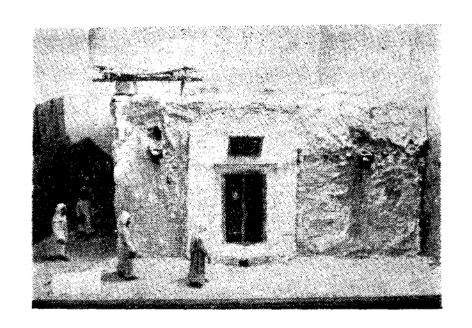
١٣ ـ مدرسة ابتدائيـــة ، ١٤ ـ ابتدائية متوسطة ، ٣ ـ متوسطة ١ ـ ثانوية ، ٢ ـ مهنية .

١٥ مدرسة مختلطة .

كما أن للكويت ١٦ مدرسة في الخارج وهكذا يبلغ المجموع ١٠٣ مدارس كما هي في سبيل تأسيس جامعة كويتية وقد استدعت ثلاثة خبراءلهذه الغاية.

وقد ضمت مدارس الكويت لسنة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ٢٤٩٧٨ طالباً و١٥٣٢٤ طالبة كما يدرس فيها ١١٣٤ مدرساً و٨٧٧ مـــدّرسة من جنسيات مختلفة .

وهناك ٤٢٨ طالباً وطالبة يتلقون علومهم في الخارج في بعثات دراسية في مختلف العلوم والصناعات .



مدرسة من الماضي

وفي الكويت من المستشفيات :

عدد :

٢ – مستشفيات عامة .

٤ – للامراض الصدرية .

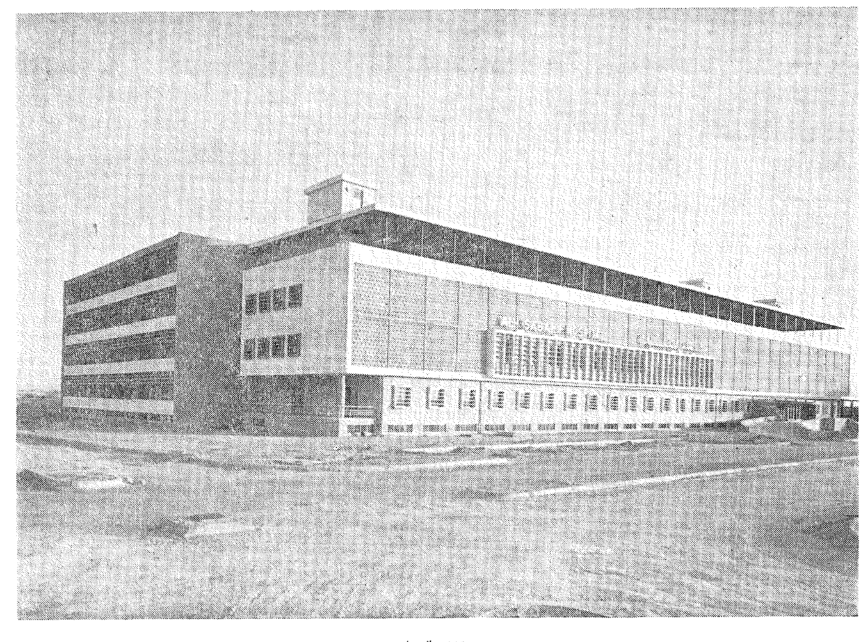
٢ – للامراض العصبية .

٢ – للامراض السارية .

٤ – مستوصفات جموعية .

٢٣ – مستوصفات عادية ومراكز إسعاف .

كما أن هناك مستشفيين اثنين جديدين هما في طريق التجهيز .



مستشفى الصباح

الجزء الثاني

أقطاب النهضة في الكويت

إني ارى الواجب يقضي علي هنا بأن اعرف القراء الكرام بكلمات وجيزه عن أقطاب تلك الحركة في وطننا العزيز اليوم اعترافا بفضلهم واقرارا بسعيهم المشكور ، وليشكروا على ما عملوا فيزدادوا ويقتدي بهم غيرهم من اخوانهم .

اذ فلا اعد خارجا عن الخطه التي رسمتها لهذا القسم من التاريخ بما سأذكره عنهم في هذا الفصل .

بيت آل خالد الكرام

لهذا البيت من العز والشرف في الكويت ما جعله القطب الذي تدور حوله الامور المهمة هناك ولشيبه وشبانه ميزة على مواطنيهم بالذكاء والفطنة وبمناصرة كل مشروع خيري وعلمي وأدبي وبالثبات الذي هو سر النجاح في الاعمال ومن الغبطة في هذا البيت الكريم ان رجاله كما قال الشاعر .

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يهدى بها الساري

وفي هذا البيت وأبنائه الفضلاء قلت من قصيدة :

هات اليراع لاقضي حقا وجبا لمن انبروا للمكرمات وشمروا
اما يراعي فهو اعرج منحني ما زال يكبو في السباق ويعثر

هــات اليراع لتمتطيه أناملي في مــدح قوم في العلا ما قصروا
السابقين الى المفــاخر فوقهم سبقــا لعمري شمسه لا تستر
فليهنكم آل خــالد سبقــكم والسبق في الخيرات فخر يــذكر

أما الكلام على رجاله فهاك نبذة صغيرة عنهم .

حمد آل خالد

هو زعيم هذا البيت الكريم وهو من اكبر وجهاء البلد وأذكيــائهم ومن ارقهم شعورا واحسنهم محادثة له اطلاع واسع على تاريخ الكويت القــديم



المرحوم الحاج حمد الخالد

حتى ليعد اليوم من مصادره المهمة التي يرجع اليها وفي هــذا المفضال قلت من قصيدة :

يا حمد نجــل الطيبين ومن هــو في الليلة الظلماء بــدر مسفر
انت العمود لأسرة مــا همها الا اقتفاء طريق من يتبصر

انت الزعيم لهم وأنت إمامهم في كل معضلة تجل وتكبر

وله فوق ذلك فضل على المدارس والمساجد وفضل على الفقراء والمساكين ولا يوجد مشروع خيري الا وتجده في مقدمة أهله وله شغف بالإحسان وميل شديد الى المواساة. صافي السريرة ، عالي الأخلاق، صاحب نظرات صائبة وآراء صادقة .

أحمد الفهد آل خالد الخضير

[1] فلأحمد نجل الشقيق مآثر حصباؤها يوم التفاخر تنثر
وكذاك اخوان له لا تنسهم فالكل منهم طيب ومطهر
فهمو شباب قد حووا غرر العلا سيان منهم أصغر أو أكبر

هذا الفاضل هو أحد اقطاب هذا البيت الميمون واحد رجاله العاملين واحد احرار الكويت الفضلاء .

امتاز على كثير من أقرانه بدماثة اخلاقه وبتواضعه الذي غرس محبته في القلوب وبتفانيه في حب وطنه وبذله لذلك ما في استطاعته من مال وجاه ، وأذكر أن المحبذين للمشاريع الخيرية في الكويت كان هو في طليعتهم .

تولى نظارة الجمعية الخيرية بعد وفاة أخيه المرحوم الشاب التقي فرحان كما علمت سابقاً وانتخب عضواً في المجلس الذي تأسس ابان تولي سمو الامير الشيخ احمد الجابر الصباح وكان احد القائمين بتشييد المدرسة الأحمدية وأحد الآخذين بضبط المكتبة الأهلية وأكبر عضو عامل فيها وله يد بيضاء على هذا التاريخ تعادل يد من مده بالمساعدتين المادية والأدبية معاً فمع كونه بذل من ماله القسط الاوفر من قيمة طبعه كان هو اول منشط لي على السير في سبيل جمعه وتأليفه حتى كان لكلمات تنشيطه اعظم وقع في نفسي وكانت اكبر دافع لي على السير في ذلك المنهج الوعر .

---

(١) من القصيدة التي قدمتها لزعيم ذلك البيت الحاج حمد آل خالد .

فاليك اذاً ايها الكريم المفضال شكري الجزيل لأعمالك الجليلة وفضلك الظاهر واليك اعجابي بحميتك على وطنك العزيز وابنائه وغيرتك التي جعلتك مثالاً حسناً بين مواطنيك والتي لك الحق من جرائها ان ترفع على الاكف والرؤوس وتسكن منا في سويداء الأفئدة والقلوب .

علي آل خالد

هذا الفاضل هو شقيق المكرم احمد ويكفي ان نقول فيه بانه شارك اخاه المحترم في جل اعماله وفي كثير من اخلاقه وآدابه .

مهلهل بن حمد آل خالد

هو اكبر انجال المكرم حمد له عقل رزين وحلم واناة وسخاء وكرم سيما في



مهلل بن حمد آل خالد

مناصرة العلم والادب وهو أحد اعضاء المكتبة الاهلية وأحـد المحسنين على

المدرسة الاحمدية بماله وفيه قال شاعر الكويت عندما استضافه في البصرة فأولاه إحسانه واكرامه :

تهلل من مهلهل المحيا ورحب اذا نزلت عليه ضيفا
واعلا منزلي كرما وفضلا وسارع للحفاوة بي وحفا
وأوسعني كما اهواه برا واوسعني كما اهواه عطفا
واكسبني رعايته امتنانا واكسبني العناية منه لطفا
فكيف عليه لا يثني جميلا لساني جازيا نعماه كيفا
حكى حمدا أباه في علاه وشابهه لعمر الله عرفا
فهذا كان للعلياء زندا وهذا كان للعلياء كفا
ولا برحت ثغور المجد تتلو جهارا من ثنا هذين صحفا

خالد بن زيد آل خالد

شاب نبيه يتوقد ذكاء وفطنة ، مثال للاستعداد الغريزي في الكويت اذ هو على صغر سنه وعلى عدم دراسته له أفكار صائبة وآراء ناضجة وتدقيق في كثير من المسائل العلمية والأدبية مما يدع السامع يقف موقف المعجب بفطنته وبرقة احساسه وشعوره ولا غرو فقد اكتسب ذلك كله من ابيه المرحوم .

بأبيه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أباه فما ظلم

هوأحداعضاءالمكتبة الأهلية وأحد الذين ساهموا في المدرسةالأحمديةايضا.

مشعان الخضير

شاب ذكي جسور انتخب عضواً في المجلس الذي تأسس أول ولاية سمو الامير الشيخ احمد آل جابر وهو الآن عضو في الهيئة الادارية للمدرسة الأحمدية ويعد من الهيئة المؤسسة لها زيادة على إحسانه عليها براتبه السنوي ومن اعضاء المكتبة الاهلية ايضا .

علي بن ابراهيم آل كليب وشقيقه سلطان

اخوان فاضلان ، الاول أحد اعضاء المكتبة الاهلية وقد اشتهر بالثبات الغريب بحيث لا يمكنه التحول عن مبدئه مهما كان معارضوه. أما شقيقه فهو من الشبان الغيورين وممن كان لهم في تأسيس المدرسة الاحمدية يد تذكر فتشكر وهو الآن مدير المكتبة الاهلية وأحد اعضاء النادي الأدبي وكذا عضو في الهيئة الادارية للمدرسة الاحمدية .

مشاري بن عبد العزيز آل كليب

انتخب عضواً في الهيئة الادارية للمدرسة الاحمدية وفي المكتبة الاهلية ايضا هو من رجال بيت آل خالد الاذكياء .

آل النقيب الفخام

زعيم هذا البيت في الكويت السيد خلف باشا النقيب وهو أحد الرجال الفضلاء هناك . له أخلاق عالية وميل للعلم وذويه وكان من اعظم المعضدين للمدرسة الاحمدية وفي مجلسه العامر جرى اول بحث في تأسيسها وفيه أيضا عقدت عدة جلسات للمجلس الآنف الذكر وقد نقلنا عن هذا السيد بحثاً مستفيضاً في هذا التاريخ مما هو أعرف به من غيره .

السيد حامد بك النقيب

هذا الفاضل هو احد انجال السيد رجب نقيب اشراف البصرة رحمه الله وهو كويتي وعراقي في آن واحد حيث له في الكويت والبصرة بيوت وأقارب وله اعمال هنا وهناك وآمال في هذه وتلك فالكويتي اذا ما فاخر به العراقي أن يشاطره افتخاره ويقف واياه في مستوى واحد لأن فخر سعادته مشاع بين الفريقين .

له من المواهب العالية ما تؤهله لان يكون في صف كبار الرجال الذين تناط بهم الآمال في مدلهمات الامور ، فصدقه وخلقه وهمته القعساء مثال للكمال ، وقدوة حسنة لارباب الاعمال أما فطنته الوقادة فله منها ما يسهل

عليه تناول الامور الصعبة والمسائل العويصة بدون مشقة وعناء .

حلو الفكاهة، عذب الحديث، لا يخلو حديثه من نكتة بديعة أوفائدة. لا يعرف لليأس معنى ولا يتطرق القنوط الى نفسه الكريمة ، يقدم على العمل في الوقت الذي يحجم عنه الكثيرون . يقدم عليه وكله أمل في ادراكه ما يريد ولو سدت أمامه الطرق .

هو أول من فكر بتسيير السيارات بين الكويت والزبير في الوقت الذي كان الناس يرون فكرتها خيالا لا يمكن تحقيقه ولكنه وقد عرف بالاقدام سار بعزم لا يفل ونشاط لا يعرف الكلال حتى تحصل على امتياز ذلك من سمو الامير الجليل الشيخ أحمد آل الصباح حاكم الكويت فبرز المشروع بهمته يرفل في حلله القشيبة وبذلك أطلق الالسنة بشكره وبالثناء عليه وأخذالناس يتهافتون على الاشتراك بالمشروع تهافت الفراش على السراج وعض سبابة المتندم من لم يكن له فيها سهم ولكن بعد فوات الفرصة .

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

وللسيد المفضال عدا هذا جاه عريض ، وأخلاق حسنة ، وغيرة على العلم والادب . وأخذ بناصر الحق . ووقف في وجه من أراد خدش محياه بأظفار اعتدائه .

قام بسياحتين مع والده المرحوم في الهند ومصروسوريا سنة ١٣٢٩ وسنة ١٣٣٠ وفي سنة ١٣٤٢ انتخب نائبا عن البصرة في المجلس التأسيسي في بغداد ولكنه قدم الى المجلس اعتذارا فحصلت بين اعضائه مناقشات في قبول العذر أو عدمه وقد قال أحد فضلائهم : لا ينبغي قبوله لأن سعادته من الرجال الذين عليهم المعول في العراق وفي قبول ذلك يحرم المجلس من مواهبه وبعد اخذ ورد تقرر اخيرا قبوله. وهذا كله يدلنا على زهد سعادته بالوظائف التي يستميت عليها الكثيرون ويبذلون الأموال الطائلة في الحصول عليها ويدل على مكانته السامية بين القوم وكفاءته في مثل تلك المهمات .

اما فضل السيد الكريم على (التاريخ) فأمر يضطرني وكل غيور على أن

تخلع عليه برد المدح العاطر والثناء الجميل .

كان حفظه الله حريصا على رفع شأنه واعلاء مناره وقد شملني بمساعدتيه الأدبية والمادية حيث سلم لي بعض ما في خزانته من الرسائل التي دارت بين والده المرحوم وبين بعض حكام العرب وغيرهم مما لا يخلو من فائدة تناسب موضوع التاريخ كما انه أحد القائمين بطبعه وكذا تفضل بشجرة نسب آل الصباح جزاه الله أفضل الجزاء واقامه ركنا للحق وحصنا للعلم والأدب .

انت نعم الدليل في حندس الليل اذا ما الدليل تاه السبيلا
أنت علمتنا الثبات وحق ان تلاقي من الثناء الجميلا

السيد عبد الرحمن بك النقيب

هو احد انجال السيد خلف باشا النقيب من احرار الكويتيين الفضلاء ذو



عبد الرحمن النقيب

غيرة على العلم والادب ومن اعظم المنشطين لذلك هناك . انتخب عضوا في

المجلس الذي قلنا انه تأسس ايام امير الكويت المعظم وكان من أعضاء الهيئة الادارية للمدرسة الأحمدية ومن المؤسسين لها واحـــد اعضاء المكتبة الاهلية ايضا وفي هذا الفاضل يقول شاعر الكويت :

اثني عليك محقـا مقول الادب — يا من نمـاه لخير الرسل خير أب
فكم نظرت الى الآداب تنعشهـا — واهلهـا نظرات المشفق الحدب
وكم عطفت الى الاداب منحرفا — عنهن عطف اصيل الرأي ذي الدرب

الى ان قال :

فلو حبتـــك الكويت اليوم منصفة — صاغتـــك محكمة من جوهر الشهب
سجية فيـك حب العـلم راسخـة — رسوخ حب ذويه منك في العصب

مصلح الكويت الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي

هذا الاستاذ الفاضل هو أحد اقطاب الحركة العلمية والفكرية في الكويت واحد العاملين في كثير من المشاريع الخيرية بل هو في الحقيقة مصلح الكويت الفذ وقد فاق على ما سواه بمعاضدة المشاريع النافعة ماديا وأدبيـــا فتجده يبذل من ماله في سبيل اصلاحها مـــايفوق بذل الكثيرين من مواطنيه اهل الملايين ويبذل ذلك من وقته النفيس ما يعادل بذله للمال كل هذا قياماً بحق الوطن المقدس الذي لايعرف الجم الغفير لهمعنى ولا غرو أن يمتاز هذا الاستاذ على اخوانه بذلك فانه قد جمع مع الثروة علماً جماً انكشف له به من الاسرار مالم ينكشف لاحد من مواطنيه والى هذه الحقيقة اشرت بقصيدة عاتبته فيها على امر عتاب مداعبة ومزاح فقلت :

ابن لي فدتك النفس ذنبي ولا تخف — وما كان غير الحق قصدي وبغيتي
ولست ارى نقصاً علي من امرىء — يبين خـلالي الناقصات وزلـــتي
فما المرء إلا عرضـــة أينما سعى — لنقص وتقصـــير وسهو وغفلة
على انني مـــا زلت ابحث جاهداً — عن السبب المفضي لهجر الأحبـة

فلم ار حقاً ما يبرر هجرهم　　سوى صفر كفي وهو اصل بليتي
وذاك هو الذنب العظيم اذا بدا　　لدى جامع الامرين جهل وثروة
ولو كنت ذا مال ولم تك عالماً　　لقلت اذا من جهله اليوم قد أتي



الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي

ولكنني ماذا اقول وعلمكم　　به كنت حقاً مثل شمس منيرة
وكنت به تحمي الضعيف من الأذى　　وكنت به تبني علالي الفضيلة
وكنت به ملجا الكويت وأهلها　　اذا ما الخطوب السود في القوم حلت

انتخب عضواً في المجلس الذي علمت وهو الان ناظر المدرستين المباركية والاحمدية ورئيس المكتبة الأهلية التي يرجع الفضل اليه في تأسيسها ولله در شاعر الكويت حيث يقول في هذا المصلح مشيراً الى بعض مساعيه الخيرية وأعماله النافعة سيما تأسيس المكتبة الاهلية :

شغفت بكل إصلاح جليل　　منافعه تعود على العموم

أقمت اليوم يوسف خير ناد تقوم به مذاكرة العلوم
وذلك خير منهاج يؤدي بني وطني الى الخير العميم
وما للعلم لا يثني على من غدا لسعادة ازكى مقيم
وبوأ في الكويت العلم داراً يشح بها الحميم على الحميم

استاذنا الفاضل الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان

هو اجل علماء الكويت اليوم وأصلحهم وقد امتاز عليهم بالهدوء والسكون وحسن المعاشرة وبالأخلاق الفاضلة والآداب الجمة التي يغبط عليها ، قلما يسيء جليسه مهما بدر منه ، صبور على الشدائد جلد على المصائب وهو على علمه وفضله لايستنكف من الاخذ عمن هو دونه علماً وقد جمع مع علمه الواسع كرمه الحاتمي وعقله الحصيف .

له في مناصرة المشاريع الخيرية في الكويت آثار محمودة يشكر عليها فهو أول خطيب في افتتاح المدرسة الاحمدية واحد الخطباء في افتتاح الجمعية الخيرية وله مكانة بين القوم سيما أهل الحي القبلي لعفته النادرة وتقاه الصحيح حتى ان كثيرا من الناس ليقطعون المسافة البعيدة من اطراف الكويت الى حي القبلة لصلاة الجمعة خلفه وله في الفقه الحنبلي يد طولى وهذا الاستاذ الجليل هو الذي قال فيه الشيخ عبدالعزيز بن حمد آل مبارك الاحسائي.

الا أبلغا عني فتى المجد اطلاقاً ومن سبق الاقران في العلم اطلاقا
واربى على نهر المجرة فقهه لذا زهرها لاحت لعلياه اخلاقا
أديب على حبه اطوي جوانحي واجعله في موقف الحشر ميثاقا
سلاماً تمطى نسمة بات ركبها بروض من النسرين والند قد راقا

بيت آل بدر

زعيم هذا البيت المحترم الحاج المكرم ناصر البدر أحد الوجهاء والرؤساء وأحد رجال الشورى في مجلس الامير وكان من رجال هذا البيت ايضاً المبرور المرحوم عبدالله الرشيد الذي امتاز على كثير من الوجهاء والتجار لصلاحه

وورعـــه وفي الاول يقول استـــاذنا الفاضل الشيـخ عبدالله بن خلف في رحلته الحجازية :

وناصر كان الله عونـــاً لناصر شقيق ابي (مرزوق)من خير باذل
لقد جاد بالمعروف وهو ابن يوسف كما جـــاد عبدالله في كل طائل
حليف التقى ابن الرشيد انـــتماؤه الى البدر لازالوا بـدور المحافل
جزى الله عـني بالرضى كل محسن وجـــادلهم باللطف في كل نازل

مرزوق الداود آل بدر

هو من صلحاء هذا البيت وأتقيائهم له ميل غريب الى اهل العلم واسراع الى اغاثتهم وقد برهن على ذلك بعطفه على كثير منهم سيما الشيخ محمـــد الشنقيطي والشيـخ عبدالله الخلف والى هذا يشير شيخنا في رحلته الحجازية شاكراً فضل ذلك المحسن ومعترفا بمعروفه وافضاله

جزى اللهمرزوقالرضىعن فعاله واولاه احسانا بطيب الفعائـــل
وفى وفي بالوعد اذ كان اصله من البدر داود حميد الخصائل
رآني اعاني حمل شوق الى الحمى فساعدني بالحمل فوق الرواحـل
واكرمني فالله يوليه مكرمـــا مع الرفقة العز الهداة الافاضل

وقد انتخب هذا المفضال عضواً في (المجلس) ولم يزل دأبـــه التنشيط والتشجيع للحركات هناك .

مشاري الحسن آل بدر

اما هذا الاديب الفاضل فهو من افراد هذا البيت الفضلاء بل من افراد الكويت عقلا واخلاقاً واداباً .

له اطلاع واسع على مجرى السياسة في سائر الانحاء سيما في مصر بحيث يدهشك حينما يبحث معك في ذلك حتى ليخيل اليك أنه ممن نبتوا في ارض مصر واغتذوا بلبانها . له من الصلاح والتأني وصفاء السريرة ما جعله محترماً

بين اخوانه ومحبوباً عند مواطنيه .

محمد الثنيان الغانم

هذا الكريم المفضال من آل زايد العائلة الكبيرة المعروفة في الكويت .

اشتهر بين صغير القوم والكبير بكرمه الحاتمي وسخائه الذي كان بــه كعلم في رأسه نار ، فما يوجد مشروع خيري هو في حاجة الى المال إلا وتراه مع المتقدمين في سبيل معاضدته .ولا اصطحبه قوم في سفر إلا وقيدهم بربقة فضله وامتنانه .وهو ايضاً من الآخذين بساعد العلم والادب .

أذكر أنه شهد احد احتفالات المدرسة الاحمدية فتبرع لها بمائتي روبيه عندما أعجبه ما رأى وشاهدفيه من النجاحوحسن النظام .اماتاريخالكويت فانه يشكره بملء فيه لما اولاه من عطفه واحسانه .

ولا يفوتني أن اذكر في بيوتات الحي القبلي بيت آل العــدواني . وآل المديرس . وآل السميط . وبيت المحترم الفاضل محمد السديراوي الذي نزح الى بمبي مع والده المرحوم واتخذه آل الصباح وكيلا لهم هناك . وبيت آل فوزان . وقد نزح منهم ايضاً الى بمبي الفاضل الحاج عبد الله واولاده الفضلاء ومن الباقين في الكويت من ذلك البيت المكرم الفاضل فهد الفوزان وقــد سكن في أعظم بيت تاريخي في الكويت وهو بيت الشيخ احمــد بن رزق المشهور . وبيت المرحوم مرزوق آل مرزوق الذي أقام في كراجي مع كثير من أولاده الكرام وتحصل هناك على ثروة طائلة ، وقام بايواء مواطنيــه ، وقضاء حاجاتهم خير قيــام . وبيت آل الخرافي وقــد نزح ايضاً بعضهم الى كراجي . وبيت الكريم المفضال عبدالله النفيسي معتمد عظمة سلطان نجد . وهو رجل من اهل الاخلاق العالية ، ومن اهــل الهــدوء والسكون الذي حببه الى كثير من الكويتيين وبيت الاخوين الفاضلين عبد الله ومبارك آل ساير ، وكان لهما فضل على المدرسة الاحمدية بما فرضاه على انفسهما من المرتب السنوي لها . وبيت الحاج الفاضل عبد الرحمن بن بحر وهو من المثرين النبلاء

ومن الذين لهم ايضاً فضل براتبهم السنوي على المدرسة الاحمدية ومن اعضاء المكتبة الاهلية . وبيت الشاب النبيه السيد علي بن السيد سليمان احد اعضاء الهيئة الادارية للمدرسة الاحمدية ، واحد اعضاء المكتبة الاهلية ايضاً وبيت الحسيب النسيب السيد عبدالله ابن السيد يوسف واولاده الكرام . وبيت آل العتيقي وقد كان كثير منهم موظفين عند آل الصباح ومنهم صاحبنا الاديب الفاضل سالم بن عبدالله العتيقي وبيت الفاضل الأديب عمر العلي وهو ممن عرفوا بميلهم الشديد للعلم وحرصهم على تعليم ابنائهم العلوم النافعة وقد دفعه ذلك الى ان يسعى السعي الحثيث لانضمام ابنه في معية البعثة العلمية التي أسلفنا الكلام عليها ولهذا الفاضل نظراء كثيرون من أخصهم صاحبناالفاضل الأديب سعود آل زين فقد كان شوقه شديداً الى ان يكون ابنه فيصل رئيس تلاميذ المدرسة الأحمدية من جملة افراد البعثة وقد خاطبت مدير الكلية الأعظمية العلامة المكرم المحترم الاستاذ الحاج نعمان الأعظمي في قبوله فابدى كل ارتياح وسرور يشكر عليه .

فأذكر بيت آل غانم ومنه أخوان فاضلان ابراهيم واحمد وقد قام الاخير بعمل شريف لم يفز به أحد من أهل الكويت ، ذلك هو تصديه لمباشرة المرضى مجاناً وإشغاله أوقاته النفيسة في معالجتهم . حتى غادر الناس يلهجون بذكره وبالثناء عليه . وكذلك بيت آل جوعان وقد هاجر منه الى المدينة المنورة الفاضل الشيخ عبدالوهاب آل الجوعان ، وبيت آل الدويرج ،وآل العنقري ، والشاب الحر السيد زيد بن السيد محمد أحد أعضاء المكتبةالاهلية وبيت آل فريج ومنه الشاعر المشهور عبدالله آل فرج الذي طبع ديوانه المحتوي على كثير من شعره النبطي صاحبنا الاديب الفاضل والشاعر الثائر خالد بن محمد آل فرج الذي نظمناه في سلك شعرائنا المجيدين .

وهناك في الحي الشرقي بيت آل الدبوس وهم من المشهورين بالشجاعة والاقدام . وآل المناعي وآل العسعوسي ، ومدرسة السعادة التي أسسها المحترم المفضال شملان بن علي اليوسف .

وهنا لايسعنا ايضاً الا ان نشكر مع هؤلاء الاماجد رئيس النادي المحترم واعضاءه الكرام ومن قـــدمناهم من الشبان والشعراء وبقية اعضاء المكتبة الأهلية فانهم والحق يقال من اعظم اركان الحركة في الكويت .

هذه صحيفة بيضاء لهؤلاء الاماجد النبلاء سطرنا فيهـا أعمالهم الجليلة التي يجب من جرائها رفعهم الى مقام الاجلال والاكبار ما تخللت ارواحنا الاجساد. هذه هي صحيفتهم النقية واعمالهم الطاهرة ولاريب في أن من مواطنيهم من لو أردنا الكتابة عنه لـكانت وياللاسف صحيفته سوداء قاتمة ترمي النفس بشرر الغم والحزن فمنهم من لايوصف الا بالصفات الذميمة فمن بخل شنيع الى خور في العزيمة ومن كبر واعجاب الى نفرة من الاصلاح واهله .

وبودي ان لو سنحت لي الفرصـة في هؤلاء لأضم صحيفتهم السوداء الى تلك الصحيفة البيضاء النقية حتى يعرف القراء البون الشاسع بـين الفريقين ويعرف كل فريق مايستحقه دون زميله من مدح او ضده بودي ذلك ولكني أخشى إن أقدمت عليه تألب القوم على اقلاق راحتي بكيدهم ومكرهم وانا في حاجة الى راحة استرد بها ما فقدته من قوة لاتفرغ بعد إنجاز طبع التاريخ الى عمل اخر غيره . لهذا فسأطوي صحيفتهم الآن بمـــا فيها منتظراً فرصة اخرى يصفو جوها وتنار سبلها .

من تقاليد الكويت

العيد في الكويت

للعيد هناك من الابهة والجلال مثل ما له في سائر الاقطار الاسلامية فهناك ترى رمز المحبة الاسلامية ظاهراً والاتحاد الديني محكماً وهناك ترى الأحقاد تتطاير من القلوب والضغائن تذهب من الصدور وهناك ترى الحكمة في مشروعية تلك العبادة الشريفة متجلية بأعظم مظاهرها يحس بها من القوم حتى الصغار يهبون باكراً لاداء ما فرض الله عليهم من صلاة مهللين ومكبرين وحامدين الله على ما خصهم به من جزيل النعم يهبون وقد لبسوا افخر ملابسهم وتجملوا بأجمل ما عندهم من زينة .

ثم يذهبون إلى أمير الكويت المعظم واخوانه من آل الصباح لتهنئتهم بحلول العيد فيجدونهم قد اصطفوا في بهو واسع أمام أحد قصور الامير الفخمة التي شيدت على ساحل البحر فيصافحون كلا على حدته مهنئين ثم تقدم اليهم بعد ذلك قماقم ماء الورد وينصرفون .

مراسم العيد بين الاهالي

في اليوم الاول يزور اهل الحي القبلي اخوانهم من الشرقيين واهل الوسط وليس هناك من التكاليف الا تقديم كاسات القهوة والشاي وتقديم ماء الورد والعود ايضاً وفي اليوم الثاني يعيد أهل الحيين الزيارة على إخوانهم فيقابلونهم

بمثل ما قوبلوا به يقول المهنيء لاخيه (عيدكم مبارك) فيجيبه بقوله : (اعاده الله علينا وعليكم بخير وعافية) أو نحو ذلك من العبارات وهنا يعجبني قول احد الفضلاء في بيتين قدمهما (لمبارك) في هذا المعنى :

تهنــا بالسعادة حيث لاحت ... لك الافراح والعيد المبــارك

فأنت الفخر لا للعيــد فخر ... لقول الناس عيدكم مبــارك

عادات العيد

اعتاد الكويتيون سيما في أيام مبارك تعطيل اشغالهم أسبوع العيد كلــه واشتغالهم بالألعاب الحربية كل نهار فيكون أهل كل حي حلقة من رجالهم قد انتظموا كخرز المسباح وهم يرقصون ويلعبون وينشدون الاناشيــد الحماسية الحربية ويضربون بالدفوف وبالطبول ويملأون الفضاء من رمي البنادق ويخطفون الأبصار بوميض السيوف ، وقد كان مبارك يعطي هذا الامر اهتمامه الزائــد حتى لقد كان يقسر الناس احيانا على ذلك ليمرنهم على مقدمات الحرب وتسمى تلك الالعاب (حدوات) او (عرضات) جمــع (حدوه) و (عرضه) ولله در شاعر الكويت حيث يقول في ذلك :

وما للعمي في (العرضات) انس ... فأمدحهــا بنظم او نثــير

وهل اثني على العرضــات خيرا ... ولذتهــا خصوصــا للبصــير

طعام العيد

يعتني الكويتيون بطعام العيد اعتناء خاصا فمنهم من يخصه بعائلتــه وبأقاربه ومنهم من يفتح أبوابه للفقراء والمحتاجين الذين لا يجدون من يواسيهم في مثل ذلك اليوم الذي هم في حاجــة كبرى الى من ينتزع البؤس من قلوبهم وانها لعادة شريفة يتجلى فيها الكرم العربي بأكمل معانيه ويتهلل منها وجه المروءة والشهامة وبودنا لو تسري هذه العادة المحمودة في جميع بيوت المثرين الذين لا زالوا ينفقون الأموال الطائلة في سبيل لا يحمدون عليها بل بودنا ان يتخطوها الى ما هو اعظم منها شأن اخواننــا النجديين ومن حذا حذوهم

كأخواننا اهل الزبير فقد كانوا ولا يزالون يخرجون الطعام من بيوتهم ويملأون به الشوارع والأسواق في هذا اليوم وكانت هذه العادة موجودة فيما مضى في بعض احياء الكويت ولكنها وياللأسف قد انقطعت .

اليك يا عيد

ارسل الينا صاحبنا المفضال الاديب خالد بن محمد الفرج الكويتي الجنسية قصيدة غراء من البحرين بهذا العنوان رأيت اثباتها هنا لما لها من المناسبة في هذا الموضوع ولما تضمنته من الفوائد والعبر فقال :

اليك يا عيد باحفاء ... يلقى سؤال لسان حالي
هل طالع الناس منك سعد ... يرمي الى ذروة الكمال
أم أنت يوم كما سمعنا ... قد حفه الله بالفضال
اذ يطلع الفجر منك شمسا ... رمز المسرات والجلال
تحسد ايام كل عام ... بيديك للعالم الليالي
ان حان للناس منك حين ... قاموا للقياك باحتفال
هذا بما لاق مستعد ... وذاك يرنو الى هلال
ام سعدك الان فيه رمز ... تطالع النحس في المآل
كبسمة الطفل فهي تنبي ... عما يلاقي من الوبال
اني ارى فيك حين تزهو ... بكل زين لميع آل
لم تبق زوراتك الخوالي ... لواسع الفكر من مجال

* * *

وليلة بتها سعيدا ... لم يخطر النوم ببالي
احييتها في الدجى فريدا ... ولا سمير سوى الخيال
هل تغمض الجفن عين صب ... او تسهر الليل عين سالي
اظن ان الهوى مجد ... من حيث لم ادر باغتيالي
بل بي هوى هاتاك الدراري ... اذا البست حلة الجمال

خـــاطبتها والشعاع زهو ... وليلهـــا اسود القـــذال
يا أيهـــا الانجم اللـــواتي ... ما زلت للكشف في مطـال
يا ليت جسمي يكون نورا ... ولو ضئيلا بـلا اشتعـــال
حـــتى أراك من قريب ... محررا مطلقـــا شـــكال
وليس للجذب من سبيـــل ... الى احتبامي أو اعتقـــالي
بالله فاشفي لظى غليـــلي ... وعللي مـــا حوى سؤالي
وخلصيني من الامـــاني ... ان الامـــاني كالمحـــال
افيـــك عيـــد له سعود ... يشبه ذا العيـــد بالمثـــال
ام هو في السعد ذو نصيب ... كما توهمت في خيـــالي

* * *

يا قلب دع عنك ما تناجي ... فليس ذا السر بالمـــذال
قم باكرا (فالصباح عيد) ... والنجم قد مـــال للزوال
وايقظ الديـــك كل غاف ... برفـــع اصواتـــه العجال
هيا إلى العيد إن فيـه ... أسمى عظـــات ذوات بال
لبست ما راق من ثيـــابي ... من الضروري الى الكمـــال
خرجت والناس في ارتياح ... كعاشق فـــاز بالوصـــال
من كل شخص لـه ثياب ... والقلب والجسم للبغـــال
لم يأل جهدا بكـــل زين ... من نعل رجليـه (للعقال)
لم يدر ان الجديد رمز ... للبس اكفانـــه البـــوالي
فسرت والناس في ازدحام ... لمسجـــد الله ذي الجـــلال
جلست مخشوشعـا خضوعا ... يـــكاد يبيض لي قـــذالي
فلوعـة الحزن في اضطرام ... ودمعـــة الخوف في انهمال
قـــام خطيب كلا خطيب ... يتلو صـدى الاعصر الخوالي
ادير وجهي الى النواحي ... واتعب الطرف في المجـــال
فمن امـــامي الى ورائي ... وعـــن يمـني وعـــن شمالي

رأيت نفسي تجـاه قوم	يـدعوهم العصر بالرجال
عهدت من قبلهم أناسـا	دعـاهم المـوت بارتحال
بمثل هذا المقـام قامـوا	ورتلوا مثـل ذا المقـال
ناداهم المـوت فـاستجابوا	وكل حي إلى زوال
لا بد يأتي إليـك عبـد	وأنت تحت الـثرى المهال
هنـاك ترنو لمن عليهـا	قد عطر الثوب بالغوالي
تقـول يا أيهـا المغني	مسكين هل انت في خيال
اذ يكشف القـبر سرا	لديك كشفا ولا يبـالي

عادات الكويتيين في مجالسهم :

المجلس الذي يقابل المرء فيه زائريه أو يدعو اليه أصحابه يسمى (ديواناً) ويكون في جناح الحرم فيه حجرة أمامها بهو في أحـد جوانبه (ايوان) للصيف وفي صدر الحجرة صفت آلات القهوة والشاي وقمـاقم الورد ومجامر العود صفاً متقناً .

اما (الوجاغ) وهو الموقد الذي تصنع فيه القهوة فهو حفرة مجوفة مربعة على حافتيها مجلسان صغيران اقيم لكل واحد (متكأ) (جدار صغير) احدهما يجلس فيه رب البيت بنفسه والزائر الوجيه والثاني لصانع القهوة وأحيانـاً يوجد خلف المجلس الاخير أو عن يساره مخزن للحطب ومجموع آلات القهوة يسمى (ادلالا) جمع (دله) او (معاميل) وهي مؤلفة من أباريق عدة مستوية أشكالها في حين اختلافها في الحجم والاسماء فمنها (المصب) وهو الذي تسكب منه القهوة للشاربين و(اللقمة) وهي التي تطبخ فيها (والخمره) وهي ماتكون مجمعاً لبقاياها وقد يوجد في المجلس من كل نوع عدة ومن تلك الأباريق مايصنع في نفس الكويت ومنها مايجلب اليها من الخارج وتسمى آلات الشرب(فناجيل) تحريف (فناجين) كما قال الشاعر :

هات اسقني قهوة قشرية فضحت بكر المدام وشنف لي الفناجينا

تدعو إلي نحو ما فيه البقاء ولو دعت الى نحو ما فيه الفناجينا
لو أن ألفاً أحاطوا نحو ساحتها قصد النجاة رأيت الألف ناجينا

والمفرد (فنجان) وهي من الكاسات الصغيرة وليس من العادة المتبعة ان يملأ الكأس كما يوجد في بعض الجهات وهناك (المحماس) وهو الذي تقلى فيه القهوة على النار ثم تدق في (الهاون) وهو قالب من الحديد مجوف .

وللقهوة اهمية لاعند الكويتين وحسب بل عند جميع اهل الخليج وأهل نجد والاحساء واليمن بحيث لايتم اكرام الزائر بدون تقديمها مهما قدم له من لذيذ المآكل والمشارب ، ومن هنا كثرت اشعارهم في مدحها والتشبيب بها وهاك نموذجاً مما قالوه فيها لتعرف مقدار أهميتها عند القوم .

قال الشيخ عبدالله بن عبدالقادر الاحسائي قاضي المبرز المتوفى هناك سنة ١٣٤٤ رحمه الله :

اغثني ايها الساقي لعلي اذا اظمتك نازلة سقيت
بكأس من جنى البن اليماني متى آنست رياها انتشيت
تعد نباهة عقلي كما قد يمد ذبالة النبراس زيت

وقال الشيخ صقر شاعر الكويت في مجلس المكرم شملان بن علي بن سيف:

محل الشهم شملان المفدى به لذوي المفاخر أي حظوه
به كانونه يدفي فيكفي فتى لم يلق في مشتاه فروه
يؤجج ناره فيه إلى أن يغادر في حسام القر بنوه
وحول النار قد صفت (دلال) بهن لشاربيها خير قهوه
وهل كالنار في المشتى اذا ما بها حفت (دلال) البن شهوه

وذهب السيد عبدالجليل والشيخ عثمان بن سند الى الشيخ حمود التامر الشبيبي شيخ المنتفك على شاطيء الفرات وهناك وجد الشيخ علي بن الشيخ محمد صالح مفتي البصرة فقال الشيخ عثمان مخاطباً الاثنين ، مرا لي صاحبي

بكأس قهوة ، قال السيد فامرنا له بها فقال لا بل اجز فاستقلته فلم يقلـــني فعلمت اذ ذاك انه يريد اختباري فقلت على البديهة ، كذوب التبر صافية بغدوه ثم سكت فقال زد البيت فزدته ثم حمي وطيس المساجلة وقـــد انتهت الى أبيات زادها السيد بما تخلص به الى مدح قـــاضي البصرة الشيخ عبدالقادر افندي الحيدري البغدادي والشيخ عثمان بن سند واليك الأبيات بأجمعها :

عثمان	مرا لي صاحبي بكأس قهوة	كذوب التبر صافية بغدوه	السيد
	من البن الاريج شذا بكأس	يعطر عرفه من رام حسوه	«
	علاه جوهر كفرند عضب	جلاه القين لا لحذار نبوه	«
	تنقط من فم الابريق خالا	بوجنة جامها وشما مموه	«
«	يطوف بها علي أغن أحوى	كأن بخده والكف جذوه	«
«	رشيق القد يحكي البان لينا	كأن به اذا ما ماس نشوه	«
«	له نعتات ام الخشف ترنو	بعين تذكر العذري شجوه	«
«	اروم وصـاله لتقر عيني	بغرة وجهه فيزيد زهوه	«
«	علقت به وغصن العمر غض	يحركه الهوى العذري نحوه	«

وقال أحد الاحسائيين واظنه الشيخ عبدالعزيز بن احمد آل المبارك الذي تولى التعليم في المدرسة المباركية كما يأتي :

قم يا رفيقي فاسقني بمنيـــة　　　اذكى من الورد الجني واضوعا
وأدر علينا من جناها قهوة　　　حمراء تستصبي العفيف الأورعا
بكرا تعير الكأس لون متيم　　　فتخـاله بجمالها متولعـــا

وقال ايضاً وهو في أبي ظبي من مدن عُمان :

أخذ الدلة من كانونهـــا　　　بشمال وأدار الكأس يمنا
طال ليلي (بابي ظبي) ولا　　　ظبي لي فيه يحاكي البدر حسنا

الحركة الفكرية والعلمية امس

كانت الكويت من نشأتها الى قبل عشرين سنة غارقة في بحر الجمود منغمسة

في حمأة التأخر ولا أثر للحركة العلمية والفكرية فيها وكان الشائع بين أهلها اذ ذاك مبادىء الفقه والعربية والخط المتوسط والحساب البسيط وماعدا هذا من العلوم العصرية والمشاريع النافعة والآراء الحية فليس لها اثر بينهم ولو وجد شيء منها إذ ذاك لنفروا منه ومن اهله النفور العظيم ولرموا متعاطيه بالزندقة والإلحاد . ولا غرو فالبعد عن البلاد المتمدنة وعدم الاختلاط برجال مفكرين وعلماء مخلصين ووجود أذناب ينتسبون للعلم بهتاناً وزوراً كل ذلك من العوامل القوية لبقاء القديم على قدمه وتأخر الشعوب في ميدان الكفاح وقد ظلت الكويت تلك المدة الطويلة وأهلها يتخبطون بجهلم الدامس فكانوا يرون الصغير في العلم كبيرا والحقير في الأدب عظيماً . ولا اذهب بعيدا في ضرب الامثال على سذاجتهم في ذلك الدور وها كل منا قد شاهد منه كثيرا في وطننا وسآتي هنا بنبذة يسيرة للاعتبار لكل القراء ممن يجهلون الحال هناك ليقارنوا بين امس الكويت ويومها .

الكويتيون والدجالون

للدجالين آثارهم السيئة في كل بلد وفي كل محيط ولهم من الهيمنة على العقول والافكار ما يستصغر معها كل هيمنة وسلطان وللكويت منهم حظ كبير ونصيب كما لغيرها وهم فيها كثيرون لاكثرهم الله ولا أعوانهم. وفي هؤلاء قلت من قصيدة ارسلتها الى صاحبنا الفاضل نابغة البحرين ونبراسها عبدالله بن علي آل زايد :

ايها السيد إني في عنا	من مداراة جهول أرذل
إن أقل حقاً تراه مغضبا	وتراه مصغيا للعذل
وتراه دائماً من جهله	ضارباً رأس الهدى في معول
بل تراه مصلتاً سيف العدا	ليذيق الحق كأس الحنظل
حالة منها المعالي زعزعت	وبها دين الهدى في مشكل

ويح قلبي ياخليلي ان يكن كل وغد بين قوم يعتلي
وعليه الجل يمسي عاكفاً راجياً منه انجلاء المعضل
ان يقل جهلا يقولوا قدأتى بعلوم هي فتــح للولي

ولكن صاحبنا الحبيب عاتبني على هذا التخوف من هؤلاء القوم بقوله :

ايها الشهم مزقت الحشا بشكاة من جهول أرذل
قل سلاماً ثم اعرض عنهم جهلهم راميهم في المقتل
لاتحاذر من خيال زائل إنهم من عمرهم في الأرذل
إن أدوار الورى دائرة في ارتقاء رغم قطب أوولي

وقد يكون حفظه الله مصيبا في عتابه فإني أرى فيهم كما يرى ولكنهـا نفثة مصدور رميت بها إليه إظهارا لحقيقة هؤلاء الدجالــين لمن لا يعرفهم ولا يعرف ما نعانيه في سبيل مقاومتهم .

ومالي الآن وللافاضة في أخبارهم وكشف اسرارهم واستقصائهم فردا فردا في هذا القسم من التاريخ وإني اكتفي بالتلميح اليهم .

أما هنا فسأكتفي بزعيم من زعمائهم المقدمين في الأيام الحاليـة كان له حركة قوية في اضرام نار الجمود واخمــاد مصابيح الحريـة الحقة وهو رجل إحسائي .

عبد العزيز بن صالح العلجي الاحسائي

يفد هذا الرجل إلى الكويت من الإحساء فيقيم هناك مدة ينفث فيهــا سمومه القتالة ويسعى في إيقاظ الفتنة النائمة وإضرام نار البغضاء في القـلوب ويستعمل الوسائل العديدة لذلك بلا خوف ولا حياء .

تكون الكويت آمنة مطمئنة وما هو إلا أن تطأ قــدمه أرضها حتى ينكر الابن على ابيه والاخ على اخيه وينشر من زيغه وضلاله مـا يضج الدين منه ومن اخف ما كان يحدث به استسهال معتقديه اطلاق الكفر والالحاد على

المسلمين واستحلال دماء الموحدين وتقربهم الى الله بهجر المؤمنين .

حكم بعضهم من جراء تعاليمه بكفر الاستاذ الكبير السيد رشيد رضا واستحلال دمه حتى حاول أحدهم قتله في السنة التي زار الأستاذ فيها الكويت وترصد له في الطريق الذي اعتاد المرور منه ولكن من حسن الحظ ان منع القدر الاستاذ من المرور ذلك اليوم من طريقه ، هناك رفعنا الى الله اكف الحمد على نجاته من تلك اليد النجسة حمدنا الله وأثنينا عليه كثيرا لأن قتل الاستاذ مع كونه خسارة كبيرة على الاسلام والمسلمين يكون نقطة سوداء في تاريخنا وعارا نلبسه أبد الآباد .

ثم أتدري لماذا حكم عليه بالكفر واستحل دمه المعصوم ، كان ذلك لان الرجل الاحسائي يقول في فضيلته .

إلى الله نشكو من ضلال على عمد اتتنا به الجهال عن كل مرتد
قلوا كتب الأسلاف واستبدلوا بها سجلات أصحاب المنار التي تردي

أما هو فقال هذا القول حينما عثر على عبارة للدكتور صدقي في مجلة الاستاذ الغراء ظهر له كفر صاحبها ولم ير للاستاذ الجليل ردا عليها ولا انتقادا على صاحبها أو تكفيرا له إذ اعتبر من جهله وغباوته سكوته اقرارا للكفر ورضا به واستفتاه بعض افاضل الكويتيين اذ ذاك في تكفير الاستاذ فصدهم وردهم ، ومنعهم علمهم عن موافقته على جنونه فكان جزاء هؤلاء الاتقياء منه أن نظمهم في سلك الزنادقة أيضا ولم يكتف بهذا بل حاول تجشم المثول بين يدي مبارك الصباح لاقناعه بقسرهم على ما يريد أو على نفيهم من الكويت حماية لعقائد العامة وكاد يفعل لولا ان منعه بعض محبيه من ذلك التهور .

أما مبارك فقد علم بكل ما جرى واستنتج منه بفطرته السليمة الخطأ الفاضح الذي ارتكبه ذلك الرجل ففاجأ من كان يأوي اليهم بقوله (أعطوا صاحبكم ما قسم له ودعوه يذهب الى بلده فلسنا في حاجة الى أمثاله ممن

يبثون الفتن ويحكمون على أهل العلم بالكفر والضلال ، دعوه يغادر البلد سريعا والا أخرجناه منها قسرا فشكر الناس مباركا على ما عمل وعدوا ما قاله من حسناته ولكن مهما يكن فقد بذر هذا الرجل بذورا فاسدة أثمرت التعصب الذميم تعصبا لا نزال نعاني من جرائه الأمرين ونكابد في قلمه الأذى والنصب وهاك نموذجا صغيرا من ذلك .

صرح بعض معتقديه في مجلس عام بقوله(إن قتل ثلاثة من أهل الكويت ثمن لدخوله الجنة بغير حساب الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي والشيخ صقر بن سالم الشبيب وكاتب هذه السطور) .

وقامت قيامة بعض السفلة على شاعر الكويت أيضا عندما نشرت له مجلة المرأة الجديدة قصيدة بعنوان (يضر النصح) قال فيها :

وخلوا في الديانات افتراقا	يؤول بكم الى الحرب العوان
ودينوا من تكاتفكم بدين	لكم يلقى التقدم بالعنان

قامت قيامة ذلك السفيه على الشاعر الفاضل اذ فهم من قوله هذا انه لا يرى فرقا بين المسلم والكافر حتى قال كنت شاكا في تدهوره وكفره . اما الآن فقد اتضح لي ذلك وهناك تمالأ هو واسافلة مثله على قتله ولكن الشاعر وقد علم بما بيت له حاول مغادرة الحي الذي كان مقيما فيه الى حيث يأمن على نفسه من الكويت سيما وقد اشار عليه بعض اخوانه المخلصين بذلك فاعلن بيع بيته وقال متأسفا عليه :

أظلتني بشرقي الكويت	خطوب الزمتني قعر بيتي
وما بيعك يا بيتي بسهل	ولكن فيك خفت اليوم موتي
أيسهل أن أبيع اليوم بيتا	وفيه أنت يا نفسي ربيت
فذوبي من اساك عليه ذوبي	وإلا يا لكاع فما وفيت
اتلزمني خطوب الدهر بيعا	لبيت فيه يا نفسي نشأت
وما تقضين من جراه حزناً	اذا مني عليك الدهر مقتي

كأنك يا جيــاع الخطب مني — وقد افنيت لحمي ما اكتفيت
رويدك إن للعلياء حاجـــا — بن ظلما عليــه قـــد أنخت
ستثأر لي المعالي منــك ان لم — تكوني عن جهالتك ارعويت

وكاد الشاعر يبيع بيته لولا شفاعات من إخوانه الصادقين بـأن لا يفعل وقد علم هو وعلمنا أن ما أصابه من أولئك السفهاء هو كله من نفثات ذلـك الإحسائي المتلبس .فإنه هو الذي حكم عليه بالكفر أولا وهوالذي أفتىبهجره ثانياً والى هذا يشير شاعرنا الفاضل :

تقول لقد أفتى بهجرك شيخنا — أناس بشرقي الكويت تقيم
وطاعتنا عبد العزيز بن صالح — سبيل الى باب الجنـــان قويم
فقلت جزاه الله خيراً فهجركم — لنفسي به لو تعلمون نعـــيم
على راحتي قد حشـكم ومراده — شقائي وربي بالضعيف علـــيم

أفتى هذا الرجل بوجوب هجر الشاعر على غير مـــا ذنب ولا جرم ولا دافع غير التعصب والخوف ان يحتل الشاعر عند معتقديه مركزه الذي كان يشغله وإلا فهو القائل فيه أولاً :

أرى الغوري يبكي بعـد صقر — بـدمع ساخن وهو الحليب
إذا قلنا له أمسك علينـــا — دعـــاه الشوق فهوله مجيب
وتنتحب الكؤوس عليه حتى — خشينا ان يفتتهـــا النحيب
وصاح الصحن منحزن بصوت — به انشقت من الخبز الجيوب
وهل عيش اذا صقر جفـــانا — و (هاجرنا) بلا ذنب يطيب
ليعلم ان صقرا وهو أهـــل — لنا ما حل في أرض طبيب
ولا عجب اذا أحببت صقرا — ففي أخلاقه نبأ عجيب

وهنا أمسك القلم عن الجري في ميدان التعصبات التي كان يبثها ذلك الدجال في الكويت وكان بودي انه لم يجر ولا شوطاً واحداً في ذلك الميدان الواسع الفسيح لان من شربوا كؤوس تلك الغصات اخوان لنا ومن أبناء

جلدتنا يضمنا واياهم دين واحد ووطن واحد وهم منا ونحن منهم عيبهم عيبنا ونقصهم نقصنا ولكن ماذا أصنع والتاريخ يناشدني أن أقول الحق ولو على نفسي وأن أجاهر بما أعلم ولو كان مراً اقول هذا وانا على يقين أن القوم اليوم غيرهم بالأمس وأن افكارهم الآن غيرها في الماضي فقد تبين لكثيرمنهم الحق وعلموا بتدليس بعض دعاتهم سيما ذلك الاحسائي وقد أشرت الى تلك الحقيقة بالقصيدة التي بلغت نحو ثلثمايـة بيت في الرد عليـه وكشف اسراره فقلت :

(ابا صالح) يا من يرى أنه الذي — به هجر تعـلو على قمـة النسر
هجرت لهجر وهي ارض عـزيزة — وما كنت من خير هجرت ربى‌هجر
هجرت لها إذ لم تفز عند اهلهـا — وهل فاز ذو مكر خبيث وذو غدر
وجئت لقوم في الكويت تزيغهـم — عن المنهج الأسنى الى المنهج الوعر
تـذيع لديهم كل يوم نصائحـاً — ولكنها عن كل خير وعن بر
وتحسب ان الغش إن طـال صقلـه — سيخفى على أهل البصيرة والذكر
ألا عـلم الاقـوام بالغش والريـا — الم تر حتى الجاهلون على حـذر
يقـولون جمعاً مـا لنـا بعـداوة — ونحن بأسباب العداوة لا ندري
أيأتي الينـا من ربى هجر جاهـل — تزيا بزي العلم للنهش والعقـر
فيتركنـا في فتنـة وعـداوة — فنمسي على غـل ونصبح في وغر
أهل زاغت الأبصار عن قول ناصح — أم السمع منـا في غشـاء وفي وقر

الى من يلوم الدعوة الى الاتحاد :

قد يلومني جاهل متعصب فيما كتبته في هذا الفصل‌ويرميني بالميل لتفكيك عرى الوحدة والاجتماع وسوف لا اعبأ بلومه ولا برميه ، أما من شرب كأس الانصاف وفحص الحقائق فحص محقق خبير فانا على يقين انـه سيمنحني من العذر أوسعه ويرى ما كتبته واجباً دينياً ، كيف يسوغ لنا السكوت عن كشف اسرار هؤلاء المدلسين الذين تقولوا على العلماء المصلحين بمـا سمعت ولم لايعتبرون هم ومن على شاكلتهم البادئـين بالاعتداء والساعين لاثارة الفتنة

القائمة أيسوغ لنا السكوت عنهم وقد نسبوا لنا كل عظيمة ورمونا بكل افتراء وزلزلوا عقائد العامة بتدجيلهم وأفسدوا فطرهم بمكرهم وخداعهم واستولوا على افكارهم بما يظهرونه من زهد مصطنع وتقى غير صحيح .

صلى فارهبني وصام فرابني نح القلوص عن المطي الصائم

* * *

اظهروا للناس نسكا وعلى المنقوش داروا
وله صلوا وصاموا وله حجوا وزاروا
ان يكن فوق الثريا ولهم ريش لطاروا

ان كانوا يرون ما يقولونه فينا وفي سوانا من الدين فنحن نرى إبطال مازعموه من الدين ايضاً كما يرون ، نحن نود ان نكون يدا واحدة في كل ما يرفع الوطن ويعليه وفي كل ما يحمي عقائد اهله من الزيغ والضلال ونكون كتلة في مقاومة ما يتخلل بلدنا من مفاسد ومنكرات . ها نحن مستعدون لمصافحة من يريد مصافحتنا ممن يزعمون انهم لنا من الخصوم متناسين كل خلاف. ورامين له في قعر مظلمة . ولكن هل هم يودون ذلك ويتنازلون من عروش كبريائهم وعظمتهم .

حقاً اننا غير مختارين فيما كتبناه في هذا الموضوع ولكننا كما قيل :

ولولا المزعجات من الليالي لما ترك القطا طيب المنام

نحن نود المسالمة ونميل اليها بجميع جوارحنا ولكنهم يضطروننا إلى ضدها ها هو رجل من بله اهل فارس وأذنابهم قد علا منصة الوعظ والارشاد في آخر شوال من هذه السنة اي ١٣٤٤ في اكبر جامع في الكويت وقد التف حوله كثير من الناس لسماع وعظه البارد وارشاده المظلم التفوا حوله وانصتوا لما ينطق به من هجر القول في اساطين الإسلام وأقطاب الاصلاح والطعن الشنيع في أديانهم المتينة والقدح في اعراضهم الطاهرة النقية . أمثال الاستاذ

الامام الشيخ محمد عبده وتلميذه الاكبر السيد رشيد رضـا والاستاذ الكبـير الزعيم التونسي الشيخ عبد العزيز الثعالبي وغيرهم ممن لهم اقـدام راسخة في العلم والدين وكان مع هذا يضم الى الطعن في هؤلاء الكرام التعريض بمدارس الكويت وبنهضاتها والتنفير من الكتب المصرية وأربابها ومطالعة الصحف بسائر أنواعها زاعماً أن ذلك من الدين افتراء منه وزور .

فمن إذاً أحق باللوم يا ترى أنحن وما كنا إلا مدافعين أم هـذا الأحمق وأعوانه وقد كانوا لنا مهاجين ، ايراد مع هـذا كله ان نخـلد الى الراحـة والسكون ونكم الأفواه وإلا رمينا بالتسرع فيما نكتب وبالحمق فيما نقول تالله اننا واياهم ليصدق علينا قول القائل :

قتـل امرىء في غـابة   جريـمـة لا تغتفر
وقتل شعب آمن   قضية فيها نظر

(رب افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)

الحركة الفكرية والعلمية اليوم

في الكويت حركة فكريه ونهضة علمية وأدبية يدير شئونها اناس تعلموا من الحوادث التي مرت عليهم ان العصر عصر ارتقاء وتقدم لاعصر جمودوتأخر علموا بذلك فساروا بكل همة ونشاط وبكل إقدام وجرأة تتقدمهم الاحلام اللذيذة والآمال العذبة غير مبالين بمن سدوا عليهم الطرقات واقاموا في طريقهم العثرات من عباد الشهوات وأمراء التقليد ، حركة تبشرنا بمستقبل زاهر للكويت واهله اذا ما اخذ بعضدها وشد ساعدها وضمن مـا تحتاجه مادياً وادبياً ، حركة من يقارب بين الامس يجد بونا شاسعاً وفرقـاً عظيماً لايحسن التغاضي عنه انه انقلاب مدهش ولكل انقلاب اسباب ولا بد من سرد الأسباب هنا ، احدها : تعلق الكويتيين بأذيال الصحف واشتغالهم بمطالعتها والاهتداء بنبراسها وللصحف من التأثير في الآراء والافكار مالايجهله الا كل غر معاند أو

جاهل مكابر ولله در الشاب الفاضل احمد بن بشر الرومي حيث يقول في منافعها :

إن للصحف بقلبي	منزلا اغلى نزوله
انما الصحف كطير	يشتهي الحر هديله
كل من شاء رقيـا	صير الصحف سبيله
فبهـا خير حيـاة	وهي للعـلم وسيله

واول بيـت في الكويت يستحق اسناد فضل السبق اليه في الاشـتراك بالصحف هو بيت آل خالد النجباء فقد بزوا سواهم في هذا الميدان وتقدموا اخوانهم في هذا السبيل فاشتركوا في مجلة (المنار) الغراء وبجريـدة المؤيد في الوقت الذي كان جمهور الكويتيين يحرمون مطالعتها ويرمون أهلها بكل عظيمة وقـد لقوا من مواطنيهم اذ ذاك انكاراً شديداً لو نزل بمـن سواهم لانهزموا امام ذلك التيار ولكن آل خالد الكرام عرفوا بالثبات حتى اصبحوا مضرب الامثال به ولله در الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي حيث أشار الى هذا المعنى بأبياته المتقدمة وقـــد أشرت ايضاً الى ذلك بالقصيدة التي قدمتها لزعيمهم المكرم الحاج حمد الخالد بمناسبة اصلاحه لمسجد آل يعقوب :

شكراً لكم اذ زنـتم بفعـالكم	أرض الكويت واهلها لاتنكر
علمتموهم والثبـات حليفكم	ان النجاح حليف من يتصبر
وبحسن مبدئكم وقوة عزمـكم	كنـا نفاخر من علينـا يفخر

الثاني : الآراء الحرة والنصائح الثمينة التي كان يبثها أهل العلم والفضل من الغرباء الذين يتخذون ساحة الكويت ميداناً لتعاليمهم الراقية وأفكارهم الحية وفضحهم هناك دسائس اهل الغش والخداع فبذلك اقتلعوا من اذهان الكثيرين ادغال الجمود وحصدوا أشواك التعصب وبذروا البذور الطيبـة الصالحة وكان أول من حاز قصب السبق في هذا المضمار الاستاذ الكبير العلامة المحقق السيد رشيد رضا فانه في السنة التي زار فيها الكويت أحدث انقلاباً

بين أهلها وتأثيراً عظيماً بخطبه الرنانة التي قام بها في أكبر جامع وهو يتدفق كالسيل المنحدر قام بتلك الخطب الساحرة هناك فتاب الى الله كثير ممن كانوا يعتقدون في فضيلتـه السوء واصبح الراغبون في العـلوم الراقيـة التي كانوا يحرمونها أولا جماًغفيراً بعد ان كانوا يعدون على الأصابع وكذا ازدادت الرغبة في مجلته الغراء بعد ان لم يكن لها من المشتركين إلا اثنان او ثلاثة. ولا ريب ان كل هذا من الاصلاح المنشود او من الطرق التي توصل اليه وضرب على نغمته المطربة فضلاء جاؤوا بعده منهم العلامة الاستاذ المحدث الشيخ محمـد الشنقيطي والاستاذ الفاضل الشيخ حافظ وهبه المصري. اما الاول فقد دعي للجمعية الخيرية من الزبير سنة ١٣٣٣ فاجاب ولبث مدة يبث افكاره السديدة وتعاليمه النافعة بالوعظ والتعليم والارشاد في الجمعية تارة وفي المساجد اخرى. وما زال يدأب في هذا الاصلاح الى ان طرأ ما اضطره الى مغادرة الكويت كما سيأتي وفي هذا الاستاذ الفاضل يقول الشاب النبيه الاديب الفاضل الشاعر الجديد عبد اللطيف بن إبراهيم آل نصف في احتفال النادي الادبي بالأستاذ عندما زار الكويت سنة ١٣٤٣ .

اليوم هللت الكويت وكبرت	لـما أتاها العالم النحرير
واستبشرت فرحاً بنابغة الهدى	حتى حسبنا انها ستمور
والقوم بين مؤهل ومرحب	طرباً وقد شمل القلوب سرور
قد جاءهم ذرب اللسان مروعاً	لبق بحل المعضلات بصير
ايه بني قومي وسادة معشري	أوموا اليه بشكركم وأشيروا
خلوا النواظر شاخصات نحوه	ودعوا القلوب تسير حيث يسير
أثنوا عليه بما ترون فإنه	رجل لعمري بالثناء جدير
امعطر الاسلام من نفحاته	ومعيد روض الدين وهو نضير
والمرسل السحر الحلال منقحاً	يوحيه فكر ثاقب وضمير
بشرى لهذا الثغر لما زرتـه	فلكم تمنت أن تراك ثغور
تالله نلنـا فيك صفقة رابح	كتبت لها فوق الاكف سطور
أمحمـد أهـلا بعلم محمـد	يوحيه فينا المصلح المشهور

كم قد اصبت بنكبة[1] وبمحنة	وكأن اعظمها لديك يسير
الله يشهد حينـذاك بأنـني	قد كاد قلبي للمصاب يطير
خطب له اهتزت جبال تهامة	جزعـا وعج الى الإله ثبـير
هيهات ينسى الله اجرك بعدها	فاصبر وربك بالعباد بصـير

أما الثاني فدخل المدرسة المباركية اولا والاحمدية اخيراً معلماً لكثير من العلوم العصرية كالهندسة والجغرافية وغيرها فكان له من الآثار الحسنة ما لا يزال الكويتيون إلى هذا اليوم يشكرونه عليها ويعترفون بفضله وبغيرته .

الزعيم التونسي في الكويت

وآخر اولئك المصلحين الافذاذ زعـيم كبير واستاذ محقق وبطل مقدام وعالم من العلماء المحققين ، وسياسي أخرس الساسة المحنكين ، ومخلص له في كل حركة اثر محمود وخطيب مفوه يحق للشرق ان يفاخر به الغرب وأبناءه ، ولا غرو فالزعيم التونسي الشيخ عبدالعزيز الثعالبي من رجال الشرق المعدودين ومن زعمائه الكبار الذين تنجاب الغياهب لبوادر هـدامم ومعرفتهم ، زعيم لايسمح الوقت بكثير من امثاله ، زار هذا الاستاذ الكويت في ذي القعدة سنة ١٣٤٣ ونزل ضيفاً كريماً على آل خالد الكرام ، وهناك مدهـا بسلك كهرباء الحياة واجرى فيها روح الحركة والنشاط وتركهـا متحفزة لنهوض مدهش وتقدم غريب بما كان يجود به على المحتاجين لفضله إن في مجالسه العامة أو في خطبه البليغة التي تفضل بها في احتفالات الكويتيين به ، نعم فالاستاذ الثعالبي له من قوة الحجة والعارضة ما ليس لأحد من اقرانه وله من التـأثير ما يندر أن يفوز به أحد سواه ، له تأثير في كلامه ومنطقه وتأثير في سكوته وحركته وله فوق ذلك ما يبهر العقول ويسحر الالباب ويضطر الخصم العنيد

---

(١) يشير الشاعر الى تجاسر بعض السفهاء الاغبياء في الزبير على الاستاذ بالضرب ولاهانته لا لذنب الا لسعيه في الاصلاح وتنبيه الافكار من خمولها ولقد تألم المصلحون من ذلك الحادث الفظيع وصدرت احتجاجات من الكويت والبصرة والزبير على الجاني الجاهل وكانت النتيجة اخيراً القبض عليه وزجه في السجن مدة جزاء لطيشه ورفع الاستاذ على أكف الاجلال والتعظيم .

ان يطأطىء رأسه امامه . أقام هذا الاستاذ الكويت بزيارته واقعدها وشهدت منه ما لم تشهده في حياتهـــا من شخص غيره . انعقدت على محبته القلوب وأكبره صغير القوم والكبير وأقاموا له الاحتفالات الشيقة في المعاهد العلمية والادبية ، إكباراً لقدره وتقديراً لفضله وقد القيت امام فضيلته في احتفال النادي الادبي به هذه القصيدة :

هذا احتفال قـد كسي بجمال	فلمن اقـيم على ربى الاجلال ؟
ولمن أنـــير سمـاؤه في ساحة	تجلو الظلام بنورهـا المتلألي؟
ألعـــالم ملك القلوب بهيبة	هي هيبـــة الاساد والاشبال؟
أم قد أقيم لمصلح ما عابـــه	الا الثبات وصـــالح الاعمال
يا من علا متن الزعامة مدركا	مـا ليس يدركـه أخو اهمال
ان الزعامة باسمكم قد شرفت	وسواك يحسبها حلى ولآلي ؟
وسواك يخطبهـــا ليرفع قدره	وأراك انت خطيبها المتعالي
ما للزعامة أن تشرف سيداً	ســـاد الانام بفخره المتوالي
يا من تصـارع والخطوب بهمة	هي همـــة من قائل فعال
ان الكويت تزينت بقدومـكم	يا زينة الاقران والأبطال
انظر اليها قد بدت في وشيها	تمشي ابتهاجاً مشية المختـــال
حظيت بعيد يوم زرت ربوعها	وزيارة الابطـــال عيد غال
في كل ناد من نوادي اهلهـــا	خبر يسر عن الزعيم العالي
هذا يقول ألا ابشروا قد زاركم	اسد العرين وغايـــة الآمال
وسواه يهتـف بالمسرة قائـلا	ان الجهالة آذنت بزوال
اهل الكويت فعظموا من ضيفكم	بظلاله في المكرمـات علالي
بظلاله يوم الـــنزال مهابة	منهـا الجموع تصاب بالاجفال
وله اذا ما الامر أصبح مشكلا	رأي يحل غوامض الإشـكال

ومن مقومات الحركة الفكرية والعلمية في الكويت ظهور شبان متنورين امتلأوا حماسة وغيرة حتى أخذوا على عاتقهم انهاض الوطن الى العلا ورفعـه

الى مستوى الكمال بطرق شتى وأساليب مختلفة . ولهذا الغرض نفسه أسسوا المكتبة الاهلية والنادي الأدبي وشرعوا يقرعون الاسماع بالمقالات الضافية على صفحات الجرائد وما زال هذا دأبهم حتى كان للعلم منهم سلاح قاطع وجيش عرمرم لغزو الخرافات والاضاليل ، ولا غرو فالشباب هم في كل بلد وقطر الذين يبنى عليهم المستقبل وتقام دعائم الأعمال الكبيرة فبارك الله فيهم من شباب وفي هممهم العالية وعزائمهم القوية التي تلين الصخور ولا تلين وتنضب الينابيع وماؤها لاينضب وإلى هؤلاء الشباب الاحرار وجهت هذه الأبيات في افتتاح النادي الأدبي في الكويت .

يا شباب القوم هيا — نبن للاوطان مجدا
إن للاوطان حقا — دونه الارواح تفدى
فابذلوا كل نفيس — ودعوا أخذا وردا
واتركوا قول مداج — يستحق الصفع حدا
يحسب الحق ضلالا — وطريق الغي رشدا
فاتركوه ان يلمكم — انه يحمل حقدا

* * *

أيها الشبان جدوا — حفظ الله المجدا
ودعوا النوم لقوم — يحسبون النوم سعدا
فبوار القوم يتلو — منهم نوماً وسهدا
ايه جدوا ثم هبوا — للعلا جمعا وفردا
ثم سيروا لعلوم — واكسروا غلا وقيدا
ليس للشخص حياة — انيكن بالفكر عبدا
والى الدين فوجوا — فبه تجنون شهدا
خاب مسعى كل شخص — هدم الدين وهدا
انما الدين حياة — رفضه يوجب طردا
والى الاخلاق فاسموا — فبها تسمون قصدا

ماعهدناالشعب ينجو	بسواها إن تردى
يا رعى الله شبابا	منهم الفخر تبدى
عن قريب سنباهي	بهم شاما وهندا
عن قريب ستراهم	للهدى جيشا وجندا
ايها الشبان صفحا	عن جهول جاء إدا
ليس كالصفح سلاح	يقتل الخصم الألدا

الرابع : تأسيس المعاهد العلمية التي شرب الكويتيون من مناهلها عذباً زلالا كالمدرسة المباركية وأختها المدرسة الاحمدية فمن آفاق هاتين المدرستين سطعت بذور الافكار الحرة والآراء الناضجة وانتشرت أشعة مبادىء العلوم التي كانوا يحرمونها اولا كالجغرافيا والهندسة والتاريخ ، أما مبادىء الفقه والنحو والصرف فهي وان كانت شائعة هناك قبل هاتين المؤسستين فقد كانت محصورة بأفراد من أهل اللحى . اما الآن فقدصارت ميسورة حتى بين الكثير من الصغار الذين يوجد فيهم من يفوق ذا اللحية العريضة والعمامة الكبيرة .

مدارس الكويت (١)

في الكويت الآن (١٩٢٦م) من المدارس مالا يقل عن سبع عشرة مدرسة للذكور ونحو ثمان مدارس للاناث ومن مدارس الذكور التي لها يد في الحركات التي قدمناها المباركية والاحمدية والسعادة وما عداها فهي كتاتيب صغيرة جلها مقصور على الكتابة والقراءة والحساب .

المدرسة المباركية : يرجع الفضل في انشاء هذه المدرسة الى ثلاثة من الفضلاء في الكويت الشيخ يوسف بن عيسى والمرحومان الشيخ ناصر المبارك والسيد يسين الطباطبائي ، فهم اول من حث على تأسيسها وأول من رغب الجمهور في الانفاق في سبيلها وقد كان لآل خالد الكرام ايضاً اياد بيضاء

---

(١) ارتأى المشرفون على وزارة المعارف اخيرا ان يكرموا مؤرخ هذا الكتاب المرحوم عبدالعزيز الرشيد فاوجدوا مدرسة حديثة تحمل اسمه وذلك سنة ١٩٦٠ .

عليها لاتقل عن ايادي من سواهم .

اسست اولا على انقاض بيت كبير من بيوتهم وكانت ماليتها في عهدتهم وكانوا يحرصون على تنميتها كما يحرصون على تنمية اموالهم بدون اي مقابل .

اجتمع لها ما ينيف على ثمانين ألف روبية من المحسنين وكان للشيخ قاسم وللشيخ عبد الرحمن آل ابراهيم اليد الطولى في ذلك فتفضل الأول لها بثلاثين الف روبية والثاني بعشرين الفاً ولتفردهما بهذا الفضل الكبير امتدحهما الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي بقوله :

هكذا الفضل وإلا فلالا ... ان للفضل وللمجد رجالا
يعرف الفضل ذووه في العلا ... فهم الابطال ان رمت نزالا
قم بنا يا صاح نجلو ذكرهم ... فبه الارواح ترتاح شمالا
ودع الاطلال والربع ومن ... اخذ الالباب تيهاً ودلالا
ودع الأحور معسول اللمى ... ان في اللحظ سهاماً ونبالا
ودع الراح وحالات الهوى ... فهي تكسوك جنوناً وخبالا
ثم صرح لا (تكني) عنهم ... فهم الانجاب فعلا ومقالا
آل ابراهيم هم اهل الوفا ... هم نجوم بسما المجد تلالا
وهم السادات هم أهل العلا ... وهم الكهف اذا مالخطب مالا
حملوا الدهر ممال اثقلت ... كاهل الدهر يميناً وشمالا
غير بدع ان تسامى فرعهم ... او ينل من ذروة الفضل منالا
اصلهم زاك تدلى زهرة ... فلذا طابوا فروعاً وفعالا
ان للمجد لهم في قاسم ... علماً يخفق جوداً وجلالا
فهو المفضال والندب الذي ... قد تسامى بمعال لن تنالا
تنشر الكتاب من بين الملا ... ذكره المحمود فضلا وخصالا
لم يكن في الخير من جمعية ... لم ترد من ذلك البحر زلالا
وسل الابناء تروي بذله ... في معال قد تفياها ظلالا
لو سألت الدهر عمن قد مضى ... هل رأى سمحا كهذا قال لالا

غير أني لست أنسى ماجداً — فاضلا فاض جميلا ونوالا
غن يا صاح بتذكار له — فلقد طاب أبو عوف فعالا
باسم الثغر لمرتاد الندى — عنده كم حل من العسر عقالا
حبس النفس على نيل العلى — فيه تكسب عزاً ودلالا
دمتم بالخير يا اهل النهى — ما بدا برق بليل وتلالا
وعليكم آل ابراهيم ما — طلع الفجر سلام يتوالى
من اديب ليس يرجوكم ندى — بل ولا يرجو من المخلوق مالا

بدىء في بنائها سنة ١٣٢٩ وكان المباشر لذلك الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي الذي تولى ادارتها والتعليم فيها فيما بعد وكان له أثر عظيم في انبثاق الافكار الحرة والعلوم النافعة في سمائها .

أما افتتاحها فكان سنة ١٣٣٠ واهم من اشتغل بالتعليم فيها الاستاذ الفاضل الشيخ حافظ كما تقدم وقد دخلها غيره من المعلمين والمديرين وهاك اسماؤهم :

مدير ومعلم

١ – الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي
٢ – الشيخ يوسف بن حمود
٣ – السيد عمر الازميري الذي غير نهج التعليم الابتدائي الى طريقة حديثة
٤ – (كاتب هذه السطور)
٥ – الشيخ محمد خراشي الازهري المصري
المنفلوطي كان له فيها أثر في تعليم التلاميذ الانشاء وقد استقال منها ومن المدرسة الاحمدية ايضاً في رمضان من هذه السنة كما علمت فيما بعد .

معلم فقط

١ – الشيخ حافظ وهبة المصري
٢ – الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك الاحسائي
٣ – الشيخ نجم الدين الهندي
٤ – الشيخ محمود الهيتي
٥ – الشيخ نوري الموصلي
٦ – السيد عبد القادر البغدادي
٧ – صاحبنا الفاضل عبد الملك ابن الشيخ صالح المبيض الزبيري الذي يرجع اليه الفضل الاكبر في ترقية الحساب وتحسين الخط في الكويت .

وسميت بالمباركية باسم حاكم الكويت المشهور الشيخ مبارك آل الصباح.

المدرسة الأحمدية

أسست سنة ١٣٤٠ وسميت باسم حاكم الكويت المعظم الشيخ احمدالجابر آل الصباح لرعايته لها ومساندته اياها .

أما سبب تأسيسها فكلمات وجهتها إلى ثلة من أشراف البلد ووجهائها في مجلس السيد خلف باشا النقيب حثا لهم واستنهاضاً لهممهم في شأنها فصادفت قبولا لديهم واستحسانا وفي الوقت نفسه وفي ذلك المجلس بادروا بالاكتتاب لها وقد فرضوا ما تفضلوا به سنوياً فالى أولئك الفضلاء يرجع الفضل في إخراجها إلى حيز الوجود ولهم دون سواهم يسند الشرف في تشييدها واليك أسماءهم لتذكرهم فتشكرهم ، الحاج حمد الصقر ، الشيخ يوسف بن عيسى ، الحاج احمد الحميضي ، الحاج أحمدالفهد الخالد، الفاضل السيد عبدالرحمن بك النقيب، الحاج مشعان الخضير، الحاج مرزوق الداود ، وهناك رجل آخر أبلى بلاء حسناً في سبيلها جدير بأن ينظم في سلك هؤلاء الافاضل وهو الأديب سلطان الابراهيم الكليب فقد بذل همة ونشاطاً في جمع الإعانات لها والترغيب في معاضدتها .

وأقيم لافتتاحها حفلة شائقة قام فيها من الخطباء أستاذنا الجليل الشيخ عبدالله خلف والفاضل سلطان الابراهيم الكليب وصديقنا الحر الفاضل السيد حسين بن السيد كمال الدين النجفي وكان إذ ذاك في الكويت وكاتب هذه السطور وقد قال السيد النجفي المفضال ابياتاً مؤرخاً افتتاحها :

أرض الكويت الا ازدهي ... فلقد نجحت بما رجوت
بشراك في أبنائك الذ ... ين بفضلهم نجحت
هم شيدوا لك معهدا ... للعلم فيه قد سموت
ما لاح صدق نهوضهم ... الا وقلت بما ارتضيت
العلم ينهض بالهداة ... ارخ وينهض بالكويت

واسند امر نظارتها الى الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي

وانتخب لها أخيراً اعضاء ينظرون في شؤونها وهم السيد عبد الرحمن بك النقيب . والحاج مشاري الكليب والحاج مشعان الخضير . والفاضل السيد علي بن السيد سليمان والأديب سلطان الابراهيم الكليب .

مدرسة السعادة

اسسها الحاج المكرم المحسن المفضال شملان بن علي آل سيف سنة ١٣٤٣ في الحي الشرقي لأولاده وأولاد أقاربه ولثلة من الأيتام الفقراء وقد قام هذا الكريم بتأسيسها وبما تحتاج اليه من نفقة بنفسه وصمم على ان يسير بها وحده ولو لم يعاضده في شأنها احد . ولا ريب ان عملا خطيراً شريفاً كهذا يقوم به أحد تجارنا الافاضل على نفقته الخاصة لما يبشر بمستقبل حسن لأهل الكويت ويبعث على الغبطة والامل الكبير في اقتطافهم ثمار الاصلاح يانعة في وقت قريب إذا ما سار القائمون به في نهج السداد ودفعوا به في ميدان الاعتدال بل ويحرك الغيرة في صدور اقران ذلك المحسن من المثرين الذين ملكوا مثل ما ملك او فاقوا عليه . ويا حبذا التسابق في تلك الميادين النضرة ميادين المشاريع النافعة ففيها دون سواها الذكر الحسن والشهرة الطيبة والأجر الجزيل .

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وقد قال الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى في هذه المدرسة وفي مؤسسها الفاضل قصيدة غراء على لسان احد الايتام :

ايا من شاد للأيتام داراً	حباك الله مجداً واعتبارا
وأولاك الجليل جليل فضل	يشيد به من العليا منارا
واسكنك الجنان جنان عدن	تحل برحبها داراً فدارا
لئن شيدت للايتام داراً	اضاء العلم فيها واستنارا
فكم واليت معروفا لراج	بنيل لا يقاس ولا يجارى
وكم لك في الجميل جميل ذكر	يؤم بنا إذا ما المجد سارا

ودارك للضيوف لخير دار	تناديهم بترحيب جهـارا
وبيتك في البيوت أجل بيت	سما فضلاً وجوداً واعتبارا
فيا (شملان) يا رف اليتامى	وملجا البائسات من العذارى
أزف اليك شكراً مستديماً	مدى ما لاح بدراً أو توارى
واتحفك الثناء ثنـاء صدق	اراك له محلا بل قرارا
فواصل حسن سيرك باجتهاد	تنل ذكراً حميدا وافتخارا
ودم يا بدر للايتـــام نوراً	وسوراً احاط مجداً واستدارا

الجمعية الخيرية

لا يستحق أن يعطى صك الشرف والسبق في هذه المؤسسة النافعة غير الشاب التقي المبرور فرحان[1] الفهـد الخالد الخضير فإنه هو أول من أخذ يفاتح الناس بأمرها ويحسن لهم القيام بمشروعها وقـــد لقي رحمه الله آذاناً صاغية وميلا كبـــيرا من مواطنيه لما له من المكانة السامية بينهم ولما له من الجاه والسمعة الحسنة بالاستقامة والصلاح .

كان الغرض من تأسيسها كما جاء في المنشور الذي أذاعته الجمعية إذ ذاك (هو إرسال طلاب العلوم الدينية إلى الجامعات الاسلامية في البـلاد العربية الراقيـــة كمصر وبيروت ودمشق وغيرها من أمهات المدن العربية وبذل ما يقتضي لهم من المصاريف في مـدة تحصيلهم من صندوق الجمعية وجلب محدث

---

(١) توفي هذا الشاب التقي في محرم سنة ١٣٣٢ عائداً من بمبي في احد المراكب البخارية ودفن في بندر عباس فكان لموته رنة اسف وحزن عظيمين في الكويت وقد علم الكويتيون عموماً أنهم اصيبوا بأحد أفراد بلدهم فضلا وادبا واخلاقا وغيرة وحماسا ، ورثـاه الفاضل الشيـخ عبدالمحسن ابا بطين قاضي الزبير سابقا وكذا الاديب الحر السيد مساعد بن السيد عبدالله وقال الاخير :

متى يلومنا القلب والنفس تمرح ... وقد مات فرحان فهيهات نفرح

وقد اشرأبت الاعناق بعد وفاة هذا الشاب التقي الى شقيقه الاكبر الكريم المفضـــال احمد الفهد فسار هذا الكريم بالجمعية في المنهج الذي سار عليه سلفه الراحل وبذل من وقته النفيس ومـــاله في اصلاحها ما اطلق السنة الناس بشكره وعلموا اذ ذاك ان فرحان لم يمت وقد خلف مثل هذا الكريم الابي كان له وللقائمين بالجمعية فيها آمال عظيمة ولكن الوقت خانهم كما سيأتي .

فاضل يعظ الناس ويرشدهم الى الصراط المستقيم وكذلك جلب طبيب وصيدلي مسلمين حاذقين لمداواة الفقراء والمساكين واعطائهم العلاجات اللازمة مجانا وتوزيع الماء الذي هو من اهم حاجات بلدتنا هـذه وتجهيز وتكفين اموات المسلمين الفقراء والغرباء اهـ) .

افتتحت الجمعية في ربيع آخر سنة ١٣٣١ واقيم لافتتاحها حفلة ألقيت فيها خطب من بعض الغيورين الفضلاء ، من بينهم أستاذنا الفاضل الشيخ عبد الله الخلف والمرحوم الفهد الخالد وسأثبت هنا نبذة من خطبة الأخير تخليداً لذكره واعترافا بفضله وغيرته قال رحمه الله بعد مقدمة طويلة أورد فيها آيات كريمة وأحاديث تحث على أعمال الخير والتعاون على التقوى (ولا يخفى عليكم ان اسلافكم رحمهم الله مع عدم امتدادهم في الوقت عمروا المساجد وأوقفوا الاوقاف وهذه اعمالهم بين ظهرانيكم تشهد لهم وأنتم خلف من سلف فلا تكونوا أدنى منهم والله لا يضيع اجر المحسنين ومن فضل الله قد افاض الله عليكم نعمته في زمن أميركم المحبوب مبارك لاسم ميمون الطالع مولانا الشيخ مبارك الصباح المشهود له مع انجاله الكرام بالعدل والانصاف وحبهم الخير ومساعدة الوطن والرعية أعزهم الله على اعدائهم ووفقهم وهداهم . فعليكم أيها الاخوان بالتعاون على البر والتقوى واعلموا أن هذه أول جمعية خيرية أسست في بلدنا لمساعدة اخواننا من الفقراء والمساكين والايتام الخ .)

وقد جمع في اول الامر لها كمية وافرة من اموال المحسنين وكثير من الكتب النافعة يرد مناهلها القراء الكرام ، ودعا اليها الاستاذ الفاضل المحدث الشيخ محمد الشنقيطي من الزبير ليقوم فيها بمهمة الوعظ والتعليم ودعا اليها اسعد افندي أيضاً من البصرة وهو طبيب تركي وجلب لها ما تحتاجه من أدوية وأدوات وأسلم في إبان فتحها رجال من اليهود ورجال من النصارى قامت الجمعية بإيوائهم وشد عضدهم خير قيام ، وما زالت قائمة بتكاليفها مدة من الزمن الى ان رماها مبارك بنظره الشزر واخذ يلاحظها بعين السخط والغضب فأصدر أمراً بمغادرة الطبيب التركي الكويت ليمهد

السبيل لإقفالها .

اما الاستاذ الشنقيطي فغادرهـــا ولكن بعد مـــدة لأمر سياسي مر الكلام عليه فيما مضى وبذلك اقفلت الجمعية واوقف دولاب حركتها .

المكتبة الاهلية

ود كثير من اهل الفضل والادب في الكويت تأسيس مكتبة علمية تضم بين جنبيها من الكتب النافعة المفيدة ما تهذب العقول وتنـــير الأذهان سيما وكتب الجمعية كانت محفوظة في بيت آل بدر الكرام وما زال حديث تأسيسها ليرتادها الناس يتخلل المجالس والاندية إلى أن تحققت الامنية على يد الاستاذ الفاضل مصلح الكويت الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي وعلى ايـدي اخوان له فضلاء من مواطنيه الغيورين ففتحوها بهمتهم ورتبوا لهـا على انفسهم من المال ما يقوم بحاجتها وجمع في ساحتها كثير من الكتب النفيسة التي تبرع بها المحسنون فضمت الى كتب الجمعية الباقية .

وفي سنة ١٣٤١ فتحت المكتبة أبوابها للقراء واصبحت مورداً عذباً زلالا ومنهلا صافياً للمطلعين وفيها عدا الكتب عدة جرائد ومجلات راقيـة تفضل بها رجال من أهل الشرف والغيرة .

وانتخب لها اعضاء من احرار الكويتيين وافاضلهم وانيطت رئاستهـــا للفاضل الشيخ يوسف من عيسى الجناعي وادارتها للحر الغيور الفاضل سلطان آل ابراهيم الـكليب .

النادي الادبي

رأى ثلة من الشبان الغيورين تأسيس نادٍ في الكويت يلم شعثهم ويجمع شملهم ويكون واسطة لتبادل الآراء والافكار وكان من اغراضه الساميـــة تهذيب الاخلاق ونشر بعض العلوم النافعة والقاء المحاضرات المفيدة وأول من فكر بهذا المشروع الشاب الاديب خالد بن سليمان العدساني

وقد اقيمت لافتتاحه حفلة شائقة سنة ١٣٤٢ حصل لها دوي عظيم في انحاء الكويت القيت فيها عدة خطب وقصائد من أعضائه وسواهم وقمت انا في النادي مدة باعباء دروس في الاخلاق والفقه والعربية وألقيت فيه محاضرة هي أول محاضرة ألقيت في الكويت ، ورئيسه الآن الفاضل الأديب الغيور الشيخ عبد الله الجابر آل الصباح، وهو من افراد عائلة الصباح ذو أخلاق عالية وآداب جمة ميال الى العلم وأهله ومحب للأدب وذويه والى التجدد العصري النافع وله من التواضع ما بذ به أقرانه. أما مديره الان فالاديب الفاضل عيسى بن صالح الجناعي وأسندت أمانة صندوقه للشاب النبيه الفاضل محمد بن احمد الغانم وانتظم في سلك عضويته كثير من الشبان النبلاء الذين عليهم الاعتماد في انهاض الكويت والسير بها الى العلا . وقد تبرع له المحسنون بكثير من الكتب النافعة واشترك بجملة من الجرائد والمجلات وتفضل حاكم الكويت باهداء كثير مما يرد باسمه من الصحف الى النادي .

استعداد الكويتيين وذكاؤهم

في الكويت استعداد فطري وذكاء غريزي لا يقل عما في غيرها من البلاد. فيها ذكاء مدهش ولكنه كامن واستعداد غريب ولكنه مظلوم مهضوم. فيها من ذلك ما لو اتيح له ما اتيح لغيره من المنشطات لرأينا الكويت اليوم روضة غناء في العلم وكعبة تقصد في الأدب ولكان لنا ما نرفع به الرؤوس ونفاخر به في ميدان الفخار . وما تجود به قرائح شبابنا المتنورين اليوم من النظم البديع والنثر الرائع مع هذا الاهمال المحزن وعدم تقدير العاملين برهان ناصع لما قلناه ، سيما ومن هؤلاء الشبان من تجود قريحته بالمطرب المعجب في اول باكورته ويأتي بما يترك الكثيرين في شك وارتياب من امره .

وأحسن برهان يؤيد ما قلت ان اقدم بين يدي القراء صحيفة من الادب في الكويت اليوم وقد ا كون مضطرا لتقديم ذلك تعريفا للبعيدين عن الكويت بنفسية أهلها وبما عندهم من حركة وحياة وليكون نموذجا للادب العصري هناك سيما والجم الغفير يظن ان الكويتيين الى هذا اليوم لم يرفعوا

رؤوسهم من مراقد البداوة والتوحش .

صحيفة الادب العصري في الكويت

في الكويت اليوم كتاب مجيدون وشعراء مفلقون للكويت الحق أن تفخر بمواهبهم فانهم على كثرتهم وعلى اجادة الجل منهم في المنظوم والمنثور اجادة تستفز الشعور وتحرك الأوتار لم يلجوا مدارس راقية ولم يتهذبوا على ايدي أساتذة ماهرين .

يحمل راية الفريق الاول الفاضل الأديب والكاتب القدير الحسيب النسيب السيد هاشم الرفاعي الذي نزح الى بغداد وطفق ينشر في صحفها المقالات البديعة البليغة التي حازت اعجاب الجمهور من عراقيين وغيرهم والذي تحصل اخيرا على امتياز جريدة في بغداد باسم الصراحة وهو من الشبان الاذكياء .

اما الفريق الثاني فيدير دفة سفينته الحر الغيور الاديب الفاضل الشيخ صقر بن سالم الشبيب الذي فاز بلقب شاعر الكويت عن استحقاق وكفاءة وإلى هذا يشير الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي بقصيدة قدمها اليه .

ابا صقر الحجا واديب قومي وشاعرهم باقرار العموم

نشر في مجلات العراق وجرائدها وفي مجلة المرأة الجديدة قصائد خالدة أدهشت الواقفين عليها

وقد أرجأت الافاضة في تراجم هؤلاء الادباء الفضلاء جميعا الى مجال آخر من التاريخ أما هنا فسأكتفي بسرد نبذ من شعر بعض شعرائنا وهو خير تعريف بهم أقدمه للقراء الكرام .

شاعر الكويت الفاضل صقر بن سالم الشبيب

الى بطل العراق

عنوان قصيدة أعدها لتلقى في احتفال النادي الادبي في الكويت بسعادة صاحب الدولة السيد طالب باشا النقيب عندما زار الكويت سنة ١٣٤٣ بعد

رجوعه من منفاه الاخير ولكن الباشا لأمر طرأ غادر الكويت قبل إقامة الحفلة لسعادته .

ما في العراق لشمس فضلك منكر ... أنى وقد سمقت تنير فتبهر
شمس من الفضل المبين قد اهتدى ... بضيائها مذ أشرقت من يبصر
شمس لها من ذي المعالي (طالب) ... شرف فليست عن سواه تصدر
شمس إذا أخفى شبيهتها الدجى ... أو راح يخفي من سناها العثير
فهي التي مذ اشرقت قد اقسمت ... أن لاترى يوماً بشيء تستر

الى ان قال :

أما الكويت فانها قد اصبحت ... بحلولك السامي بها تتبختر
وما بعجيب أن تبختر بلدة ... أنسا اذا ما رحت فيها تخطر
إنا عرفنا فيك كل مزية ... يثني عليها ذو الحجاء ويشكر
فلذا بمقدمك الكويت قد اغتدى ... حظ عظيم للكويت ومفخر

☆ ☆ ☆

لما رجعت الى العراق مسلما ... مما عليك من السياسة يحذر
أعلنت صوتي بين قومي قائلا ... اليوم عاد الى شراه القسور
وهل العراق الرحب إلا غابة ... من (طالب)فيها الشجاع غضنفر
(يا طالب) العلياء نلت من العلى ... ما لم ينل شرواه نجم أزهر
فغدوت في أفق الفضائل كوكبا ... عال كما تهوى الفضائل يسفر
فخصالك الغر الزواهر ان غدا ... إحصاؤهن على امرىء يتعسر
فلكم تعالت ان يحيط بعدها ... يا ابن الأماجد قبل من هو أشعر

العلماء المتلبسون لاحرمة لهم [1]

انتم في الكويت ونحن في — عراق تحت سكين الجهاله
تفرقنا الجهالة كيف شاءت — وتفعل ما تريد بنا البطاله
يزندق بعضنا بعضا سفاها — مطيعين العمائم في الضلاله
ادين يا اولي العمات ان لا — يلين لبعضنا بعض مقاله
وان تجفو الرجال مواطنيها — وتشهر من تخالفها نصاله
ويلعن بعضنا بعضا لامر — علينا مكركم فرض امتثاله

* * *

علمتم باتحاد القوم فوتا — لما فيه لمطمعكم علاله
فابدلتم وئام القوم خلفا — لتحظوا بالدقيق وبالنخاله
والبستم خداعكم لثاما — من اسم الدين مسبلة غلاله
اعند اولى العمائم من كتاب — به قد خصهم رب الجلاله
فهم يتلون دون الناس آيا — الى قبح الشقاق به سماله
لتوقد من جحيم الخلف ما لا — يخاف سوى الألباء اشتعاله

---

(١) اذا ما ندد شعراؤنا الافاضل بالعلماء والعمائم فانما يريدون علماء السوء الذين طووا عمائمهم على الغش والخداع وكوروها على الخبث والنفاق من كل متظاهر بغير ما انطوى عليه ضميره لا العلماء المتفانين في خدمة الحق والباذلين في احياء الاسلام ما يستطيعون وشتان بين الفريقين وليس شعراؤنا ببدع فيما قالوه من الحط في الفريق الاول فان لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة وفي اصحابه الكرام ومن بعده من الائمة الاعلام فقد كثرت الاحاديث عن الرسول (ص) والآثار عن السلف في التحذير من اولئك المتلبسين وما زال المصلحون يشكون من فسادهم ويتخوفون منهم على الاسلام ولهم الحق في ذلك فان من اعظم اسباب انحطاط الاسلام فساد علمائه .

وهل افسد الدين الا الملوك — واحبار سوء ورهبانها

ولله در الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده حيث قال :

ولست ابالي ان يقال محمد — ابل او اكتظت عليه المآتم
ولكن دينا قد اردت صلاحه — احاذر ان تقضي عليه العمائم

وتوهم ان في التفريق رشدا | اذا فالرشد هلك لامحاله
أيودي بالشعوب سوى اختلاف | يصول على تجمعهم مصاله
سلوا عنه أولي الالباب ترفع | لكم عن سوء عقباء حجاله

* * *

ففروا من تفرقكم فمنه | نفيس نهوضكم يشكو اعتلاله
والا فاحفروا للنهض قبرا | وردوا فوقه ميتاً رماله
وخروا للعمامة أن تبدى | اخوها خضعا جهلا حياله
وان يمنع لهذا العصر علما | فبتوا سامعين له حباله
وناموا من تخالفكم بليل | عمامة (بعضنا) تخشى انتقاله
فان يك فيك للاوطان موت | وفيه لانتباهتها إزاله
فمطمعها الخسيس اذا تلظى | له ظمأ له فيه بلاله
فعذر عمائم (الأشياخ) باد | اذا كرهت لمنهجنا اعتداله
أيسمو بالشعوب سوى وئام | لهم يجلو الرقي به هلاله
وهل شعب ينال بلا اتحاد | لديه من تقدمه كماله
ففي حسن الوئام لنا رقي | لنور جبينه تعلو الغزاله
وقد حث الاله على اتفاق | تضيىء دجى الخطوب له ذباله

* * *

احذركم بني وطني انشعابا | لهلك الشعب فيه شر آله
فلو كانوا أولي ذوق سليم | وكان لرأيهم بعض الاصاله
لما مدوا الى احد أكفا | لأخذهمو بسؤلهم نواله

* * *

الى كم فوقنا العمات تلقى | من الأعباء ما نخشى احتماله
وتزعم ان دين الله عسر | خلافا لما الرحمن قاله
وتنفخ روح شؤم الخلف فينا | وتوسع بيننا ظلما مجاله

لتسلب كل ذي جهل حجاه وتسلب من يديه بعد ماله
ولو قنعت بسلب فضول مثر لقلنا صيد من بر غزاله
ولكن العمائم قد أسفت الى ما للاجير من العماله

* * *

رويدا يا أولي العمات فينا أتيتم عامدين من السفاله
فباسم الدين حقا قد سلبتم على طمع يشينكم جماله
ستوجز من خداعكم بنونا وان رغمت انوفكم الاطاله
وتطوى من لحاكم ما نشرتم لصيد ثرائنا منها حباله
فان لم تتقوا فينا الهاً يصب على عمائمكم نكاله
فخافوا من سلالتنا نكالا فقد علمت بغشكم السلاله
ستنسف ريح عدل الله عنكم عمائم للنفاق بها دلاله

في الاعتزال

قالوا اعتزلت الناس قلت لانهم جروا علي المحزنات صنوفا
لولا مخالطتي البرية لم يكن قلبي لذؤبان الهموم خروفا

* * *

في الصراحة والاعتزال والاباء

وكم لي في الكويت أولي عداء بلا ذنب صغير أو كبير
سوى أني صريح القول حر يترجم مقولي ما في ضميري

* * *

ولما لم اجد في الناس حرا يعين على ملمات الامور
نبذت الناس ظهريا ورائي وناديت المنون ألا فزوري
فمثلي ما له في العيش خير وهل في العيش خير للفقير
أخاف اذا بقيت تذل نفسي على طمع لذي مال كثير

فتمنحه مدائحهـــا اللواتي تعز على الفرزدق أو جرير
فيجزيني على شعري شعيرا ولست من البغال او الحمير
ولكني كما سميت صقراً وهل أبصرت ذلا في الصقور

في الاعتزال والشكوى من الزمان

لكل سهام موجعة فوادي أراه بينكم أضحى نجيثا
ومالي من مغيث حين أدعو وأجهر بالدعـا الا مغيثا
كأني بينكم ذئب خبيث ومن ذا يرحم الذئب الخبيثا ؟
فان يغضبكم نصحي واني لكم بالغش لم امزج حديثا
فسبوني وآذوني فاني بسيري في النصيحة لن أريثا
ستلقوني كما اني قديمـــا بحبل الصبر معتصما حديثا
حثيثا سير نصحكم اليكم فسيروا بالأذية لي حثيثا
فاني ارتجي لكم انتباهـا ولو حبل الرجا أمسى رثيثا
ثقواأن الأذى منكم بصبري عليكم حين أنصح لن يعيثا
الى أن أطمأن بنجع سعيي وأجنيكم جنى غرسي اثيثا
سأنزل من قلوبكم مكانا اذا انجاب الكرى عنكم دميثا
ولو اسمعتموني اليوم قولا جرير قبل اسمعه البعيثا
فرب نصيح أقوام شتيم اصاروه لحدهم وريثـــا

* * *

في اسم الشاعر

يقولون لي يا صقر مالك واقعا من الكف عن طير القريض على وكر
اذا لم تحلق في فضا الشعر صائدا طيور معانيه فمـــا أنت بالصقر
وما علموا ان المقادير قـد رمت جناحي عن قوس الحوادث بالكسر

* * *

الى الله اشكو انني في معاشر يروني من الاعسار كالواو في عمرو

الى صديق حميم

قصيدة أرسلها إلى الفاضل الاديب حجي بن قاسم آل حجي الكويتي جوابا لقصيدة بعث بها اليه :

كسوت أخاك ثياب الثنا فجاز فخارا بهن السما
وأصبح يسحب أذياله على ذروتي نسرها والسها
ولكن أطلت ذيول المديح وألبستهن فتى ذا عمى
وطول الذيول عثار له وأنت بسطت له في الكسا
فان لم يصل للمدى في الجزاء فاوضح عذر له قد بدا
نظمت القوافي بمدح امرىء كساه الزمان كسائي هجا
فليتك جاريت فيه الزما ن فان الثناء عليه افترى
ونهج سبيل الهجا واضح اليه وان كان عنك اختفى
فحب الفتى للفتى مسبل على ما به من عيوب غطا
فلا تنسجن من خيوط الثنا كساء لمثلي بين الورى
وصن ما استطعت قوافي القر يض ففي صونهن لهن اعتلا

اصلح الفاضل الكريم راشد بن احمد آل رومي (بتيله) [1] القديم ما هو في حاجة الى الاصلاح فبرز كأنه قد اصلح من جديد فقال شاعرنا الفاضل فيه :

شب هذا الفلك من بعد المشيب وصباه بعد ما شاب عجيب
عاد بعد الشيب في عهد الصبا اذ كساه راشد صنعا غريب
فارفل اليوم (سعيد) في الهنا واسحب السفن الى الدار الرطيب

---

(١) البتيل من انواع السفن التي تسافر للغوص وصاحبه راشد هو زعيم الغواصين الذي تكلمنا عنه سابقا وهو من الرجال الفضلاء الذين لا زالوا يواسون شاعر الكويت ويقومون بما يحتاجه من ضروريات الحياة ويسمى ذلك « البتيل » اسعيد وهو الذي يتقدم سفن الغواصين الى مغاصات اللؤلؤ .

مثل ما كنت بأعوام خلت ترشد السفن الى (الهير) الخصيب

في الغزل

تلوت بعيني مسمعي صورة البها بلفظ له منه تكون عقده
فآمن قلبي انه اوحد الظبا جمالا وان قد عز فيهن نده
غزال صريم في الكويت كناسه وقبصومه بين الضلوع وزنده
تواصل منه الوصل لي قبل علمه باني على حكم الصبابة عبده

الشاعر الجديد عبد اللطيف بن ابراهيم آل نصف

الى اسد الريف

قالها الشاعر الفاضل قبل استسلام ذلك الاسد لمحاربيه ذلك الاستسلام الذي ضج له الشرق وانهدت به الامال التي كانت تبنى على فوزه وانتصاره ولله في خلقه شئون .

اری الشرق بالاغلال يرسف باكيا على حين بات الغرب جذلان يبسم
حنانيكم يا ساسة الغرب حسبكم فيا طالما اجرمتموا وظلمتموا
(مهن) لا تسومونا الصغار فاننا ولا فخر قد جربتم وخبرتموا
ملكنا فواسيناكمو بنفوسنا فهلا فعلتم مثل ذا اذ ملكتم
تخلوا عن الريف العزيز لأهله وعودوا الى اوطانكم فهو أسلم
حمى الريف ابطال المعامع عنكم واسد جياع في الجبال تهمهم
فصبرا حماة السين صبراً على الردى ولا تجزعوا مما شربتم وذقتم
طلعت فظنوا في ثيابك طارقا وذكرتهم ايام طارق فيهم
صدمتهم وسط الملاحم صدمة فكم بعدها ثكلى ترن وترزم
فلله يوم فيك قد شهد العدا حساما جلاه الله لا يتثلم
فقد علمت مدريد انك فاتح وقد شهدت باريس انك ضيغم
وقد علموا لو اصبح العلم نافعا بانك من بسمارك ادهى واحزم
وانك اقوى الفاتحين حفيظة وامضاهم عزما واعلى واعظم

فضع فيهم السيف الذي أنت حامل وعلمهوا في الحرب ما لم يعلموا
تقدمت لا يثنيك عما ترومه مدافع يرتاع الردى حين تهزم
اذا سددت فهي القضاء مسدداً وان اطلقت فهي البلاء المحتم
تدك الجبال الشم وهي منيعة وتحصد جمع الجيش وهو عرمرم
فرحى لليث العرب مرحى ومثلها ثلاث يؤديها اليراع المقوم

استصراخ الاموات

هذا الربيع وهذا الورد قد قدما فانهض نوفيها يا صاح حقهما
وغنني في ذرى الاغصان يانعة وعاطني اليوم مما يشرب الندما
صفراء كالذهب الابريز صافية شمل السرور بها قد عاد ملتئما
اذ الحباب علا من فوق هامتها تخاله الدر حول التاج قد نظما
اذا احتساها من الفتيان انجلهم عادت به جعفرا او حاتما كرما

* * *

ابلغ بني وطني من ناصح لهم لا يرتجي منهم اجرا ولا نعما
ان قد شقي وطن ناط الرجاء بهم ولا مجيب كمن يستصرخ الرمما
ايرتجى لهم خير وجهلهم لا يغضب اليوم من حق اذا هضما
هيهات يقبل حرأن يضام وهل بالضيم يرسخ حر في العلا قدما
ويح الكويت وويح الساكنين بها ان لم يثيروا وينضوا منهم الهمما
راح الاديب بها حيران مضطهدا، ويل امها ، وغدا ذو الجهل محترما
اطلقتم يدكم في هدم مجدكم لله مجد بلا حام له هدما

تهنئة صاحب الدولة برجوعه الى العراق

قصيدة نظمها شاعرنا الرقيق باقتراح من الاديب الفاضل السيد حسن بن السيد زيد النقيب تهنئة لصاحب الدولة السيد طالب باشا النقيب برجوعه الى وطنه من منفاه الاخير سالما .

هنيئا لبلدان العراق وثغره وسكان نهريه وسفح نخيله

الى ان قال :

فرحى لرب الجود والمجد والحجى ومن يرتوي العافون من سلسبيله
ومن ترهب الاملاك سطوة بأسه وترتجف الابطال من وقع قبيله
اتى (طالب) والسعد يقدم خطوه وشخص الاماني واقف في سبيله
اتى بعد ما جاب البلاد بجولة من السين للتاميز غربا لنيله
وكم بلد في الغرب شرف أرضها فباتت يهنيها السهى بحلوله
لئن سر وادي الرافدين مجيئه فكم عظمت احزانه برحيله
ولو انه اذ ذاك يستطيع لافتدى فتاه بعرض الملك جمعا وطوله
ولكنه أمر هناك مقدر وهل يدفع المقدور حين نزوله
مضى ولواء الفخر يخفق فوقه وآب به رغم العدا لطلوله
لان فخر السكسون حين غدوا به فحق لهم ان يفخروا بمثيله
لقد اخذوا لا واهي العزم خائرا ولا مستكينا قانعا بعويله
ولكن مقداما اذا الاسد احجمت ضروبا اذا جد الوغى بصليله

مرثية امام السيد « محمود شكري الآلوسي »

رويدك يا هذا الزمان فانني أراك لعمري للكرام معاديا
علام وحتى لست تنفك دائبا تدير لنا كأس المصائب ساقيا
أعزيك بغداد بشكري فقد مضى تقيا نقيا طاهر الثوب صافيا
غدا مسرعا ضيفا كريما لربه وقد كان كالشمس المنيرة زاهيا
لقد دهي الاسلام يوم وفاته بما لو أصاب الدهر أصبح جاثيا
بكى المسجد الاقصى عليه بعبرة واضحى له البيت الحرام مجاريا
وأمست دموع الرافدين سواكبا عليه وبات النيل بالدمع جاريا
فويح بني الأقوام حين غدوا به الى القبر ميمون النقيبة هاديا
وقد وضعوا فوق العواتق نعشه فيالك نعشاً قد هدمت المعاليا
امحمود لا تبعد فنعم أخو الحجى لقد فقدت منك الشريعة حاميا
غيورا عليها ذائدا عن حياضها بصارم عضب حده كان ماضيا

نعيت الى الاسلام فانهال صبره وما كان منهار البنا متداعيا
وباتت عيون الدين بعدك خشعا وقد عزت الأيام فيك اللياليا
فيالهف نفسي حين غيبك الثرى فلست وان طال التصبر ساليا
لقد كنت في بحر الفصاحة سابحا ولم تك من ثوب البلاغة عاريا
اذا رمت الاقوام نحوك سهمها رأت غير هياب ولا متوانيا
بعيدا عن الفحشاء مجتنبا لهـا قريبا من الخيرات للحق داعيا
يحث على المعروف والخير كله وقد كان عن فعل المناكر ناهيا
اذا دهمته الحادثات بنكبة رأيت له قلبا على الدهر قاسيا
سقى الخالق الباري المصور تربة حللت بها من وابل العفو هاميا

* * *

اقام المحسن المكرم شملان بن علي بن سيف احتفالا في مدرسته (السعاده) فقال شاعرنا المطبوع هذه القصيدة الغراء مادحا فيها ذلك المحسن وشاكرا فضله وكان بوده أن يلقيها هناك بنفسه ولكنه تأخر عن ذلك لمرض أصابه :

اليوم نال العلا والمجد ما طلبا مذ أصبحا لأبي الأمجاد قد نسبا
ما زال يدأب والخلاق يكلؤه حتى استكان له الامر الذي صعبا
الله اكبر يا (شملان) كم لك من مكارم فقت فيها العجم والعربا
رفقا بنفسك قد كلفتها شططا رفقا بمالك قـد حملته تعبـا
جردت همة ليث لا يساورهـا وهن الرجال ولا تستصحب النصبا
وسرت في فلوات الفخر معتزما ولو سواك مشى فيها اذاً لكبا

* * *

بنيت مدرسة ام شدت مفخرة ام نلت مكرمة ام فزت منقلبا
لله مدرسة الايتـام مدرسـة قد ابهجت ببناها العلم والادبا
اقمت فيها احتفالا راق منظره عين الزمان فأبدى الانس والطربا
قد كنت أهوى لو انني اسطعت حينئذ بأنني كنت فيه أول الخطبـا

لكنما عـاقني دهر الح على ظلمي ومن طبعه أن يظلم الادبا
هذي الكويت وانت اليوم واحدها رضي بذاك كبير القوم ام غضبا
ترنو اليك بعين الشكر معجبة بمـا اتيت به من نخوة وإبـا
فايه يا ابن علي قم فانت لها وانت من بحماه تأمن العطبـا
الواهب المال لا يحصيه حاسبه وليس يتبعـه من اذا وهبـا
والمشتري الحمد والذكر الجميل معا والقائل القول لا تلقى به كذبا
ماضي المضارب مرهوب الجوانب محمود العواقب نجل السادة النجبا
ومـا عددت قليلا من مناقبه وكيف يحصى النجوم الزهر من حسبا
لا تحسبن بخيل القوم سيدهم لكن سيدهم من يبذل النشبا
ما المال ان لم يشد ذكرا لصاحبه سوى وبال عليه يجلب الحربا
ابا محمد خذ بكرا لليلتهـا لم تهو غيرك يا خير الكرام أبا

صدى الفراق

أرى ساعة التفريق والبين قد دنت فصبري وانسي آذنـا ببعـاد
قفوا قبل توديعي لكم لابثكم لواعـج شوق حكمت بفؤادي
فاني اذا ودعتكم لمـودع بتوديعكم عيشي وطيب رقادي
سلام على وقت بقربك قد زهـا ويفديه مني طـارفي وتـلادي
وما عن هوى مني أراك مفارقي ومـا وأبيك الدهر طوع مرادي
ولكنها الايام فيهـا عجائب فمن رائحـات للبـلى وغوادي

* * *

فسر تاركا شعبا تمادى بجهله وفي سبل الخسران اي تمـادي

الى ان قال :

فيا امة قد ناء بالعصر حملهـا ولم تستعض عن غيهـا برشاد
لك الويل هل من يقظة بعد نومة الم يؤلم الأقوام طول سـهاد
فيـا ويح قومي والمصائب جمة لقد لبست ثوب الهوان بلادي

بلاد بها سوق الخرافات رائج   فلم يمن يومـــا واحدا بكساد
وحسبك ان العلم فيها مضيـع   فليس بهــا من معهد بمشاد

قدمنا لهذا الشاب اللوذعي قصيدة غراء في مدح الاستاذ الشيخ محمد الشنقيطي ص ١١٥ وستأتينا له قصيدة أخرى مدهشة في ترجمة سمو الامير الجليل الشيخ عبدالله السالم آ ل الصباح .

وقد ضم شاعرنا المطبوع اجادته في النظم الى اجادته في النثر .

والغريب في هذا انه لم يتعاط الاشتغال في هاتين المهنتين الا من نحو سنتين وان له من الانصراف الى الماديات ما منعه من التفرغ للادبيات .

الشاعر الاديب خالد محمد آ ل فرج

الى شاعر الكويت

معري الكويت وبشارها   هززت من النفس اوتارها
والمستها من دقيق الخيا   ل مـا يعجز افكارهـــا
بآيات سحر هتكن القلوب   ازحن عن النفس استارهـا
ولو كان (رنتجن) من قبل ذا   ك رأى هذه الروح لاختارها
هي السهل للسامع المستصيخ   ولكن من الصعب احضارها
هي الشمس تسطع فوق الجبا   ل وترمي الى القوس انوارها
فينظرهـا كل ذي خبرة   ومن كان يجهل اسرارهـا
ولو مثلت للمعـاني الريا   ض لكانت معانيك ازهارها
أتاني شعرك مثل الحيا   ة فجـدد للنفس تـذكارها
وما كنت سالٍ ولكننا   ألفت الخطوب واكدارها
وقد كنت اهتز للحادثات   اذا بدلت في ادوارها
فأطرب للحسن ان رمته   وأوسع للنفس مضمارها
واستصعب الخطب ان جاءني   بارزاء قد اوقدت نارها
وان مسني البين من صحبتي   حكيت الطيور وتهدارها
فاذكر صحبي في كل آ   ن كما تتذكر اوكارها

فلما دهتني تلك الخطوب | وجففت العين مدرارها
الفت الفراق واهواله | كما تألف العيس اوكارها
وقد يألف الجسم فعل السمو | م اذا ما تعود تكرارها
فاحسب ورد الربى شوكة | وجمر الجذيعات جارها
فيا صقر عطفا على بائس | أبثك للنفس اسرارها

في الزعيم التونسي الكبير

في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ احتفل النادي الادبي في البحرين بالزعيم التونسي الشيخ عبد العزيز الثعالبي فالقى شاعرنا الاديب هذه القصيدة العصماء في الامام المحتفل به هناك كان لها وقع حسن في نفوس القوم :

ان رضت في الترحيب فيك مواهبي | بك يا زعيم فذاك دون الواجب
لو يحتفى بك حيث صيتك طائر | خرس الاديب وجف حبر الكاتب
قمنا لديك مهنئين نفوسنا | كمرحبين بغيث علم ساكب
ما الاحتفال وان تضاءل مظهراً | الا عواطف افرغت في قالب
والله يعلم ما تكن قلوبنا | لمقامك السامي العلي الجانب

* * *

يا أيها الاستاذ جئت منقباً | عما ليعرب من طلول مناقب
لترى بقايا الفاتحين فسلهم | هل (يستطيعوا) رد مجد ذاهب
جبت الجزيرة غربها وجنوبها | فرأيتها بتقاطع وتناصب
في كل مرحلة مليك قائم | شغلت دقائقه بآخر طالب
لعدوه في ذلة عن قومه | في شاغل من جهله في قالب
ان عف عنه الليث أهوى نحوه | نسر الغريب بمنسر ومخالب
وبكل شبر في الجزيرة أمة | ترنو الى جيرانها كأجانب
ان قام فيها مصلح ليلمها | قاموا له من عاتب او عائب
شغلوا عن الدين الذي هو حصنهم | بطوائف من بينهم ومذاهب

جعلوا الخلاف على الفروع فوارقاً ليسود فيهم حد سيف الغاضب
والاجنبي له السيادة كلها قد وطدت بمكائد وتلاعب
يغري الشقيق على اخيه وينتحي بمصالح من حربهم ومكاسب
والجهل ثالثة الاثافي واقف دون الرقي لهم وقوف الحاجب
اني اؤمل اذ رأيتك باسماً أن تنجلي عنا غيوم غياهب
واليأس اوغل في القلوب فلا ترى منا سوى هم ووجه قاطب
واراك تبسم حين تيأس آملا بزوال كارثة ونيل مآرب
آلامنا آمالنا وشفاؤنا لو حققت بتكاتف وتحابب
ومدارس تنمي الفضيلة بيننا لتردنا نحو السبيل اللاحب
العلم للشعب الضعيف معزز ومحرر من غاصب او ناهب
او ما ترى الطفل الصغير بعلمه قاد الجمال على علو الغارب
والسين والتاميز تيارهما غمر المحيط بدون أي تناسب
اما الحقوق فلا تنال بحجة الا بحجة مدفع وقواضب
ومتى غدا طلابها مستضعفاً بسلاحه فالحق حق الغاصب

* * *

عبد العزيز وانت افضل قادم وافى بوقت للنهوض مناسب
بلغت به النفس التراقي من عنا جهل لاطناب المذلة ضارب
لا خير في بلد يشيب شبابه لم يسمعوا بمدارس ومكاتب
بالله ان سطرت عنهم اسطرا وكتبتها بنجيع قلب ذائب
فابن لهم سر المذلة علهم يقفوا على كيد العدو الواثب
واكتب وعظ وانشر خبايا حالهم في الخافقين فانت افضل كاتب

ابيات كتبها على رسمه وهو في سن العشرين

ليت شعري اهكذا انا ابقى مثل رسمي ممتعاً بشبابي
في ربيع العشرين ارقب آما لي بقلب الى لقاهن صابي
ام سأفنى من الوجود وابقى ثاوياً بين جندل وتراب

انمــا هذه الحيــاة أمانٍ كاذبات والسؤل حسن المــآب

مرثية الشيخ عبد الوهاب الزياني

توفي مصلح البحرين وزعيمها العالم الشيخ عبد الوهاب الزياني في بمبي سنة ١٣٤٣ فرثاه شاعرنا بهذه القصيدة العصماء :

بطل الجهاد ضحية الاوطان ... لك في الشهادة رتبة الرضوان
لا تبعدن وان نأى لك مضجع ... فالبعد في القلب الصفي تداني
ان مت مبتعدا فذكرك خالد ... متجدد بتجدد الازمـــان
خفقت لنعيك في اوال ضمائر ... فوق الخدود اسلن دمعا قــاني
وكأنما اسلاك نعيك كهربت ... تلــك القلوب بهزة الخفقان
رزء على رزء صدى آلامــه ... آهات أحزان بــلا سلوان
فقد الزعيم على ابتعاد مزاره ... وفوات آمــال وموت أمــان
متحيرون سؤالهم وجوابهم ... بالأمس مات الاوحــد الزياني
يا راحلا عنـــا وإسم بلاده ... ختم لما نطقت بـــه الشفتان
هزت اوال لصوت نعيك هزة ... ضؤلت لديهــا هزةالبركـــان
عذراء ذات وداعة نشبت بمن ... تحنو عليه مخــالب الحدثان
لكن قصارى الجهد منها أنها ... لبست عليك ملاءة الاحزان
عصفورة خطف العقاب فراخها ... فغدت مرفرفـــة على الاركان
ضحيت بالعلق النفيس لأجلها ... بالاهل بالأموال بالخـــلان
ما كان احوجها لسمع وصية ... من طاهر الاخـــلاق والجثمان
واضنها بك ان تضمك بقعـــة ... لم تغذ فوق ترابهـــا بلبان
لك فوق تربتها أساس مبادىء ... يا ليتها ضمت رفات البـــاني
في ذمة الله المهيمن راحـــل ... صـــافي السريرة ثابت الايمان
اقواله أسمى الدروس وشخصه ... مــلء النفوس برقـــة وبيان
لو قدرت اعماله العظمى لما ... ضمته اكفان سوى الاجفان
لكن بلاء الشرق أن رجــاله ... تجزى على اعمــالها بهوان

ان أخلدوا مستسلمين أقامهم وخز الشعور بقاضب وسنان
وان استفاقوا مارحين فما لهم في رفع ارزاء البلاد يدان
يتقلبون على الشقاء حياتهم فسكوتهم وكلامهم سيان

* * *

يا عبد للرحمن يا خلف الذي هو في العلا ركن من الأركان
صبرا جميلا فالمصاب وان دهى خضه بعقل ثابت الرجحان
فالكل مشترك برزئك آمل فيك السداد وكل حي فاني
فأقم على آثاره بعزيمة لنرى بشخصك ذلك المتفاني
هطلت على ذاك الضريح برحمة مزن الرضى وسحائب الغفران
حيث النعيم من الجنان حنوطه تغدو اليه ملائك الرحمن

القيصر نقولا يتكلم

ما اتعظنا بمن مضى فهلكنا ولمن يأتي عبرة قد تركنا
اذ حسبنا الشعب القوي عبيداً وأردنا تملكاً فملكنا
يا ذوي التاج انما هو در ونضار لا تحسبوا التاج ركنا
قيصر الروس كنته وانا الآ ن نقولا وبالافندي اكنى
وعزائي الوحيد انا ملكنا شركاء وبالممات اشتركنا

لغز في الشمس

ما اسم ثلاثي له شهرة قسها تجدها شهرة الشمس
يبدله التصحيف لكنه يعود بالتصحيف والعكس
ان فقد الاعمى له منظراً ادركه بالشم واللمس

اقام الفاضل راشد الفرحان وليمة سحور دعاني اليها وبعض علماء الكويت من بينهم استاذنا الفاضل الشيخ عبد الله الخلف وكان الشاعر الفاضل هناك ايضاً فقال :

غبطت دارك يا را شد في ذا الفضل دور

اذ حوت اقطاب علم كلهم بدر منـير
فغدت هالة مجـد وهمو فيهـا بدور
وبدا فيها (سماط) فيه اوصافي تحـير
فهو في العينين سحر وهو في الجوف سحور

في معنى مخترع

حسنك من وجهك لا يمحي ان غـير التعبير مجراه
فالثغر يبدي الدر في ضحكة وان بدا حبك ابـداه

وقدمنا لهذا الشاعر الاديب قصيدتين احداهما في حالة الماء في الكويت والثانية في عوائد الكويتيين بعنوان (اليك يا عيد) وهـذا الشاب من المجيدين في النظم والنثر معاً .

الشاب الاديب والفاضل
اللوذعي حجي بن قاسم آل حجي
النصائح الثمينة

أقسمت يا شعب أني لا أخلف الدهر عهدك
وعدتني بنهوض فحقق الله وعدك
يا شعب قلبي كليم قـد كلمته الليالي
يا شعب ان شفائي امنية من محـال
ابيت رهن قيـود على اكفي ثقـال
مظلل بغمـام اقبح به من ظلال
علمت ممـا اراه ان المنايا حيـالي
ناديت يا قوم هل من يجيب منكم سؤالي
من يخطب البكر يوماً يبذل لها كل غال
اقسمت يا شعب اني لا أخلف الدهر عهدك
وعدتني بنهـوض فحقق الله وعدك

* * *

لا تخضعن الشعوب		لمن حاول عسفـــا
والحر لا ينحنى		ان ينسف الطود نسفا
ان رام منه عدو		ذلاً وان سيم خسفا



الشاب الاديب والفاضل
اللوذعي حجي بن قاسم آل حجي

ايقبــل الضيم حر		ان يمدد الضيم كفا
صارحتني يا رفيقي		اظهرت ما كان يخفى
لله درك خـــل		وصفت دائي وصفا
اخبرتني بدوائي		عسى به الداء يشفى

☆ ☆ ☆

اقسمت يا شعب اني		لا اخلف الدهر عهدك
وعــدتني بنهوض		فحقق الله وعــدك

* * *

خير الانـــام همـــام		يصون حق البـــلاد

يكون فيهـا كشمس تضيء طرق الرشاد
مفكراً كل حـين بنقض أس الفساد
ومن يفكر يومـاً بغمط حق العبـاد
فهو الذي راح يدني مصيره للنفـاد
ترقب الفجر يا من عدمت طيب الرقاد

☆ ☆ ☆

اقسمت يا شعب اني لا اخلف الدهر عهدك
وعدتني بنهوض فحقق الله وعدك

☆ ☆ ☆

رنت الي عيون رنت لشخصي شزرا
اذ قلت يا قوم قوموا الى التقدم جهرا
فعـد قولي ريـاء وعد امري نكرا
ما زال كل جهول للعـلم يضمر شرا
ترقب اليسر اذ ما لاقيت يا صاح عسرا
لا تكترث بكلام لن يغلب الشر خيرا
ان ترض عيني المعالي فلا اخاف الهزبرا

* * *

اقسمت يا شعب اني لا اخلف الدهر عهدك
وعدتني بنهـوض فحقق الله وعدك

* * *

اضر بالناس قوم يدعون بالعلماء
يحبذون التمادي بالجهل للسفهاء
تدرعوا بثياب ثياب اهل الرياء

سيكشف الصبح ماقد اخفيتم بالمساء
نحن الشباب رياح وانتم كالهباء
تيارنا آخذ في تمزيقكم في الفضاء

☆ ☆ ☆

اقسمت يا شعب اني لااخلف الدهر عهدك
وعدتني بنهوض فحقق الله وعدك

في النادي الادبي

افق يا علم من نوم عميق فان القوم اضحوا ناهضينا
ويا شمس المعارف اسعفيهم فنحوك هم غدوا متطلعينا
امديهم اذا سألوك علماً واخلاقاً بها تحيا البنونا
وداويهم اذا سألوك برءاً أزيحي عنهم الداء الدفينا
وان سألوك عن مجد تقضى وعن حال الجدود الغابرينا
فقولي انهم كانوا رجالاً الى العلياء ظلوا مسرعينا
يجيدون المسير الى المعالي فكانوا بالمفاخر فائزينا
وانتم مثلهم جسماً وخلقاً فهل بالفعل أنتم مقتدونا
فان شئتم إعادة ما تقضى وشئتم عيشة المتنعمينا
فربوا في نفوسكم التآخي وكونوا في الوغى متعاضدينا

* * *

فتحتم يا شباب القوم ناد لأنواع العلوم غدا معينا
وقد كنا بلا ريب اليه جياعاً في الورى متعطشينا
فجدوا في المسير لنيل علم فبئس العيش عيش الجاهلينا

مساجلة في الغزل

من قصيدة جرت بينه وبين زميله الاديب الفاضل السيد حسن بن السيد

زيد نجل السيد خلف باشا النقيب وقد كتب الزميل الاشطر الاولى وبعثها اليه فكملها .

نسيم الصبح يشجيني إذا هب ويشجيه ويقتلني ويصبيني
صدود منه يبديه

ويوهمني ويغريني بلفظ الدل والتيه ويطعمني ويسقيني
لذيذ الخمر من فيه

اذا أعتل يشفيني دواء منه يسديه وتطربني وتلهيني
اهازيج اغانيه

أغازله فيقصيني وعني التيه يثنيه ويضعفني ويسبيني
فتور في مآقيه

اواصله فيجفوني ويغضبني فأرضيه غرام كاد يخفيني
عن العذال اخفيه

يعذب روحي التعسا رشا بالروح افديه اكتم في الهوى سري
وللواشين يفشيه

طبيبي ، في الحشا داء فقل لي من يداويه اجرني من ضنى الهجر
وبدل ما اعانيه

عظيم ما ألاقيه جسيم ما اقاسيه اعد لي ليلة فاتت
ومن أنسي ماضيه

اعدلي ما مضى اني بغالي العمر اشريه فكم ليل به بتنا
بالحان اناغيه

يداعبني على ألم فيقصيني وأدنيه وأقضي في الهوى غما
وقلبي فيه ما فيه

عظة واعتبار

المستبـد يـلاقي عما قريب حمامه فعصرنا اليوم أضحى
شبيه يوم القيامه
يلقى المسيء عقابـاً والمحسنون الكرامه العدل يعقب خيراً
والظلم يجني الندامه
يا واقفـاً بين قوم يقدسون كلامـه راقب إلهك واحذر
وأد حق الإمامة

وجذ من كل ظفر بقدر حجم القلامة

التذمر من الكويت وأهلها

وأما بلادي فإن أهجها فان بلادي محـل الهجا
يهـاب بها الحر جهالهـا ويشقى بها كل سامي حجا

إلى الزمان

صحبتك يا زمان بشرط أن لا تعاكسني بأمر من أموري
وأن ترنو إليّ بعـين طوع كما يرنو الصغير الى الكبير

وقد كان لهذا الشاب الناهض ايضا نثر رقيق وخيال واسع في ميدانهفهو يستحق الاعجاب إذا بنثره وبنظمه .

الأديب الفاضل السيد مساعد بن السيد عبد الله الرفاعي

تعليم البنين والبنات

وواقفـة بقرب البحر تبـكي لعظم بكائهـا عيل اصطباري

فقلت لها بكاك لأي خطب ... وبي ألم التطلع كان ساري
فزادت بالنحيب فزدت قسرا ... وما بالود نحت ولا اختياري
وكان بقربها ولد صغير ... بماء البحر يلعب وهو جار
فقالت انما ابكي لهذا ... وزوج زج في قعر البحار
وما حولي كريم ارتجيه ... فيرحمني ويحسن لي جواري
فقلت لها فطيبي اليوم نفسا ... فاني سوف اوليك انتصاري
ولا شيء يعز عليك مني ... واول ما اجود به انتحاري
فقالت لا عدمتك يا ابن ديني ... ودامت شمس سعدك بازدهار
فخذ هذا اليتيم لدار علم ... ليشرب حب مصلحة الديار
ظللت لقولها حيران ساه ... اكفكف للمدامع في ازاري
وقلت العلم مفقود لدينا ... وما في الدار من بالعلم داري
كأن القوم ما خلقوا لعلم ... ولكن للجهالة والبواري
لقد خسروا حياتهم وظلوا ... وما للجاهلين سوى الخسار
اما في القوم من شهم لبيب ... يحث القوم في طلب الفخار
إلام القوم في غي وجهل ... وما في الجهل غير الاحتقار
أليسوا نسل من سادوا البرايا ... أباة الضيم أرباب الوقار
فعن خير الانام خذوا حديثاً ... من الايمان حبك للديار
لقد صدق (الامين) ولست راء ... عليكم للمحبة من شعار
فان انتم تكافلتم نصرتم ... والا للمذلة والصغار
فقالت قد صدقت وأي صدق ... وقد قلت الصحيح ولم تمار
ولكن ما حياة بنات جنسي ... وما أخلاق ربات الخمار
فقلت لها معارفهن اضحت ... بنقش الكف مع لبس السوار
وترجيج الحواجب واكتحال ... وصف الشعر أو سحب الازار
ولا يسطعن تدبيراً لبيت ... ولا يحسن تربية الصغار
فراحت تلطم الخدين حزنا ... ودمعتها الغزيرة بانهمار

الى العلجي

لذ [1] بالاله من الجهول الجاني علج العـلوج وفتنة الشيطان
مـا باله حط الاله مقـامه وأحاطـه بالذل والخسران

(١) رد شاعرنا بهذه القصيدة على قصيدة طويلة « للعلجي » سل بها سخيمته على عباد الله الصالحين ورمى فيها المصلحين وأخذ يعرض فيها بشاعرنا الفاضل واخوان له أدباء وهاك نموذجا من تلـك القصيدة لتعلم أن أديبنا المحترم لم يكن الا مدافعا عن نفسه واخوانه قال :

عذ بالمهيمن من هوى فتان ما تلك إلا فتنة الشيطان
من كل عصري هواه مرسل مـا قيدتـه ربقة الايمـان
نعقت شياطين فلبت صوتها لسخافة الاحـلام والاذهان
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم ولسنة المختار من عدنان

الى ان قال :

صروا صرور المعجبين برأيهم وتكبروا كتكبر السكران
وحكوا خفافيشا تطير بظلمة ان كان يغشيها سنـا النيران
او شابهوا في حالهم جهلا إذا أرداه طيب عاش بـالأنتان
فهموا كذي استٍ رست في زبلها ودعا لمس ابها القمران (كذا)

قال من قصيدة اخرى كفر بها الاستاذ المحقق فريد وجدي وارسلهـا من الاحساء الى الكويت لبعض سفهائه هناك وقد اختلف فيمن يخاطب في اولها فقيل للشيخ حـافظ وهبـه المصري او الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي او (كاتب هذه السطور) .

يا عائبا منا الجمود وطالبا منـا التمدن انـك الحيران
ان التمدن لو علمت فخسة جاءت بها (الاورب) واليونان
كفاركم وجدي فريد وحزبه حزب الضلالة قاده الشيطان

فبما تلوته عليك هنا وبأشياء أخرى أعرضت عنها تعذر شاعرنا فيما قال وتعذرنا ايضا معه في تصدينا لكشف ستره وفضيحة سره فانه لا حرمة لـه والحال هذه .

خسر السعادة مذ هوى لتعصب وتشدد ما جاء بالأديان
فغدا يسب المصلحين بهديهم واخو السباب يبوء بالخذلان
كره الجميل وحب كل رذيلة واخو الرذيلة ليس بالانسان
يا ويله من ظالم متعصب هجر الهداة ومال للعصيان

الى ان قال

هذا النفاق ومن ينافق فاسق والفاسقون بأسفل النيران
حاشا وكلا لست من عباده بل انت عبد الدرهم الرنان
لولم يكن ضيف الكريم ابي الندى (شملان) اصبح في اخس مكان
لو كان يعقل لم يسب اجله وجفا السباب وجاء بالبرهان
وغدا يجادل بالقضية كل من أخطا الصواب بأفصح التبيان
يا علج حسبك ما اقول فانني قلت الحقيقة وهي روح جناني

* * *

ابصر الشاعر نسوة متجمعات في (نفود نور) فدار بينه وبينهن حديث نظمه بهذه الابيات :

لقد قادني شوق إلى البر في أمس فسرت أجر الذيل في مرح أمشي
وقد رنحت روحي الصبا وأظلني عن الشمس غيم كان في الجو مستنشي
ولما اردت الادب أقبل نسوة علي كأمثال الحمائم اذ تمشي
وقد طفن من حولي وهن ضواحك ويرمينني بالغمز واللمز والرمش
ويظهرن لي حمر الاكف تغنجاً لأنظر طرز الرقش منهن والنقش
فابصرت شيئاً خامر العقل والنهى به قد هوى قلبي إلى هوة الدهش
فقمت وما بي للقيام استطاعة كأني مفلوج وما زلت في رعش
وظلت لفرط الحب أنحب من أسى وافشيت من شكواي ما لم أكن افشي
فقلت انعشوني بالحديث سويعة لتبعد عني ساعة الحمل في النعش
فظلن صموتاً واقفات بحيرة يفكرن كيف الامر بالواله المغشي

فقـــامت عجوز بينهن خبيثة وقالت لعمري إن هذا أخو غش
دعوه طريحاً لا صحت منه نفسه ولا زال إلا في شقاء من العيش
فقال لهـــا البعض منهن إنه لفي حالة يرثي لها العاذل الوحشي
فقالت اتدرنّ الصريـع فقلن لا فقالت وربي انه الشاعر المنشي
اخو المكر خداع الغواني بشعره دعونا نذقه الموت من قبل أن يمشي
فحركت اجفاني اليهـــا بعبرة وقلت اتقي المولى ومن بأسه فاخشي
فقامت فتـــاة بينهن تنمرت فقالت وربي انت صاحبة الغش
وإلا فهذا سيد غـــير ماكر وليس به مما تقولين من فحش
دعينا لديه جالسات فانـــه يعز علينـا تركه مفرداً مغشي
فجاءت وظلت فوق رأسي مقيمة وصارت علي المـاء تكثر بالرش
وتظهر اشفاقاً علي ورحمـة وتنظرني في مقلة من مها الوحش
ففتحت عيني ناظراً لجمالهـا وكاد سنا نور الحبيبة لي يغشي

في الغزل ايضاً

يا من شفـاء سقامي شم رياها ومن مدامي زلال في ثناياها
ومن هي الشمس وجهاً والجبين لها يحكي الهلال وعين العين عيناها
الله يكلأ هيفاء بليت بهـا عشقاً وعين إله العرش ترعاها
النفس طالبة وصل التي عشقت والعين راغبة رؤيا محياهـا

مساواة القمر للشمس

ايهـا المغرور في مدح ذكا ليس للشمس على البدر رجوح
لا تظن البدر نوراً دونهـا فهما سيان في الحـكم الصحيح
واستتار البدر من اشراقها عادة للبدر فيهـا يستريـح

تهنئة الشاعر للسيد هاشم النقيب
بقصره الذي شيده في الكويت

قصر تنور بالمحاسن وجهه فكأنه وجه الزمان الباسم

دون القصور له الجمال تخصص   كالفضل خصص بالمسود (هاشم)
لا زلت فيه معمراً يا سيدي   جم السرور بظل عز دائم
واليك فيه دعا الزمان مؤرخاً   (قصر به بشر يدوم لهاشم)

يمتاز هذا الشاعر الفاضل على كثير من اخوانه شعراء الكويت بالارتجال والبديهة وباجادته في الهجاء وبرقته في الغزل .

الشاعر الأخلاقي الفاضل الالمعي أحمد ابن خالد المشاري

حث واستنهاض

فتى العلم هذا موطن الكسب والأجر   فشمر ولا تكسل عن النصح والزجر
وداو كلوم الجهل في بلسم الحجا   وايقظ نياماً خادرين من السكر
فتى العلم هل للعلم ثمَّ مزية   اذا ما ثوى بين الضمائر والصدر

الى ان قال :

ودع عنك أقواماً بها[1] ضل سعيهم   فما دأبهم غير الغواية والختر
وترديد أقوال السفاهة جهرة   كأن لم يعوا ما في الكتاب من الأمر
كذلك اقوام بها تاه رشدهم   واسكرهم مس الرضاب من الثغر
فأنساهم ما قد وعوه من الهدى   وزجهمو في منهج البغي والخسر
ودع عنك اقواماً بها حل قصدهم   مكاسب جاءت بالخيانة والغدر
كنوز حووها من رياء وخلسة   وغدر ضعيف ألجأوه الى العسر
فتى العلم دعهم فالغباوة شأنهم   وليس غبي في العلا مثل من يدري
وعرج بنا نحو الشبيبة إنها   لخير وعاء أودعت غالي الدر
هناك تجد لوح السريرة طاهرا   فنضد به ماشئت من غرر زهر

تشطير ابيات بشار بن برد المشهورة التي منعه المتوكل بعدها من التغزل

---

(١) بها اي الكويت

بالنساء :

عجبت فطمة من نعتي لها نعت فكر وخيال لا بصر
وأتت تسأل عني عجباً هل يجيد النعت مكفوف البصر
بنت عشر وثلاث قسمت بين أصناف من الحسن غرر
آية في الحسن حتى جمعت بين غصن وكثيب وقمر
درة بحريـــة مكنونة حيرت في الحسن ارباب النظر
لو رآهـا تاجر في درر مازها التاجر من بين الدرر
اذرت الدمع وقالت ويلتي كيف أنجو من غلام مستشر
كيف أنجو والهوى قيـدني من ولوع الكف ركاب الخطر
خمش الثديين مني عابثاً ووشاحي حله حتى انتشر
فدعيني معه يا والدتي حبه قد صاد قلبي وأسر
واسمحي لي ساعة يا أمـتي علنا في ساعة نقضي الوطر
اذرت الدمع فأوهت جلدي واعتراها كجنون مستتر
أيها النوام هبوا ويحـــكم ان في الجد فلاحا للبشر
وادأبوا مثلي تنالوا مثلها وسلوني اليوم ماطعم الثمر

في الشمس والغروب

مالت الشمس وقد حجبهـــا حالـــك الغيم الى نحو المغيب
فبدت منه كحسناء غـدت ترفع السجف لتوديع الحبيب
ثم راحت تمـــلأ الجو لظى نار وجد قد علا فيهـــا لهيب

في سنة ١٣٣٩ أرسل إليه شاعر الكويت الشيخ صقر قصيدة في بمـبي يعاتبه فيها ويشكو جفاه فاجابه شاعرنا الحبيب بهذه الأبيات :

سلام كوصل الحب للواله الصب والا كرشف من لمى ثغره العذب
تحية مشتاق الى خير صاحب خلائقه تذكو على المندل الرطب
أيا صقر أشجيت الفؤاد وزدت في تباريح شوق أذكت النار في قلبي
فما أنا من يجفو على البعد خله ويومقه ان كان منه على قرب

فكم دمعة أسبلتها من توله ... وكم زفرة نهضتها من لظى الحب
وكم ليلة أحييتها من تذكر ... تقلبني الاشجان جنباً الى جنب
وكم صاحب[1] نبهته من جفائه ... فضاع وما اجدى وقد زاد في كربي
فأختلق الأعذار للنفس دونه ... وان كنت مظلوماً أكن حامل الذنب
فهذي شكاتي قد أثرت دفينها ... وهذا مصابي والأسى قاتل الصب
وما لي بتنظيم القوافي من يد ... ولكن اذا جاشت يخف بها كربي

في الوعد

ما زلت ارقب من سما عليا كمو ... برقا تألق ان يجود بمائه
والوعد من نحو الكريم كأنه ... برق يبشر بانسكاب حيائه

أنسمة الصبح هي ... على القلوب الشجيه ... لتبعدي الضر عنها
من وحشة أحمديه

يا أيها الشهم إني ... من النوى في بليه ... فادمعي مرسلات
واضلعي كالحنيه

وحنقي في ارتفاع ... وراحتي في هويه ... يا احمد في المزايا
واحمد في الطويه

من لي بخل نزيه ... يحكيكم في البريه ... اذا جهلت عليه
فالحلم منه سجيه

وينثني ذا ابتسام ... له الصفات النقيه

في الوعد ايضاً

انت يا من هو في النفس غدا ... سيداً في كل فضل سندا

---

(١) يعني حضرة شاعرنا الرقيق بقوله (وكم صاحب) كاتب هذه السطور وما كنت وايم الحق لاجفو ذلك الخل الصفي ولا أسلوه وكيف وقد ملك القلب بلطفه واخلاقه التي كان يقابل بها الجفاء والتقصير بالصفح والتجاوز الى هذا اشرت بقصيدة قدمتها الى حضرته في بمي جواباً لابيات تفضل بها علي في الكويت .

ليس وعد الحر برقاً خلبــا يولع النفس ولا ينفي الصدا
انت حر والحجا اثبت لي : كل حر منجز ما وعــدا

في الغزل والبدر

اهلاً بمؤنس وحشة المشتاق زين الطليعة نــير الاشراق
اهلاً بغرتك التي كم اثلجت قلباً وهاجت كامن الاشواق
يا بدركم آنست أرباب الهوى ورنوت في عطف الى العشاق
كم كنت ثالث مغرمين بخلوة وشهدت طيب تواصل وتلاقي
ونظرت أبهـج منظر لصبابة بث الغرام بقبلة وعنـاق
أشبهت من يهوى فهجت لواعجاً من وجده فبكى من الإحراق
سامرته حتى الصبــاح تعلة وسترت ما قد باح من اشواقي

صوت الضمير

هذي النفوس بحكم الله باريها إن شاء أسعدها أو شاء يشقيها
تأتي ولا عيب فيها وهي مرغمة وتنثني ثقل الاوزار يحنيهــا
تأتي فيعوزها في العيش مضطرب فتنتحي طرقاً شتى مساعيهـا
هذي الى الخير قد فازت ببغيتها وتلك للتعس ظلت في مجاريهـا
والله أودعهـا من نوره قبساً عقلاً يعيد لها صبحاً دياجيهـا
ان استضاءت به فالسعد رائدها أو لا فموردها حتماً مهاويهـا
والعقل يظهر أن علم تعهده كالنار كامنة والقدح يوريهـا
فلا نجاة اذاً للنفس من عطب إلا بعلم من الآفات يحميهـا

* * *

لهفي عليها نفوس في الكويت ثوت في حندس من ظلام الجهل غاشيها
فيها قد انتشرت أوباؤه وغدت تفت في عضد منها وترديهــا
فمن رياء الى خلف الى حسد الى شجار على ما ليس يعنيها
الى خمول الى جبن الى خلد تحت المكاره والويلات تصميها

فيا نفوساً بمهد الذل قد رقدت ... تزداد نوماً اذا ما هب داعيها
لاتحسبوا القول للتشهير انظمه ... بل نفثة من لهيب الحزن ارميها
منكم يئست ولما ضاع لي امل ... الى الامير [1] أبي النفس اثنيها
فيا أميراً له في الفضل سابقة ... إليك ارسل آمالا وازجيها
يا أحمد من سما في كل مكرمة ... وكل محمدة في الفضل حاويها
حاشا لمثلك أن يركن الى دعة ... وغفلة عن نفوس أنت واليها
هذي رعاياك من جهل بها مرض ... انت الطبيب لها والعلم يشفيها
هذي رعاياك فوضى في مقاصدها ... ولا سراة لها للرشد تهديها
هذي رعاياك فوضى لا اجتماع لها ... وللتخاذل داء قد فشا فيها
فاجمع لها شمثاً وانهض بها أمماً ... فلفتة بانعطاف منك تحييها
هذي الشبيبة شبح الجهل يفزعها ... وأنت مأمنها إذ أنت حاميها
هذب مداركها عضد مدارسها ... وارحم طفولتها اذ انت راعيها
اكثر معارفها أبعد مشاغبها ... نقح معاهدها واسمع شكاويها

وان املنا بسمو الامير الجليل لعظيم جداً في تحقيق الآمال وكشف الغياهب والظلمات عن الكويت وغرس اشجار العلوم والمعارف بين اهلها

عضد دعاة غدت للرشد طالبة ... واخذل بها فئة بانت مساويها
هذا رجاها بكف من تضرعها ... فاعطف بفضلك، أبلغها امانيها

---

(١) على الامير الجليل ان يلبي نداء هذا الفاضل واخوانه المخلصين لوطنهم عليه ان يسرع في تلبية دعوتهم الصادقة فيعضد المشاريع الخيرية في الكويت ويجتهد في تهذيب عقول اهلها وتنوير أذهانهم .

نحن اذا جعلنا على الرؤساء مسؤولية كبرى لتقاعسهم عن الاصلاح الذي تشرئب اليه أعناق المصلحين فاننا سنجعل على سمو الامير من المسؤولية اعظم اذ هو وحده المكلف بأن يقوم باصلاح البلد وانارتها بكهرباء المعارف والعلوم من كيسه الخاص حيث سعادته الذي كان يجني ثمرات اتعاب الكويتيين ويعصر عرق جباههم وهو الذي يستدر ضرع خيراتهم دون سواه . حقاً ان على سموه ان يكون عصامياً في مثل تلك الأعمال وأن لا يلوي عنقه الى احد من رعيته مهما كانت ثروته ومهما كانت اعماله .

بودنا وبود كل مصلح ان يحوز شرف ذلك الاصلاح في وطننا العزيز وحده .

ارسل الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى هذه الابيات الى شقيقه الأديب سليمان بن عيسى الجناعي في بمبي يمازحه فيها باخباره عن حمارتهم بأنها اتت لهم بحماره :

يا ابا خالد تهنيك البشاره	انجبت بنت الحمير حمارة
يا لها من جحشة بيضاء لا	يشتكى من لونها أدنى إشارة
تشبه الارنب إلا انها	فاقت الارنب قفزاً وشطارة
تثب الوثبة كالظبي اذا	أخافه الصياد من اهل المهارة
انحمر[1] (السيف) يسعون لها	بشهيق ونهيق وعبارة
وهي تختال لهم في مشيها	كربيب الجهل في بيت الامارة

فاستنجد الشقيق بصاحبنا الاديب في النيابة عنه بالجواب فلبى وجاد بهذه الابيات :

يا ابا عيسى لقد بشرتنا	ومزجت المزح في حسن عبارة
جئت تنبينا بأن قد أنجبت	أم جحش وأتتنا بحمارة
وتفننت بتشبيه لها	تارة بالظبي والارنب تارة
ان تكن حقاً كما مثلتها	فاعذر الحمر اذا ابدت عمارة
مثلها في الحمر يغلو مهرها	فهي حسناء وان كانت حمارة
وبما مثلت من خيلائها	كنت رام أورد السهم قراره
فاستمع قول شقيق ناصح	وحليف العقل تكفيه الاشارة
انما النفس اذا ما أعجبت	تاهت القصد فلم تبصر مناره
فاخش حقاً ان (تصبها) غيرة	فكسير العجب لا نرجوانجباره

* * *

اننا نخشى إذا ما أسرفت	باجتراء يلهب الصدر شراره

(١) السيف هو البحر ويريد (بحمره) الحمير التي تنقل البضائع والسلع من شاطىء بحر الكويت الى وسط المدينة .

ان ترى للحمر فيهـا فرصـة ومتى حانت فيا عظم الخساره

الى الفاضل الاديب السيد مساعد بن السيد عبدالله الرفاعي

يا من توهم ان لي قصداً بما اعلنتـه من ذمي الشعراء
رحماك لا تركن الى وهم بدا فالوهم فيـه مـذلة النبـلاء
انا إن ذممتك شاعراً فالذم لي ان المراة تبين شكل الرائي
كيف المذمة تعتريك وأنت من حاز المنصة في سمـاء عـلاء
جمعت مزاياك الفضائل كلها يا سيد الشعراء والأدباء

وقد كان صاحبنا الحبيب يجيد النثر كما يجيد النظم وله اخلاق قد لا أغالي إذا قلت أنها تكفيه عن كل فخر وشرف.

الفاضل الاديب سليمان افندي العدساني
تحية الاستاذ الشنقيطي

في رمضان سنة ١٣٤٣ زار الاستاذ الشيخ محمد الشنقيطي الكويت فأقام له النادي هناك حفلة تكريمية ألقيت فيها عده قصائد وخطب وكان صديقنا الفاضل من جملة الشعراء والخطباء وهذه قصيدته الغراء .

يا قـوم ان نزيلكم هذا هو الرجل الوحيد
الناطق الحق الصراح وانه في ذا فريـــد
اني وقفت خطيبكم ياليت شعري هل أجيد
يا شيخ أنت رجاؤنا في نهضة النشء الجديد
عصر الخرافة قوضت أركانه حتى أبيـــد
يا شيخ انت سهامنـا ان كابر الخصم العنيد
ثابر فخلفك عصبـــة قد أقسمت ان لا تحيد
فتخـــط للعليا بهـا يا صاحب الرأي السديد

* * *

ان الكويت لبعدكم كادت لبلواها تميد
فاصفح اضيها وغـ ض الطرف عن ذاك البعيد
هذي الكويت تنسمت أرجاؤها لك من جديد
واستبشرت بقدومكم فكأنما كانت بعيد
واقام ناديها لكم ذا المهرجان مع النشيد
أما الزبير فكم لكم فيها من الأثر الحميد
فلكم أشدت مدارسا فيها وكم اثر مجيد
لو كان مثلك عشرة فينا لما بعد البعيد
عجبي لقوم اغضبو ك اما بهم رجل رشيد
آذوك لما ان دعو تهم الى امر مفيد
هذي السفاهة أغضبت رب الخلائق والعبيد

تحية الزعيم التونسي

وكذا أقام النادي حفلة تكريمية لفضيلة الزعيم التونسي الكبير الاستاذ الشيخ عبد العزيز الثعالبي عندما زار الكويت في رحلته الكبيرة سنة ١٣٤٣ وقد القى كثير من الفضلاء أمام الاستاذ خطباً وقصائد نفيسة وكان صاحبنا من جملة من قام شاعرا او خطيبا وهذه قصيدته البديعة :

انا لا استطيع آتي بشعر صب في قالب بديع النظام
لا ولا استطيع القي خطابا هيبة منك يا رفيع المقام
غير اني وقفت يومي اضطرارا لا اختيارا وماجهلت مقامي

* * *

انت عبد العزيز أعلى مقاما كلما رمت وصفكم في كلامي
فاغضض الطرف لاتلمني اذا ما جاء وصفي لكم بدون المرام
يا حكيما اذا افاض بيانا نكس الخصم طرفه وهو دام
وخطيبا اذا أفاض حماسا دفع القوم للوغى والصدام

وجريا اذا تقـدم قومـــا شمر الخصم ذيـــله لانهزام
وزعـــيما اذا يهز يراعـــا وقف السيف باهتـــا باحترام
كلما رمت أن اذيع علاكم جف حبري وما بلغت مرامي

* * *

يا لقومي وما عهدت كراما الفوا الذل فانهضوا باعتزام .
من لحمل اللوا وصد الأعادي من لصون الحمى ورعي الزمام
ليس عيش الجبان يا قوم عيشا فدعوا الجبن وانهضوا للأمـــام
إن هذي الحياة دار عراك عاش فيهـــا من الأنام العصامي

كان هذا الصديق الفاضل من المجيدين في نظمه ونثره معا على عدم إكثاره وهو أقدم رجل في الكويت تعاطى الكتابة على صفحات الجرائد .

الاديب الشاب احمد بن بشر آل رومي
في الهجو والنحو

وإني إن دعوت الهجو يأتي الي فأتقي منـــه امره
وان شئت الهجاء فلي هجاء بهـــا تلقى اعاديك المسره
وان شئت المديح فلي مديـح بـــه يلقي الشحيح الى تبره
فلا يأمن هجائي كل من قـــد رمـــاني من اذيته بذره
واني ان هجوت اليوم شخصاً رأيت به لكل الناس عـبره
فأعلي بالمديح أخا جميـــل واسفل من لئيم القوم قدره

* * *

سأتعب في دروس النحو نفسي واوذي بعد زيد النحو عمره
لاصبح ان اقل هجواً بشخص تمنى دونه المهجو قـــبره
ولولا انني اخشى اعـــتراضاً على نصب الجدير بان اجره
لأودعت الجرائد كل يوم قصيداً مخجلاً في الأفق بدره

نعي الجمود وأهله والحث على العلوم والمعارف

سال دمع العين مني وانسكب   من تواني قومنا عما وجب
وجب اليوم عليكم سادتي   ان تمدوا للعلى خير سبب
والعلى ليس له من سبب   موصل غير علوم تنتخب
فانفضوا عنكم جموداً مهلكاً   واطلبوا العلم وجدوا في الطلب
خاب شعب قد تردى كسلا   وجموداً يا بني قومي وتب
لا تميلوا نحو (دجال) غدا   باسم دين الله يحوي للذهب
أمعنوا الأفكار في تدجيله   تبصروا تقواه زوراً وكذب
ليس بين العلم والدين كما   قاله (الدجال) بون منشعب
انما للصفر والبيض سعى   مظهراً تقوى ليحظى بالأرب
اذكروا التبر وقولوا يشترى   بصلاة وصيام في حلب
وانظروا كيف اليه يغتدي   تارة يزوي وتارات يثب
ثكلته امه كيف اغتدى   باسم دين الله يحتال النشب

تبكيت لبعض المعتوهين

ان للدين إلهاً فوقنا   ينظر الخلق ولسنا مرسلين
يا (أبا القاسم) لو ترنو الى   معظم الخلق بعين الناقدين
لرأيت الناس إلا بعضهم   تركوا الدين وظلوا ملحدين
فاترك الامر الى الله ترح   نفسك اليوم من الهم المتين
فحساب الناس في الحشر على   ربهم والله خير الحاسبين

قدمنا لهذا الفاضل أبياتاً في منافع الصحف وفوائدها في الحركة الفكرية والعلمية .

قصيدة الشيخ ناصر لأبيه مبارك
يهنئه فيها بزواج أخيه الشيخ أحمد

دام السرور فقم بنا يا منشدي   بين الربوع لكي أهنىء سيدي

وامرر بروض الأنس واقطف يانما واشكر صنيع الواحـد المتفرد
واسأله اتمـــام الجميل فإنـــه بر كريم الصفـــح للمتعبد
هذا السعود وهذه أعلامـــه لاحت عليك مهابـة يا معضدي
بزواجـك الميمون محمود الصبـا أعني بـه حمد المبـارك واليد
نلنـا بهذا الأمر غايات المنى إذ أنت رأس المبتـدا والمسند

وقد أجاب عبد المسيح الانطاكي على لسان الشيخ مبارك ابنه ناصرا بقوله:

ولداه ثق بمحبتي وتوددي ولأنت عندي في المقام الأمجد
هنأتني بأخيـك يوم زفافـه لازلت معه في هنـاء أرغـد
ولداه لا أنفك أسعى في رضا الرحمن سعيا إذ أروح وأغتدي

كان الشيخ أحمد ساكن الطبع ، ليّن العريكة ، حليما ، متواضعا . وهو الان الذي ينوب عن سمو أمير الكويت الجليل في فصل الخصومات اذا مـا غاب عن الكويت .

ملا علي يمتدح مباركا ويذكر صقرا

كان هذا الشاعر صغير السن اذ ذاك ، وقد طالت مدته التي امضاها مع صقر في البر ، مما تركه ينزع الى اهله ويتشوق لرؤيتهم فامتدح مباركا بقصيدة نبطية لتكون كالمقدمة لما يريد ، ضمنها امورا كانت تخالج ضميره فسلمها بيـد (باتل ابن شعف) لينشدها امام مبارك بالنيابة عنه فتقبلها وانشدها (باتل) كما امر فوقعت عند مبارك موقع اعجابه واستحسانه ، واعجب بها وبقائلها ايما اعجاب حتى دفعه اعجابه الى الامر ليسمعها منه بنفسه وقـد لبى الشاعر طلبه وحضر بين يديه ثم شرع بانشادها مرتجلا فزادها بحركاته المناسبة وحسن القائه جمالا على جمالها وعندما انتهى قال له مبارك كل ما طلبته سيتم وسنقوم به وبعد أن قضى مبارك ما أراده، اذن له بالذهاب لزيارة اهله وهذه هي القصيدة:

راجب من [1] فوق مسلوب الضمير حر المذعور واعموقـــه حـــرار

(١) راجب اي راكب .

لا مشى [١] جنه [٢] ايجنحان يطير　　لا قلب [٣] عينه تقل مشهاب نار
لا رجبته [٤] ما جدرته [٥] بالجرير　　قوتــه فكت قراريص العــذار
جيت مــن بغداد عجــل المسـير　　مجهــداً بالمشي جني [٦] فوق نار
عاني [٧] للي لنــا يسعى بخير　　حــاجم [٨] عره من المعبود ثــار
طوع العدوان بالسيف الشطير　　جم [٩] صبي يم [١٠] حوض الموت زار
لابته [١١] مــايلبسون الا حــرير　　كلهم لاشفتهم [١٢] مثــل الحرار
كلهم عودهم الشيخ الجبير [١٣]　　باللقــا عــادتهم قصف العمار
ما حجيت [١٤] الاالصحيح اللي يصير　　كل هرجي [١٥] للخلائق بــه قرار
من سمع بــه قــال بالله تستجــير　　كل من عــاداه يبشر بالدمــار
ابو جابر عــادته يحجي [١٦] القصير　　للمجــلا [١٧] حطه ربي استار
لو يبي [١٨] يأمر وهو فوق السرير　　طوع اللي كان في رأسه اسطار [١٩]
جعل من عاداه بالهبة [٢٠] كسير　　أو قريص [٢١] فيه سم الحظف سار
أو نجي له مثل مــا جينا الظفير　　يوم قاجينا اعــدانا في نهــار
قدمنــا صقر على الصفرا امغير　　فارس يا شيخ من ماكر حرار
جيت أناصيك [٢٢] يا زين [٢٣] الفقير　　ابي [٢٤] خرجيــه وابي كسوة حرار
ان عطيتني ما هو جثير [٢٥]　　عــادتك تعطي الركائب والمهــار
والفرس ما اريدها تبغي [٢٦] اشعير　　يا حمى من خافلا طال [٢٧] المغــار
ثم صلى الله على الســيد البشـير　　عــد من صلى الربــه ثم زار

---

(١) لامشى اي اذا مشى (٢) جنه اي كأنه (٣) لاقلب اي اذا قلب (٤) لا رجبته اي اذا ركبته (٥) ما جدرته اي ما قدرت عليه بالجرير اي الحبل والمراد بــه الزمام (٦) جني اي كأني (٧) عالي لي اي للذي (٨) حاجم حاكم (٩) جم سي اي كم ولد (١٠) يم اي نحو حوض الموت زار من بأسه وشدته (١١) لابته اي جماعته (١٢) لاشفقهم اي رأيتهم مثل الطيور الحرار (١٣) الجبر اي الكبير (١٤) ما حجيت ماقلت (١٥) هرجي اي كلامي (١٦) يحجي القصير اي يحفظ الجار ويمنعه (١٧) للمجلا اي الذي اجلى من بلاده جعله الله جنة من صدمات اعدائه (١٨) لو يبي اي لو يريد (١٩) اسطار اي نعرة وكبر (٢٠) بالهبة اي المعركة (٢١) او قريص اي رجل مقروص فيــه ألم الحياة سرى (٢٢) ناصيك اي قاصدك (٢٣) يا زين يا ملجــأ (٢٤) ابــي خرجية اي اريد دراهم اصرف منها (٢٥) ما هو جثير اي كثير (٢٦) تبغي اي تريد (٢٧) لاطال المغار اي اذا طالت الغارة.

وهاك ما قاله شاعر الكويت الفاضل الشيخ صقر في هذا ، يمدح الشيخ أحمد بن جابر آ ل الصباح .

الى ذي المعالي نجل جابر الذي	بيمناه من هذي البلاد زمامها
اوجه من شعري الرصين محايداً	كساها جمالاً اذ كسته نظامها
(وأحمد) محمود على كل مقول	ففي حمده مثل الكهول غلامها
وليست اياديه يطاوع عدهــا	وان جد من حسابهن قيامهـا
ومن خير هاتيك الايادي صنيعة	سيشكرها ندب الورى وهمامها
واعني بهــا ايجاده نجل احمد	جهينة اخبار الكويت حدامها
واسعاف تاريخ الكويت ابن جابر	به يعتلي بين البلاد مقامهــا
فلا زلت تعليها وترفع شأنها	ولا زال مرعياً لديك زمامها

سالم وشاعر الكويت

من حسنات الشيخ سالم التي امتاز بها على ما سواه من حكام آ ل الصباح اعتناؤه بشاعر الكويت الفاضل الشيخ صقر بن سالم الشبيب ومنحه القرب منه حتى جعله شاعره الخاص وما زال يواليه بانعامه مدة حياته الى ان انبعثت قريحة شاعرنا النابغ بتحبير القصائد الخالدة في مدحه وحبك المقاطيع الشيقة في نشر فضله ولا بدع فالاحسان الذي لا يشوبه غرض سافل يملك أحرار الرجال ويقيدهم بربقــة الفضل لان النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها .

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الانسان احسان

قد أحسن سالم الى هذا الشاعر الذكي بما أنساه اذ ذاك ما كان يقاسيه اليوم من ألم الحياة ومضض العيش وما أبكاه بعد رحيله بالدموع الحمر وأخذ يندبه ندب الخنساء لصخر ولا عجب اذا ما رأيناه يكاد يذوب من التلهف عليه وعلى أيامه ويتمزق قلبه من التأسف على انقطاع تعطفاته فصبرا ايهــا البائس صبرا .

كان أول اتصال شاعرنا بحضرة الامير أن قدم اليه قصيدة شكا اليه في آخرها ما يراق في الطرقات من المياه التي تؤذي المارين ولاسيما العميان وهي قصيدة غراء محورها يدور على أم أيتام صغار تحطم ما في يدها من البيض الذي كانت تجمعه من دجاجة هي كل ما تركه زوجها لها ولاولادها وكان الذي أوقعها ماء في الطريق فظلت تبكي وتنوح وتندب سوء حظها حتى شعر بها شاعرنا المتألم الحزين فمدها بخمسة دراهم كانت في يده وفي أول تلك القصيدة يقول :

ومحزونة في الدرب تبكي وتلطم   وتعول من عظم المصاب وترزم

الى أن يقول :

فأخرجت من جيبي دراهم خمسة   ولم يك عندي غير هاتيك درهم
فناولتها ما يسر الله قائـلا   خذي واعذري اني لمثلك معدم
دعت لي اذ ناولتها ثم أنشأت   تسب الذي القى المياه وتشتم
فقالت أظن الشيخ لو كان عالما   بما منه نشقى في الطريق ونسأم
لشدد في نهي الرعـايا من الأذى   وهددهم حتى يكفوا ويحجموا
وحاشا لذاك الشيخ تلفيه راضيا   بما قد غدت منه الضعاف تظلم
تبسمت لما ان علمت مديحها   ومن عادتي عند السرور التبسم

وقد لبى الامير نداءه وشدد في الردع والزجر وكافأه أيضا بما جعل لسانه رطبا بشكره وقد اتبعها بقصيدة أخرى ضمنها مع مدحه حاجة أبهمها فقال:

فيا فرحتي ان نلت عندك حاجتي   ويا حسرتي ان لم انلها ويا خسري
وأكبر ظني انـك اليوم مانحي   من المـال ما ارقى بـه ذروة النسر
وحاشاك من تخييب من جاء عافيا   تقلبـه الايام بطنـا الى ظهر
وتصفعه صفعـا يفيض دموعـه   فوترا الى شفـع وشفعا الى وتر
ولا غرو إن أبديت عندك حاجتي   ففزت بهـا يا ابن الغطارفة الغر

اما الامير فعلم ان شاعرنا يريد بالحاجة اصلاح بيتـه المشرف على السقوط

والذي اكل البلاء عليه وشرب فبادر الى اجابته وأسرع الى تلبيته وأصدر امره الى من اوكل اليه أمر البناء وحثه على انجاز مهمته فقام بما أمر به غير انه كان يتباطأ احيانا واحيانا يمد الشاعر ثم يخلف وتكرر ذلك منه مرات فاراد الشاعر مداعبته بتثاقله بأبيات يقدمها الى سمو الامير في هذا المعنى فقال :

ابا الشهم عبد الله لو انهم مشوا اليه بجد لابتنوه وأتموا
بخمسة ايام ولكنهم مشوا اليه كما يمشي الى السجن مجرم

وقد لام الامير الوكيل بعد هذا لوم المازح المداعب وحضه على إرضاء الشاعر والوقوف عند امره وما هي إلا أيام حتى كان البيت كالعروس الفاتنة ولا يقل ما صرفه عليه عن ثلاثة آلاف روبية وقد شكر سمو الامير على هذا الاحسان العظيم والفضل الشامل بقصيدة قدمها الى سموه أيضا فقال :

كريم نفى عني هموما اقلها تذيب اصم الصخر لو حل بالصخر
فشكري له شكر المنابت للحيا اذا ما اكتست منه ثيابا من الزهر
ومالي لا اوليه شكري والثنا ولولاه ادنتني الهموم من القبر
واعلم اني لا اقوم بشكره ولو انني أفنيت في شكره عمري
ولو انمن تحوي الكويت من الورى يعيرونني الافواه للحمد والشكر
ولو انني اوقفت نطقي كله على شكره ما قمت من ذاك بالشعر
وكيف اقوم اليوم في شكر سيد أزالت عطاياه همومي من صدري

زرت سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح يوماً بعد طول غيبة فأخذ يطارحني (أدام الله فضله) المسائل العلمية والأدبية بمهارة غريبة كان في أثنائها يرميني بمسائل وإشكالات حيرني بها . ووقفت أمامها موقف المعجب بذكائه الفطري واستعداده الغريزي وقد دفعني ذلك إلى أن اقدم لسموه قصيدة ابثه فيها اعجابي به وبأبحاثه الشيقة اللذيذة وهذه هي :

يا أيها العلم الراقي بفطنته أوج الصواب وصدق الرأي والخبر

اني غدوت وأيم الحق منتعشاً	من بعد ما كنت من يأسي على خطر
اني طربت لابحاث أتيت بهـــا	وقد حكت بسناها طلعة القمر
لم لا فديتك لا أنفك منتعشاً	وانت تقذف من يأتيك بالدرر
فمن محادثة في العلم رائقـــة	الى مذاكرة تجلو صدا الفكر
الى مسائل في الآداب تذكرنا	عصر الرشيد وعصر السادة الغرر
لذا وحقك لم ابصر لطلعتكم	إلا وبت بأنس قد جلا كدري

* * *

هذي المحامد فاخطب جودها ابدا	اليك تأتي بلا خوف ولا حذر
فأنت كفؤ لهـا والفضل يشهد لي	والنحو والشعر والتقويم في النظر
ما للمحامد لا تأتيك طائعـة	وأنت ملجا لها في ســاعة الضرر
ما للمحامد لا تأتي وانت بهـا	أخو غرام تعــانيه الى السحر
اشرب فديتك كأس العلم ان له	طعماً لذيذاً كطعم الماء ذي الخَصَر
وفيه تعلو ذرى العلياء من سقطت	ابناؤها ورماهـا الدهر بالشرر
استغفر الله من امري لـكم ولـكم	رأي الى المجد يهديـكم مدى العصر
وقد شربتم كؤوس العلم مترعة	كما علمتم بأن العلم كالمطر
يا عاذلين دعوا عذلي فليس لـكم	في عذلـكم منهج يرضاه ذو بصر
هذا الذي فضله كالشمس مشرقة	هذا الذي فخره كالروض ذي الزهر
هذا الذي ترك الاصلاح منشرحاً	والجهل غادره في السقم والخور
فان شككتم فهيـا نحو مجلسه	تروا به صدق ما أعلنت من خبري

والخلاصة أن سمو الامير الجليل من الرجال الأفـذاذ في الكويت ومن الذين جمعوا مع تلك الأخلاق الجميلة هاتيك المواهب العالية التي بمقدار مـا تسر أصحابه المخلصين تسيء من يكاد الحسد يلتهم فؤاده التهاما . وقد مدح سموه شاعر الكويت الحر الفاضل الشيخ صقر بقصيدة عصماء عطرها بعنبر مناقبه ثم تلاه الشاعر الجديد الفاضل عبد اللطيف بن نصف بأخرى شرفها بأوصافه المحمودة ، وهاك نموذجا مما قاله الاول من سحره الحلال :

ومن يفتدي والشهم ذو الجود سالم أبوه وذو العليا المبارك جده
فأجدر به أن لا يخيب آملا وهيهات يأبى ان يخيب مجده
فيا من غدا في الناس محمود مدحه يدور وحسن العقل والقول نده
ويا من به روض المديح تبسمت ازاهره من بعد ما جف ورده
ويا من به نشر المدائح قد حلا ولولاه لم ينشر لمدحي برده

وأما الثاني فهاك من جواهره المنثورة ما يضيء امامك الطريق وقد قدمها الى سعادته معتذرا وشاكرا فقال :

اعبد الله عفوا عن فتى لم يود من الامور سوى رضاكا
اتيت يقودني أمل صريح وحلم قد تجسم في علاكا
وهبني قد أسأت بغير قصد اليس العفو يشمل من اتاكا
رجائي فيك أ كبر شافع لي وهل خاب امرؤ يوما رجاكا
أعوذ بمجدك العالي ذراه ويا لله من مجد هناكا
وحزم لا تغيره الليالي وعزم قد بلغت به السماكا
بان ينتابني يأس لما بي ويضنيني الأسى وأنا اراكا
على أني وحقك لست ممن تضعضعه الخطوب ولست ذاكا
جزيت عن الشبيبة ألف خير ولم أبلغ بها أبدا جزاكا
نصرتهم وكنت لهم مجيرا ولم يخذل أناس في حماكا
مددتهم بنورك فاستناروا وراحوا سائرين على سناكا
وإن ما يحمدون وانت اهل فان الحمد يشهد حينذاكا
فشيد في الكويت ربوع علم ترقبها فليس هنا سواكا

وفي الختام فليحي الامير للعلم واهله ، وليعش للفضل وذويه وليبق حصنا للحق وقاصديه .

بعث الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الله الخلف بقصيدة إلى المؤلف في الجزيرة الصغيرة . وذلك جوابا على أبيات كان وجهها إليه عندما ذهب مرة

مع بعض الاخوان للنزهة إلى تلك الجزيرة فأقاموا أياماً فيها .

قال :

على هاجري الأوطان يبغون دونها	وجل هوامٍ في سباخ الجزيرة
مناظرها تعزى الى ضد وصفها	فلا حسن فيها لرب البصيرة
أعشاق سبخاها وحلال ربعها	بسوء مناخ في أراض صغيرة
لئن طاب منها الليل فالويل في الضحى	إذا اتقدت رمداؤها في الظهيرة
أيدفع للأخصاص حر شموسها	ومن قصب بال بناء الحظيرة
ومأواكم خص العوازم ذو الاذى	كبير به كرب العيون القريرة
ومن عجب أن راقكم منه منظر	يشق على كل النفوس الكبيرة
اذا صال جمع البق والغلمش الضحى	وجاء اليكم بالجيوش الكثيرة
فما عاصم منه كبير مكبر	به الكرب والمكروب من ذي المغيرة

اما ابياتي التي بعثتها الى حضرته فمنها:

رحلنا الى ارض الجزيرة علنا	نزيل هموماً بالفؤاد استقلت
فنلنا بحمد الله ما فيه أنسنا	ولو نالنا في ذاك بعض المشقة
فأعظم ما يدني الى القلب أنسه	مناظر يعزى حسنها للطبيعة
كمنظرنا للبحر والبحر هادىء	ومنظره والموج يبدو كهضبة
وما فيه من سفن تمر كأنها	طيور ببحر الجو تجري بسرعة
ومنظرنا تلك الحضور وأهلها	وقد حملوا الاسماك منها (بحلة)
وما ضرنا حر الجزيرة اذ غدا	كنار لها في القفر اعظم شعلة
ولا البق اذ يمسي علينا محلقاً	كما حلق البالون يوم الكريهة
فيرمي علينا من مدافع صوته	قنابل ترمي الكل منا بنشوة

وبعث الى الاستاذ الفاضل الشيخ عبد المحسن ابا بطين قاضي الزبير سابقاً قصيدة يتشوق فيها الى تلك الجزيرة ويمدحها ويعرض بذكر يوم الخميس الذي كنت واخوانا لي من المعلمين الفضلاء نرتاد الذهاب فيه اليها تسلية للنفس

وترويحا عنها :

يا ليتني احظى بها لو ساعة فانال فيها الأنس والأفراحا
فلها عدا حسن الهواء فضيلة مرأى عجيب يذهب الاتراحا
ولها على لبنان فضل واضح فسلوا ملوك الارض والسياحا
وعلمت أن بها عجائب جمة لما سناها من بعيد لاحا
فترابها كالمسك فاح اريجه او ما ترى واد بها فياحا ؟
بالله ان سرتم اليها ثوبوا لمحبكم من مائها اقداحا
ما شاقني جزر سواها تنبت الزيتون والرمان والتفاحا
وبلابل تشدو واقمار بها وكواعب يسلبننا الارواحا
اني اهنيء سادتي من معكم يوم الخميس الى الجزيرة راحا

وقد اجبت صاحبنا المفضال بقصيدة ارسلتها اليه هناك ، منها في ذكر تلك الجزيرة يوم الخميس :

فانظر الى وصف الاديب بنظمه لجزيرة نحوي بها الافراحا
فبذاك تعلم انه العلم الذي في الشعر امسى الكوكب الوضاحا
فبوصفه حسنت صخور جثم فيها واضحى روضها فياحا
يا فاضلا في وصفها لم يعد ما في القلب مني لا عدمت فلاحا
ان الجزيرة انسنا يا انسنا ومحبها جمع غفير باحا
وانا فديتك عذلي في حبها جمع وكل قد غدا ملحاحا
لكنني من عذلهم لا أنثني حتى ولو أولوا حشاي جراحا
لا تسألن عن أنسنا بخميسنا وقد امتطينا قاربا ملواحا
أمسى يشق بنا العباب بجهده فغدا كطير الأفق مد جناحا
لا تسألن عنه فديتك انه ينشي العناء وينعش الأرواحا
يا ما أميلح سيرنا في جوزه والكل منا قد غدا ملاحا

عام كساد تجارة اللؤلؤ

واليك هذه الابيات التي قالها احد الفقراء في هذا العام فشنف سمعك بها

تشرحه لك من الحالة هناك لتعلم الحقيقة فيما قلت :

تجارنا عقب المعرفة جفونا زال الشتا احمود ما سقمونا [1]
ما ادرى عسر بهم والا جفونا الله عليهم وان نواو للتعاكيس
ما ادرى ويش جرى للغوص كله مثل الحمير تنقاد خمسة اهله
نشكي العرا والجوع وايا [2] المذلة ونركض انخدمتهم امثال البنابيس [3]
وين[4] القماش[5] اللي[6] من الدرجبنا[7] الله عليهم وان كلوا من تعبنا
ما تعمر دار بها الظلم يبني شيء يغضب الله ويرضى به ابليس
قالوا لك العذر يا(زبد)جتنا اعلومك وحنا بعد والله ما نلومك
مير [8] استعن بقوة اعزومك الى مايجي شملان[9] ونرخي[10] لك الكيس
اقماشنا بالهند والله طايح وحنا غدينا بين شاني وصايح
هذي السنة صارت علينا فضايح انتم تبون[11] افلوس[12] واحنا مفاليس
قل انتم اهل الجودات واهل المروة مير شيء حدث فيكم يا ناس توه [13]
اشوف بالوقت تاخذونا قوه يا ما حديتونا [14] بعجر ودبابيس
قولوا لبو مهلهل [2] وشملان وهلال وأبو حمود لاتخيبت لهم بال

---

(١) ما سقمونا : اي ما اعطونا تسقاما و (التسقام) الدراهم التي يعطيها صاحب السفينة للعمال بعد رجوعهم من الغوص اما اعطائه اياهم الدراهم قرب سفرهم فيسمى (سلفا) . (٢) وايا المذله اي مع المذله . (٣) البنابيس العبيد السود . (٤) وين بمعنى اين . (٥) القماش اللؤلؤ . (٦) اللي اي الذي . (٧) جبنا اتينا به من البحر . (٨) مير بمعنى لكن . (٩) شملان هو من اكبر تجـــار اللؤلؤ الذين يسافرون من الكويت الى بمبي لعرض لؤلؤهم هناك . (١٠) نرخي لك الكيس اي نفتحه والكيس الوعاء الذي توضع فيه الدراهم .(١١)تبون اي تريدون .(١٢)افلوس دراهم .(١٣) توه في الوقت القريب . (١٤) يا ما حديتونا سقتونا بعجر ودبابيس . العجر جمع عجر او هي عصا ململومة الرأس و (الدبابيس) جمع دبوس وهو عصا في رأسها قطعة من الحديد او القار .

(٢) هؤلاء المذكورون هم اقطاب تجار اللؤلؤ في الكويت حد الخالد وشمـــلان بن علي بن سيف وهلال المطيري وناصر البدر وحسين بن علي اخو شملان ، يأمرهم الشاعر باخراج الزكاة الى أهلها ، ولكننا نقول والحق يقال ان جلهم كانوا يبادرون الى إخراجهـــا في وقتهـــا فيطفئون باحسانهم ومعروفهم ظمأ كثير من الفقراء المحتاجين ، كانوا يبادرون بذلك رجاء الثواب واحتسابا للاجروهم ومن على شاكلتهم في الكويت من الفريق الممتاز باحياء هذا الركن العظيم الذي أميت في كثير من ـــــ

يا أبو علي يا احسين قل زكوا المال   زهايد الدنيا وهذا اي بهانيس

قصيدة الاديب[1] الفاضل خالد بن محمد الفرج الكويتي في وصف الجموع المصارعة لأجل الوصول الى ماء الشرب الذي تنقله السفن من شط العرب .

تصور فدفدا لا شيء فيه   سوى رمل به وطأ السباع
ولا ماء لدى الرمضاء الا   عليه الرمل ناف بألف باع
ولا شجرا لدى الصحراء الا   هشيم جاء من اقصى البقاع
يحـار به الدليـل ويغتويه   به شبه الحضيض من اليفاع
فذاك هو الكويت وساكنوه   اذا دهموا (ببوم)غير ساعي
ولا تتصورن « البوم » طيرا   فما هو غير فلك ذي شراع
يجوب البحر ساعات طوالا   يقل الماء للبلد المضاع
اعرني سمعك الواعي فاني   لمحتاج لسمع منك واعي
اقص عليك ماأضنى فؤادي   وكل عن القيام به يراعي
(ببوم) فيه أعمدة السواقي   تصوبها الرياح الى ارتفاع
وقال البحر للسفن الجواري   دعوا ظهري هلموا نحو قاعي
هناك ترى الجموع على (بويم)   به وشل اقل من الذراع
هناك حمي الوطيس فكل وغد   يسابب صاحب الامر المطاع
فكم من حرة غرقت وحر   رماه لمـائه صاع بصاع
وقد ظمىء الضعيف وكاد يقضي   وصار الماء للبطل الشجاع
بني وطني ألا انتبهوا وهبوا   وشدوا امركم بالاجتماع
ولا تبقوا على الاموال فيما   يكون لنفعكم في العصر ساعي

← البلاد الاسلامية، جزاهم الله افضل الجزاء، على ان من المثرين هناك من لم يكن له في اخراجها اثر يذكر ، ومنهم من لا يخرج الا القليل ، ومنهم من لا يراعي في اخراجهـا المصرف الشرعي فتراه يعطي قريبه الغني كثيرا من المال في الوقت الذي كان يحرم الفقير المحتاج النزر اليسير ، وهـذا البون الشاسع يجعل للفريق الاول فضلا لا ينكر وميزة حسنة يغبط عليها ، فعسى ان ينتبـه الفريق الاخر ويقتدي باخوانه .

أراكم تجلبون القوت جمعا وأغلى ما يكون من المتاع
وتجنون الدراري وهي كنز يفوق جميع أنواع المساعي
أتبقون الكنوز لناهبيها وتبنون المباني للتداعي
وأمكم الكويت تئن عطشى ألا فلتنع عقلكم النواعي
فهبوا واجمعوا ما فيه نفع فما نيل الخلود بمستطاع

امرأة من بيت آل العبيدي ترثي ابنها القتيل في وقعة الصريف بين ابن الرشيد والكويتيين

قلت آه من علم لفا به [1] اقرينيس يا ليت منه ميتاً ما درى به
علم لفا به مرس القلب تمريس والنار عجت في الضمير التهابه
واليوم له عن جفن عيني مراريس والحنظل المذيوق زاده شرابه
على الله اللي كفى [2] على ضمر العيس واليوم ما ادري أي خب لفا به
نصيت [3] بيته قلت يا اقرينس وين الحبيب وقال ما علمنا به
اخفى مع البيرق [4] الحرب السناعيس [5] وان تسأليه والي المحدير جابه
رديت من كثر ابكا والهواجس دمعي كما وبل نشا من سحابه
يا الله يا فكاك حبل المحابيس انك تفك محمداً من صوابه
ابجاه محمد ويعقوب وادريس عسى طلبتي عند ربي مجابه
واعداد ما هبت هبوب النسانيس على النبي صليت هو والصحابة

التاريخ يشكر ملا صالح بن محمد [6] الملا رئيس الكتاب

أبا محمد لم لا أثني عليك ولك من الأخلاق الزاهرة ما تحاكي البدر ليلة تمامه . تواضع في غير ذلة . وحلم عن كثير من الهفوات . وبذل في سبيل

---

(١) لفابه أي آتى به . (٢) اللي كفى أي الذي (٣) نصيت بيته أي ذهبت الى بيته (٤) البيرق العلم . (٥) والسناعيس لقب لقبيلة شمر التابعة لابن الرشيد .

(٦) نظرا لقيام هذا الفاضل بالمهمة التي أسندها إليه الأمير في البحث عن الرسميات فقد رأيت أن يكون شكره على تعبه في آخر الكتاب لأن شكره في الحقيقة شكر للأمير نفسه .

المعروف والاحسان . وبشاشة جذابة هي كالسحر الحلال . أبا محمد لم لا أثني عليك ولك من الثبات ما برزت به حاملا راية الفوز على كثير من أقرانك . وبرهنت به على انك ذو نفس كبيرة وعزيمة قوية وهمة قعساء تلين الصخور ولا تلين وهل ادل على ما قلته من قبضك زمام الرئاسة للكتاب في حكومة الكويت الموقرة تلك المدة الطويلة من أيام مبارك بطل الكويت واسدها الى هذا اليوم يوم حكومة اميرنا المحبوب .

أبا محمد لم لا أثني عليك وهذه أخلاقك الزاهية . ولم لا أثني عليك وقد اعتنيت بتاريخ الكويت اعتناء لم يتسن لأحد سواك من مواطنيك . أبا محمد أنا ان انس جميلاً لأحد فليس في استطاعتي ان انسى جميلك واحسانك علي وعلى التاريخ . نعم لا أنسى ذلك ولن أنساه وكذا لا أنسى التعب الذي كان ينتابك إبان البحث والتنقيب عما يهم التاريخ ويكسوه بهاء وجمالاً . ولا انسى الليالي الطوال التي قضيتها واياك في بيتك العامر . نستنطق الدفاتر ونستفهم الطروس حتى اذا ما عثرنا على كلمة صالحة أو حادثةذات اعتبار لها مساس بالموضوع طرت بها فرحاً وتهلل وجهك بشراً وسروراً كان التاريخ لك وأنت القائم به وبأعبائه . انا لا انسى ذلك كله وكيف لي أن أنساه وقد بنيت لك من جرائه شرفاً لا يمحي على مر الدهور والعصور . واسست لك به مجداً يفني الزمان وحسنه يتجدد .

طوقتني أبا محمد منة كبرى لا قبل لي بالقيام بحقها وحملتني منة أنا عاجز عن شكرها ولكني سأذكرها ما دمت حياً وحق على وطني ان يذكرها ما دامت روحه تجري في مفاصله هاك أبا محمد هذه القصيدة التي نشر فيها شاعر الكويت ما لك من الفضل والفخر فعساها تفي بشيء من الواجب :

ساشكر صالح الملا حياتي	على إسعافه الحر ابن احمد
واولى الناس بالشكران شهم	حميد السعي مثل ابي محمد
سأشكره واحمده واثني	باشماري عليه بكل مشهد
مكارم صالح تأبى علينا	لكثرتها بشعر ان تعدد

فإيجاز الثنا عنهن عجز	على أن لاشبيه لهن يشهد
مكارم لاتبيد وليس تفنى	وخير المجد في الدنيا المخلد
فدم في اهنأ العيشات واسلم	وطرف عداتك البعداء يسهد
فانك في الكويت اليوم شمس	اشعتها فضائل ليس تجحد
ومن ذا يستطيع جحود فضل	له منه عليه الدهر يشهد
سأنظم واصفاً فيك المزايا	قصائد دونها الدر المنضد

التقاريض

قال الكاتب القدير الأديب الفاضل السيد هاشم الرفاعي بعد ان اطلع على نموذج من التاريخ قبل ان يتفضل سمو الامير على التاريخ بالرسميات

سيدي الاستاذ يصعب على المؤرخ ان يقوم بتدوين تاريخ حكومة مر على تكوينها زهاء ثلاثة قرون وهو لايعتمد ، او بعبارة اوضح لايجد مايعتمد عليه في مهمته الشاقة ، غير ما يتسقطه من الاخبار نقلا عن الافواه ومايستقصيه من الحوادث عن السنة الرواة، فلا كتب يرجع اليها في استجلاء بعض الحوادث ولا سجلات بسطت فيها الوقائع يمكن مراجعتها عند الاقتضاء فمؤرخ هذا شأنه لا بد له من التقدم رويداً رويداً في طريقه المظلم الوعر ، ومن اجتياز عقبة كأداء للوصول الى ضالته المنشودة والقبض عليها سليمة لم تدنسها يد الاغراض ، ولم تخدش محاسنها رواية جاهل ، او متهور وما دام الأمر كذلك فلا بد له من أتعاب كثيرة. مشقة عظيمة وعناء يهون عنده كل عناء اذا كان من الذين ينشدون الحقيقة اولئك الذين رزقوا فضيلة الحرية الفكرية والصراحة التي يتطلبها الموضوع ، وعندي ان هذا الصنف من المؤرخين هم الذين يستحقون اعجاب الجمهور وهم المؤرخون حقاً .

وانت ايها الاستاذ الجليل من هذه الطائفة فلا تعلم بوجود كتاب الم ولو بجانب صغير من حوادث الكويت التي اخذت على عاتقك تدوينها لترجع اليه في ابحاثك. اذاً يحق لنا ان نكبر عملك ونقدر خدمتك ونحفظ لك في سويداء

قلوبنا هذا العمل الخالد ، والاثر الجليل الجميل ، وهذا ما يجب على المنصف ان يقول فيك بصفتك مؤرخاً وبصفته اديباً ليس الا . اما اذا كان المنصف من مواطنيك فبامكانه ان يقول فيك اكثر من هذا واي خدمة ادبية اكبر من الخدمة الثمينة التي قمت بها اليوم لتقدمها لامتك ووطنك اهل الكويت الذين حرموا من لذة الاطلاع على ماسلف من حوادث بلدتهم التي جعلها الجهل عملا بدون ضابط يضبطها ، سيغتبطون بتاريخك العتيد ، وسيكون كنبراس يضيء لهم طريق السعادة والفلاح فيعتبرون به لتلافي مايرونه ماثلا امام اعينهم من اغلاط الماضي ، وعبر الحوادث فيتجنبون الضار ويأخذون بالحسن وغير هذا فيكفيك فخراً لانك اول من دون تاريخ الكويت فأهنئك ايها الصديق لكونك احرزت قصب السبق في هذا المضمار على مئات الالوف من مواطنيك الذين استوطنوا الكويت منذ تأسست الى يومنا هذا ، واتمنى لو ان سمو شيخ الكويت يمدك بما قد يكون لديه من المعلومات ، ويطلعك على بعض المستندات التي لاغناء للمؤرخ عنها ، وحبذا لو فعل ذلك .

وقال بلبل الشباب المغرد الاديب الفاضل عبد اللطيف بن ابراهيم آل نصف الشاعر الجديد :

كتابك يا ابن احمد والمعالي	لقد اروى من الصادي غليلا
كتابك زنت للآداب جيداً	بـه وحبوتنا ذكراً جميلا
بـه فصح اذا تليت حسبنا	مديحها المقفع والخليلا
فتى الاصلاح كم لك من أياد	تزول الصالحات ولن تزولا
وكم لك في رياض الفضل غرس	جنيت لنا به مجـدا اثيلا
وكم لك في البلاغة معجزات	بهرت بها من القوم العقولا
رفعت عن الكويت وساكنيها	من الأحمال قتالا ثقيلا
اضاءت شمس فضلك في دجاها	فأبرأ نورها الداء الدخيلا
واصبح وعرها سهلا وامست	تجر من الفخار بك الذيولا
هزت بها يراعك للمعالي	فكان الصارم العضب الصقيلا

وذدت به وحسبك ذاك ذودا — عن الاخلاق شانئها الجهولا
ومَن غير ابن احمد ان ترامت — بها الارزاء يغنيها فتيــلا
لعمر الحق ان قد طم برد — جليـل انت لابسه جليلا
تضاءل جنب ما اسديت شعري — فبات كثيره نزرا قليـلا

من الكويت الى بغداد

بعد ان اطلع شاعر الكويت الفاضـل الشيخ صقر على نموذج من الجزء الاول من التاريخ بعدطبعه ارسل الي هذه القصيدة العصماء وانا في بغداد .

حسدت بك الزوراء غير ملومة — بلد بثثت العلم في ابنائها
عجل مآبك للكويت مبادراً — ان يفتك التحسيد في احشائها
حسدت وقد علمت بأنك زائر — دار السلام اليوم من جرائهـــا
وتحاسد البلدان داء معضـــل — مذ كانت الدنيا على علمائهـــا
يا من به ارتقت الكويت الى العلا — حتام انت تكد في اعلائهـــا
استبق مهجتك الكريمة اننـــا — في حاجة كبرى الى استقنائهـا
ان كنت تكدح للمعالي فاتئد — فلقد سكنت اليوم في حوبائها

* * *

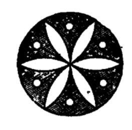
ابرزت تاريخ الكويت يميس في — حلل الصراحة حاليا بحلائهــا
لم تخش لومة لائميك مصرحــا — فظفرت من احرارها بثنائها
ابديت كل حقيقة فيه كما — كانت وما دلست في ابدائهــا
فاثبت على نشر الحقائق عالمـا — إن الحقائق أنت من امنائها

* * *

أما نواك فاشعلت في اضلعي — نارا اليك الرأي في اطفائهــا
اشوت تحث الـيه اسهم سلوة — لولا نواك عجبت من اشوائها
مذ اسهم الجزع المميتات انثنت — مفترة بحشـــاي عن إصمائهـــا

احياء نفسي عن لقائك نـــاشيء قل لي اتسلو النفس عن احيائها ؟
تصبي اليك النفس فيك خلائق لم تنج حق العمي من اصبائهـــا
ما الشمس تسبح في الفضاء مضيئة رأد الضحى بأتم من اضوائهـــا
كلا ولا تصفو قريحـــة شـــاعر هبـــه ابا تمام مثل صفائهـــا

الخ الخ الخ



الفهرس



طبع هذا الكتاب
على مطابع « دار مكتبة الحياة »

الكاتب والكتاب

وُلد المؤلّف عبد العزيز الرّشيد البداح في الكويت سنة ١٣٠١ هـ . وتلقى علومه الابتدائيّة فيها . ثُمّ سافر الى المدينة المنوّرة ودرس فيها على الشيخ ابن عزّوز . ثُمّ انتقل إلى الإحساء ومنها إلى الأستانة فمصر حيث درس في الأزهر الشريف .

بعد زمن من التنقل في سبيل التجارة استقرّ في الكويت فعُيّن مُدرّساً في المدرسة المباركيّة . اشتهر بالخطابة . وقد أصدر مجلّة شهريّة أدبيّة أسماها « الكويت » سنة ١٣٤٦ هـ ثُم انتقل إلى أندونيسيا وتابع إصدار المجلّة هُنالك . كما أصدر معها مجلّة الكويت والعراقي . وقام بحركة إصلاحيّة ناجحة بين العلويين والإرشاديين .

له من المؤلّفات « تحذير المسلمين » و « المحاورة الإصلاحيّة » وكثيرٌ من المحاضرات التي لم تُجمع في كتب ، أصدر كتاب تاريخ الكويت سنة ١٣٤٤ هـ . وهو للآن لا يزال يُعتبر المصدر الوحيد لمعرفة تاريخ هذا البلد العربي . وقد أسهم المؤلّف في كثير من المعارك المذكورة فيه والتي حدثت في زمنه . وجُرح في إحداها ، حيث كان الساعد الأيمن للشيخ سالم المبارك الصباح في حرب الجهراء . ولكنّه مع ذلك يكتب بأسلوب علمي نزيه ، قوامه الأمانة والإخلاص لفنّ كتابة التاريخ .



منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

الثمن : ١٠ ليرات لبنانية أو ما يعادلها